مجمع اللغة العربية
التاريخ ٢/٢/١٩٩٤
الرقم ٣٢٨٥

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

جمهرة المغنّين

٥٨٦٤

تأليف

خليل مردم بك

١٨٩٥ - ١٩٥٩

وقف على طبعه وعلق عليه

عدنان مردم بك و أحمد الجندي

المطبعة الهاشمية بدمشق
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

الشاعر خليل مردم بك

موجز لحياته وسيرته

هو خليل بن احمد مختار بن عثمان بن عبد الرحمن بن محمد بن مصطفى مردم بك الشهير بالقرمشي والجد الجامع لأسرة مردم بك والضارب بأعراقه الى الوزير الكبير لالا مصطفى باشا فاتح قبرس[1] .

ولد الفقيد سنة ١٨٩٥ في دمشق بدار الاسرة الكائنة في سوق الحميدية زقاق فخر الدين الرازي ، وكان والده احمد مختار بك احد كبار وجهاء دمشق وسراتها ، تولى أمانة العاصمة اكثر من مرة وقد عرف بين الناس باستقامته وحبه للخير .

وقد ذكر البديري في حوادثه اليومية عند كلامه على مصطفى بك مردم بك الجد الجامع لأسرته ما يلي :

« مصطفى بك من أعرق أسر دمشق مجدا ووجاهة ومن أكثرها ابتعادا عما لا يعنيها ، وهو على طول باعه في الوظائف العالية التي يشغلها محب للخير وبعيد عن هضم الحقوق وأكل أموال الناس بالباطل [2] » .

وان والدة الشاعر هي السيدة فاطمة ابنة مفتي الشام السيد محمود حمزة المعروفة أسرته ببيت النقيب والتي تسلسلت بها نقابة الاشراف حقبة طويلة من السنين .

---

(١) اعتمدنا في سرد هذه المعلومات على رسالة مخطوطة بقلم الفقيد عن تاريخ اسرة مردم بك .

(٢) نقلا عن تاريخ اسرة مردم بك المخطوط .

لم يكن للفقيد أخوة من الذكور وكان له خمس شقيقات وقد دفع به أبوه الى التعلم في سن مبكرة ودرج في مدرسة الملك الظاهر •

ولما أتم تحصيله الابتدائي انتسب الى المدرسة التجهيزية ، وما كاد يتم الرابعة عشرة من عمره حتى فقد أباه ثم فقد أمه بعد أربع سنوات •

تابع الفتى تحصيله على أساليب عصره ، فأقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسني ، والفقه على قاضي الشام الشيخ عطا الله الكسم ، والصرف والنحو على الشيخ عبدالقادر الاسكندراني ، وأكب بكليته على الدرس والمطالعة ، وأخذ في نظم الشعر ، واستطاع في سن مبكرة أن يلفت اليه أنظار كبار الادباء والشعراء أمثال الامير شكيب أرسلان والاستاذ محمد كرد علي والاستاذ احمد بك الحسيني المصري والاستاذ بدر الدين النعساني والاستاذ اسعاف النشاشيبي وغيرهم •

وتوطدت آصرة الصداقة الادبية ما بينه وبين أولئك الاعلام من أئمة الادب رغم حداثة سنه بالنسبة اليهم •

وكانت مساجلات شعرية ما بين الشاعر الفتى وبين الامير شكيب نشرتها لهما أمهات الصحف وهي مثبتة في باب الاخوانيات من ديوان الخليل الذي طبعه المجمع العلمي العربي سنة ١٩٦٠ وكانت مساجلاته هذه هي باكورته الشعرية التي تشهد له بأصالة الطبع وتبشر بما سيكون للفتى من مستقبل كبير في عالم الشعر •

عين الفقيد مميزا لديوان الرسائل العامة في الحكم الفيصلي حينما كان الشريف فيصل بن الحسين ملكا على سورية ولم تصرفه الوظيفة عن متابعة نشاطه الادبي ولكن الوظيفة لم ترق له لانه تركها مختارا اثر نزوح الملك فيصل عن دمشق واحتلال الجيش الفرنسي لسورية ؛ وآثر الخليل أن ينصرف بكليته الى الشعر والتأليف وكان

نشاطه الادبي ملموس الاثر مما لفت اليه الانظار وكان أن انتخب في شهر آذار سنة ١٩٢١ رئيسا للرابطة الادبية وعمره لم يناهز ثلاثاوعشرين سنةوكانتتضم الرابطة الادبية فئة مرموقة من الادباء أمثال الاساتذة ، سليم الجندي وشفيق جبري واحمد شاكر الكرمي ومحمد الشريقي وعزالدين علم الدين وعبد الله النجار وغيرهم •

ظل الشاعر يعمل للرابطة وحلقاتها حتى أغلق الفرنسيون المجلة وندوتها وشتتوا عقد الرابطة حتى لا يرفع في سورية صوت لحر •

أغلقت الرابطة ، وظل الشاعر يتابع رسالته الادبية في ميداني الشعر والكتابة ، وكان صوته الشعري الترجمان الامين لمشاعر أمته واللسان المبين لها وديوانهالشعري طافح بالامثلة •

انتخب الفقيد عضوا في المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٥ بعد أن تقدم اليه برسالة عن شعراء الشام في القرن الثالث الهجري ، وكان أصغر الاعضاء سنا •

سافر إثر شبوب الثورة السورية الى لندن وانتسب الى جامعتها ودرس بها الادب الانكليزي مدة اربع سنوات •

أصدر سنة ١٩٣٣ مجلة الثقافة بالاشتراك مع الدكاترة جميل صليبا وكامل عياد وكاظم الداغستاني •

انتخب سنة ١٩٤١ أمينا لسر المجمع العلمي العربي بدمشق وعضوا في مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٤٨ وعضوا في المجمع العراقي سنة ١٩٤٩وانتخبعضوافي مدرسة الدراسات الشرقية في لندن سنة ١٩٥١ وعضوا في تحرير دائرة المعارف الاسلامية للمستشرقين سنة ١٩٥١ ونائبا لرئيس مجمع بالرمو سنة ١٩٥٢ وانتخب سنة ١٩٥٨ عضوا في مجمع العلوم السوفياتي •

تقلد مناصب وزارية أكثر من مرة ، كان وزيرا للمعارف سنة ١٩٤٢ ووزيرا للمعارف وللصحة العامة سنة ١٩٥٩ ، ووزيرا للخارجية سنة ١٩٥٣ .

انتخب سنة ١٩٥٣ رئيسا للمجمع العلمي العربي وظل قائما على اداء رسالته في خدمة المجمع حتى وفاته .

توفي الخليل رحمه الله في الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٥٩ إثر مرض لازمه شهورا ودفن قرب باب الصغير في مدفن الاسرة الذي شيدته لنفسها ولاولادها السيدة فاطمة خاتون حفيدة السلطان قانصوه الغوري وزوجة الوزير لالا مصطفى باشا جد الاسرة المردمية .

مَرَاحِلُ التَّأليفِ فِي حَيَاةِ الشَّاعِرِ الأدبيَّةِ

يمكننا ان نقسم مراحل التأليف في حياة الفقد الادبية ، الى ثلاث مراحل : مرحلة الشباب ، ومرحلة الرجولة ، ومرحلة الكهولة .

ولكل من هذه المراحل الثلاث طابعها المميز وصفاتها الخاصة بها ..

مرحلة الشباب :

تمتد هذه المرحلة من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٢٥ وبها ألف الخليل جمهرة المغنين ولم تناهز سنه الثامنة عشرة وهي باكورة تآليفه الادبية ثم أتبع ذلك بالتآليف التالية :

دروس في الانشاء العربي ، لمع الدرر في أعيان القرن الثالث عشر وهو كتاب تراجم الاعرابيات ، منتخبات شعرية من شعر الأعراب ، وألف رسالة في تاريخ أسرة بني مردم بك ، وختم هذه المرحلة بدارسة أدبية عن شعراء الشام في القرن الثالث الهجري قدمها للمجمع العلمي العربي إثر انتخابه عضوا به .

يقوم عنصر التأليف في هذه المرحلة على دراسة الفقيد للموضوع كوحدة تامة غير مجزأة ، وعلى جمع النصوص من صفحات الكتب الادبية وضم الصفحات المبعثرة الى بعضها بعضا لاستخراج صورة تامة للنص الادبي أو التاريخي شأنه في ذلك شأن العالم الطبيعي الذي يقوم في فحص اجزاء المادة لينفذ الى الكل .

مرحلة الرجولـة :

تبدأ هذه المرحلة الثانية من حياة الخليل من عام ١٩٢٩ إثر عودة الشاعر من لندن اذ غادر موطنه دمشق مدة أربع سنوات يدرس بها الادب الانكليزي في جامعة لندن واستمرت هذه المرحلة حتى مستهل عام ١٩٤٢ حيث نكب الفقيد بوفاة ابنه المأسوف على شبابه هيثم [1] .

انكب الشاعر في هذه المرحلة على دراسة طائفة مختارة من أئمة الكتاب وفحول الشعراء ، متتبعا آثارهم بحثا ودرسا بطريقة جديدة ومبتكرة ، فيها استقـلال الشخصية الادبية المرتكزة على ثقافة رصينة وذوق سليم .

كان يعمد الى دراسة النصوص الادبية في مظانها وأصولها ، ويدرسها بصورة تحليلية ، مستخلصا الاحكام من النصوص نفسها غير متقيد بأقوال من سبقه مـن النقاد ورجال الادب .

ان الاحاطة بخصائص هذه المرحلة من حياة الفقيد غير يسيرة اذا أردنا ان ندلل على ذلك بصورة مفصلة وانما سنقتصر على ايراد شاهدين على سبيل المثـال لنعطي القارىء صورة موجزة وذلك في رسالتي ابن العميد والفرزدق .

تكلم الشاعر عن ابن العميد ودرس بيئته وعرض الى ثقافته ، وحينما أتى على درس فنه الكتابي على ضوء ما لديه من آثار ابن العميد سطر ما يلي :

---

(١) ولد الفقيد هيثم سنة ١٩٢٢ وكان من المع الشبان واسرعهم بديهة وقد ظهرت مخايل النجابة عليه في سن مبكرة ، اصيب وهو طفل بالروماتيزم الحاد الذي اصاب قلبه وتوفي في مطلع سنة ١٩٤٢ بالمستشفى الاميركي ببيروت ونقل جثمانه الى دمشق له مجموعة شعرية مخطوطة موجودة عند صديقه المقدم تاج الدين خـالد ونشرت امهات الصحف الدمشقية بعض قصائده ، كان هيثم رحمه الله من احب اولاد الفقيد عـلى نفسه وان وفاته احالت ريشة الخليل السحرية مبضع جراح يقطر بالدم كما يطالع الناقد ذلك في مرثية الخليل لهيثم وفي قصيدة الضحية وقصيدة البحر الضادية .

« يحار الباحث في ابن العميد حينما يرى كتب التراجم والادب تغدق عليـه الالقاب وتكيل له جمل التقريظ بغير حساب من مثل الاستاذ الرئيس ، الجاحظ الثاني ، بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، ثم يرجـع الى آثـاره الباقية ، فلا يجدها تستحق كل هذه الجلبة والضوضاء ، فاذا همّ بالحكم ازدادحيرة وارتباكا ، أيسلم بما قال القائلون والشواهد غير قاطعة ، أم يتجرد عن كل مؤثر ويجعل تلك الصبابة من آثار ابن العميد دليله في الحكم على صاحبها وفي كلا الامرين حال لا يطمئن اليها الضمير ولا يسكن لها الوجدان » .

وهكذا يمضي الخليل في دراسته بتؤدة واتزان حتى اذا استنفذ البحث تمحيصا قرر حكمه :

« ان ابن العميد لا يخلو من غموض في اجمال المعنى ، وان كلامه كـلام مختار يزينه الفاظ رقيقة ، ومعان تنم على علم واسع ، وادب غزير ، ولكن كل ذلك لا يهز النفس ولا يستثيرها كما يفعل بها كلام الجاحظ وابن المقفع ، ومرد ذلك ان الادب في نظر ابن العميد ضرب من ضروب التسلية والتلهي ، واظهار البراعة » .

وحين قام الفقيد بدراسة الشاعر الفرزدق من ديوان شعره كشف عن جهات لم تكن مدروسة من قبل ، اذ لم يسبق أن تكلم ناقد على مخيلة الفرزدق الشعرية وكثرة نواحيه وتعددها ، وسعة مضطربة غير ان الخليل حينما أخذ في درس الشاعر كشف عن تلك النواحي باسهاب مؤيدا ذلك بالادلة مقررا :

« ان العصر الاموي عصر اسلامي ، وعربي خالص ، تغلب عليه سذاجة البداوة في الادب والسياسة والاجتماع ، ولا تجد شعرا أكثر تأثرا بالاسلام والعصبية العربية ، ولا أصح لغة ، وأجزل أسلوبا ، ولا أجمع لشوارد العربية وفصحها واخبار العرب وأيامهم من شعر الفرزدق وشعر الفرزدق في جملته يدل على قدرة الشاعر وبعد نظره وأحاطته بما يرمي اليه من الاغراض وسعة مخيلته واتساع مجاله ولذلك

كثرت فيه الصور ولكن أكثره غير منتزع من النفس وانما هو منتزع من طبع جاف ، كذلك فهو يعجب ويستدعي الاكبار ولكنه لا يمتزج بأجزاء النفس كشعر المطبوعين ، وهذا معنى قولهم الفرزدق ينحت من الصخر .

وهو على كثرة احسانه وتصرفه وسعة ميدانه ووفرة ما تناوله من المعاني والمواضيع في شعره يجيد الفخر كثيرا لما ركب في طبعه من حب التفاخر ، ويجيد الهجاء لانه سلاح يذود به عن دعواه في فخره ويستعمله في وجه من يهاجمه وينكر عليه تلك الدعوى ، ووصفه على قلة قصائده المخصصة للوصف من أجود الشعر ».

هكذا يمضي الخليل في دراسته لشعر الفرزدق ، ونحن نكتفي بهذين المثالين اللذين أوردناهما لنعطي صورة عن بحث الفقيد الادبي ودراسته الممتعة .

قامت مكتبة عرفة بطبع خمس كتب من تلك الدراسات التي حققها الشاعر من سلسلته أئمة الادب وهي : الجاحظ ، ابن المقفع ، ابن العميد ، الصاحب بن عباد والفرزدق .

وظلت بقية السلسلة غير مطبوعة وتتضمن عشرة ادباء من شيوخ البيان وفحول الشعراء امثال ابي نواس وابن الرومي والمعري وغيرهم .

لم يقف نشاط الشاعر في هذه المرحلة عند هذا الحد وانما كتب في أصل المقامات ونشره في مجلة الثقافة الدمشقية العدد الاول .

وكتب في الفولكلور السوري ونشر المقال في مجلة دمشق الجزء الثامن سنة ١٩٤١ وحاضر في المعهد العلماني الفرنسي عن شذوذ ابن الرومي سنة ١٩٤١ وكتب دراسة وافية عن شعر الوليد بن يزيد نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٣٧ وكتب دراسة عن شعر الطرماح بن حكيم الطائي نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٢ .

المرحلة الثالثة :

تبدأ هذه المرحلة من عام ١٩٤٣ وتنتهي بعام ١٩٥٨ أي الى ما قبيل وفاة الشاعر بقليل وفي هذه المرحلة اتجه الخليل الى التحقيق العلمي ونشر المخطوطات الادبية .

حقق الفقيد في هذه الحقبة الاخيرة من حياته ديوان ابن عنين وذلك سنة ١٩٤٦ ، وحقق عام ١٩٤٩ ديوان علي بن الجهم وفي سنة ١٩٥١ حقق ديوان ابن حيوس في جزئين كبيرين وفي سنة ١٩٥٨ حقق ديوان ابن الخياط .

عمد الى دراسة بعض القصائد الشعرية التي لم يسبق أن نشرت بكاملها في كتاب واحد وقدم لها بدراسة وافية وأثبت القصيدة كاملة مشروحة مضبوطة :

وله يوميات بدأ بها عام ١٩٤٣ سطر بها وقائع تسعة أشهر ثم توقف عن متابعتها؛ جمع الفقيد تقاريره السياسية حينما كان وزيرا مفوضا للحكومة السورية في بغداد ودونها في مجموعة على حدة وهي مجموعة طريفة جمعت بين توقد ذهن السياسي وبيان الشاعر المشرق .

كانت دراسة الخليل للمخطوطات نسيج وحده ، ذلك أنه كان يقوم بقراءة المخطوط قراءة ملؤها الروية والامعان ثم يعمد بعدها على نقل المخطوط بيده حرفا بحرف فاذا أتم عمله أعاد قراءة المخطوط مجددا ثم يقابله مع جميع المخطوطات التي سبق وهيأها فاذا استوفى النقص أو الخطأ وتأكد له ذلك عمد الى الشرح والتعليق حتى لا يترك ثلمة أو سقطة واحدة من السقطات ، واذا أتم تحقيقه وانتهى عمله قام بدراسة وافية عن صاحب المخطوط وقد تتجاوز الدراسة خمسين صفحة من القطع الكبير ، وبها يستوفي بحثه كاملا ويؤديه حقه من الاتقان والدرس ان مراحل التأليف في حياة الفقيد الادبية على ما بها من اختلاف في بعض خطوطها العامة فان قاسما مشتركا يجمع ما بينها ، وقوام هذا القاسم المشترك الدقة في العمل والذوق الادبي السليم المرتكز على الثقافة والطبع الاصيل .

خليل مردم بك شاعرا

أجمع نقدة الشعر المعاصرون[1] الذين تكلموا عن الشعر السوري وعن الشعر المعاصر على ان خليل مردم بك شاعر في الطليعة الاولى من شعراء هذا العصر ، لان الشعر صوغ ونسج وخيال ، والخليل أتقن الصوغ وجوّد النسج وبرع في التصوير .

لم يكن شعر الفقيد للمناسبات الطارئة وانما كان للاحداث التاريخية الكبيرة ولنوازعه النفسية وللفن الرفيع .

سطر الحوادث التاريخية والاحداث القومية ملحمة خالدة من الشعر الرائع وان تاريخ سورية السياسي المعاصر تقرأه في وطنيات الخليل تاريخاً حياً يروعك ويشجيك ، ويسمو الشاعر أحيانا ويخرج عن دائرة الوطن الى دائرة انسانية أوسع فهو لا يقتصر على تمجيد البطولة والحرية عند بني قومه بل يكبرهما عند كل حر ولو كان أجنبيا عن بني قومه كما فعل في رثائه لملك سويني حاكم كوك الذي بقي صائما حتى مات احتجاجا على التعسف البريطاني .

---

(1) رجعنا في كتابة هذا الفصل الى ما كتبه الاساتذة عن شعر الفقيد في دراستهم لشعره وهم : الدكتور جميل صليبا في كتابه الاتجاهات الفكرية والدكتور امجد الطرابلسي في كتابه شعراء الحماسة في بلاد الشام والدكتور حكمة هاشم في بحثه عن شعر الفقيد والدكتور سامي الدهان في كتابه الشعر الحديث والاستاذ فؤاد افرام البستاني في دراسة ادبية عن الفقيد اذاعها سنة ١٩٦٠ بالاذاعة اللبنانية وارسل لي نسخة عنها وكلمة للدكتور شوقي ضيف ارسلها الي في تقريظه ديواني صفحة ذكرى .

قال يرثيه في قصيدة من حر الشعر :

أبى رق الحياة فمات حرا ... وأبلغ نفسه في ذاك عذرا
أبيٌ ساغ كأس الموت صرفا ... دهاقا حين طعم العيش مرا
وأقسم لا يكون حماه نهباً ... فقدم نفسه للحب مهرا
وتمت قلبه بكر المعالي ... مباحاً أو يموت طوى قبرا

واذا أتى الشاعر الى وصف الاحداث السياسية عرف كيف يقدمها للقارىء آية بيانية لا تبلى جدتها مع الزمن ، فلقد أكبر الفقيد في شخصية الحسين بن علي التضحية اذ آثر ان يعيش شريدا مع الشرف على ان يكون ملكا لا ذمة له ولا ذمام لانه لم يفرط بحق فلسطين ولم يتساهل مع البريطانيين قيد أنملة .

رسم الشاعر هذه المأساة درة شعرية حين قال :

هويت فزدت يوم هويت قدراً ... ولم يك فوزهم الا غرورا
فكنت ككفة رجحت وفاءً ... وكانوا كفة شالت خفورا
هويت فكنت صاعقة عليهم ... تشبُّ على مطامعهم سعيرا
كذاك السيف أمضى وهو هاوٍ ... وأقطع مضرباً منه شهيرا
خلعت الملك عن كتفيك لما ... بدا لك ثوبه ضيقاً قصيرا
تبوأت القلوب سرير ملك ... غداة بذلت تاجك والسريرا
ركلت التاج لا ترضاه غلا ... وغيرك يعقدون التاج نيرا

ان هذه الابيات القليلة قصة مأساة الحسين وفاجعته .

وكذلك فان الخليل سطر بطولات الشعب السوري ومآسيه في نضاله مع المستعمر ملاحم خالدة توقظ حمية الجهاد في كل نفس ، قال يصف يوم ميسلون :

أيوسف والضحايا اليوم كثر ... ليهنك كنت أول من بداها
زكا نبت البلاد وليس بدعا ... زكيات الدما كانت حياها
فديتك قائدا حيا وميتاً ... رفعت لكل مكرمة صواها
غضبت لأمة منها معد ... فأرضيت العروبة والإلها
هويت على المنية لا تبالي ... كما تهوي الثواقب من سماها
فدى لك بل لنعلك كل تاج ... تصرفه الطغاة على هواها

ان قصائده الوطنية عديدة وهي مثبتة في ديوانه ويمكن للقارىء ان يرجع اليها .

أما باب الرثاء في شعر الشاعر فهو على قلته من رصين الشعر العربي وعيونه ومردّ ذلك ان الفقيد لم يرث الا اشخاصا اعزاء عليه فكان يمتح من معين قلبه فلا عجب اذا أبكى وأحزن .

ان مرثية الخليل لابنه هيثم صورة للمأساة الانسانية المعذبة التي تتكرر كل يوم على مسرح الوجود ولقد أعرب الشاعر عن الفاجعة الانسانية بأفجع نغم وتكلم بلسان كل أب مفجوع حين قال :

لزوال جميع ما أنت رائي ... فاعتبر بالظلال والافياء
ما اختلاف النهار والليل الا ... كاختلاف السيوف في الهيجاء

الى أن يقول :

حسرات تحت التراب ظماء ... فجّرت في الصفا عيون الماء
كل غصن في الارض ينبت رمز ... لبلى كل قامة هيفاء
والازاهير بهجة وسناء ... من وجوه تحت التراب وضاء

واذا اشتد ألم الشاعر أكثر كشف عن جرحه العميق الذي لم يزل يقطر بالدم قائلا :

طال صمتي حتى لقد ظنه النا ... س عزاء ولات حين عزاء
ان للحزن غصة تمنع البا ... كيَ من رفع صوته بالبكاء
طول عيش المفجوع مهما تأسّى ... بعد فقد الاحباب طول عناء
ألم الجرح حين يبرد والمد ... بوح آلامه بطول البقاء

وكأن الشاعر وطّأ لهذه القصيدة المفجعة بقصيدته الضحية التي هي في الحقيقة رمز للقلب الانساني المعذب الذي لا حول له ولا طول أمام مدية القدر . وكان تصوير الشاعر للضحية درة فريدة في الشعر العربي ونكتفي بايراد بعض أبيات القصيدة على سبيل المثال :

جرت مدية الجزار بدءً وعودة ... على نحرها تفري وتبرى وتهرق
وقد برقت حمر المنايا وزرقها ... على منهل للموت كالمهل يوبق
على نحرها لون من الموت أحمر ... وفي شفرة الجزار آخر أزرق
ترى الموت ألوانا تروع رهيبة ... فتشخص عيناها به وتحدق
أطل عليها وهو أزرق لا مع ... وسال عليها وهو أحمر مشرق
تحاول اذ ذاقته بصق لسانها ... لو ان لسانا للمرارة يبصق
فعضت عليه حين آلمها الردى ... لتقطعه من كره ما تتذوق
اذا زفرت در النجيع كأنه ... لهيب يطيل النفخ منه ويدلق
تهم بلفظ النفس من حرج بها ... وقد عجزت عن ردها حين تنشق
تردد بين النحر والسحر نفسها ... كلا غايتيها الموت دام وضيق

وان باب النسيب في شعر الشاعر فريد وطريف في بابه لانه جمع بين وصف

الطبيعة ووصف من يحب في صورة واحدة لا يتأتى رسم هذه الصورة لغير ريشة الخليل السحرية كقوله :

وخميلة نسج الربيع برودها ... براقة من شمسه وغمامه
يزكو بأنفاس الازاهر نشرها ... يا طيب انفاس الرحيق بجامه
والزهر بين مفتح ومغمض ... أحسن به في صحوه ومنامه
والغرب بالاثباح يزخر أفقه ... فكأنها الاضغاث من أحلامه
حتى طلعت فكنت أحسن طلعة ... من باسم النوار في أكمامه
فشغلتني عن كل ما أحببت من ... صور الربيع وطيبه وكلامه
وقدحت زند الشعر بي فقبست من ... عينيك سحر بيانه ونظامه

أو كقوله في قصيدة (لولاكِ) •

هذا هو البدر في شتى مطالعه ... أفي التمام أم الاهلاك حاكاك
كأنه صورة ما زال راسمها ... يمحو ويثبت كي تحكي محيّاك
والشمس في روعة الاشراق ماطمعت ... بروعة خصها الباري بسيماك
عز اللقاء فهاجت بي نوازعه ... فقمت من مرتقى (صنين) أرعاك

أو قوله في قصيدة ردت عليّ شبابي حيث وصف الكأس وطيب الثغر :

كأس تدار على هوى الاحباب ... شفة تعلل راشفاً برضاب
ولها وللابريق حين تناجيا ... لغو وقهقهة وهمس خطاب
بعثت بأحلام تجدد صبوتي ... وبذكريات للشباب عذاب
عادت بي الذكرى الى عهد الصبا ... فكأنها ردت عليّ شبابي

الى أن يقول :

وصبيحة تختال في برد الصبا ... والحسن سوداء الفروع كعاب
قالت وقد رأت المشيب بلمتي ... لوددت لو أن البياض خضابي
كنا نعد كؤوسنا حتى اذا ... كثرت شربناها بغير حساب
وبدا لنا ان الشفاه ورشفها ... أروى على ظمأ من الاكواب
ما زال من عرق العناق وطيبه ... بعد التفرق عبقة بثيابي

أما الشاعر في تصويره للطبيعة وفي باب الوصف فانه يأتي وامراء الشعر العربي كابن الرومي والبحتري في صف واحد •

ومرد ذلك ان الخليل أوتي ملكة نادرة عرف كيف يستخدمها وتمرس بها كل مذهب ، يختار من الاوزان ما يناسب الشحنة العاطفية التي تتلبس بالشعور لتأتي موسيقاه وافية بشروط الايحاء والتعبير ، فياضة بالحركة واللون في كل موضوع يطرقه •

ان الشواهد كثيرة ، ولكنا سنقتصر على بعض الامثلة ، فقصيدة الطيف صورة تامة بلغت الغاية القصوى من الكمال والروعة في الادب العربي •

أعطى قليلا واسترد ... ودنا على مهل وصدّا
طيف ألم وليلتي ... رفعت من الظلماء بددا
فأطل مثل البدر من ... خلل السما اذا تبدّى
يا روعة لما تمثل ... بالعراء وماس قدّا
عار من الاثواب كأس ... من معاني الحسن بردا
أرأيت دمية مرمر ... ترتج رائقة ونهدا
وجه تلألأ مشرقاً ... كالسيف ماءً أو فرندا

أخفى بمنشور الذوائب من محاسنه وأبدى
غالطت نفسي واتهمت العين حيناً اذ تصدّى

يمضي الشاعر في وصفه الطيف بمثل هذه النغمات السحرية والصور الرائعة باكثر من خمسين بيتا من الشعر لا تجد دونها بيتا واحدا من سقط القول ، ولم يسبق لشاعر من شعراء العربية ان وصف الطيف باكثر من بيتين أو ثلاثة ، هذا البحتري على جلالة قدره وكان من المعدودين أنه ابرع من وصف الطيف لم يأت باكثر من ثلاثة ابيات حين قال :

اذا ما الكرى اهدى اليّ خياله شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
اذا انتزعته من يدي انتباهة حسبت حبيباً راح مني أو غدا
فلم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذب أيقاظاً ونعم هجّدا

وان قصيدة الخليل في وصف الرقص معلقة الشعر الحديث ، اذ انسجم اللون بها مع الحركة وموسيقى اللفظ ، وكان بودي ان انقلها بكاملها وهي خمسون بيتا من الشعر ولكنني اكتفي بسرد مقطعين اثنين منها على سبيل المثال وللقاريء ان يرجع الى الديوان فهي منشورة في الصفحة ٢٠ قال :

نفخ الصور فهبوا مسرعين مثل ما نفرت طيرا بالصفير
وعلى الصهباء كانوا عاكفين من رأى سرب مها حول غدير

* * *

كم فتاة فتنة بالمقلتين واعتدال القد والجيد التليع
جئت الشعر الى السالفتين فاستبدت بابن هاني والصريع
أخذت من ذيلها للركبتين ومن الطوق الى أقصى الضلوع
ومن الكمين حتى المنكبين فبدت في درعها غير المنيع

من عراء واكتساء بين بين بل من الحسن بجلباب بديع
وفتى من حسنه ملء العيون حسن اللفتة كالظبي الغرير
هو لو لم يتخذ زي الذين عد من حزب اللواتي في الاثير

* * *

كل الفين انضوى شملهما أقبلا فاعتنقا أي اعتناق
لو صببت الماء ما بينهما لم يكد يخلص من فرط اعتلاق
علقت كف بكف منهما شركاً واختلفت ساق وساق
ودنا الخدّان من بعضهما حينما الجيدان هما بالتلاقي
وعلى الانغام كانت لهما خطوات باتزان واتساق
رقصا شتى ضروب وفنون من دبيب خافت أو ذي صرير
بينما عومهما عوم السفين اذ هما بالحجل كالطير الكسير

وان قصيدته فراشتان لوحة موّارة بالحركة واللون اسمع اليه يصفهما :

تمر الناظرين فراشتان بروض ناعم تتغازلان
تبرجتا بنفض من سواد على أعطاف حلة أرجوان
يلوح على حواشيها بياض كما نصلت أصول الزعفران
زوت كلتاهما قرنين دقا كما يزوي لغمز حاجبان
وضمت من جناحيها فكانت كعرف الديك أو رقم الثمان
وأرخت منهما فبدت كحلي تلالأ فوق لبات الحسان
أفانين من الحركات زاغت لها عيني وعيّ بها بياني
فمن ضم الى نشر لوثب لرفرفة الى حرب عوان

توالتا مشاقة فيا من رأى الديكين اذ يتساوران
ورفرفتا مهادة كما في مهب الريح رفت وردتان
ورفرفتا فخلق لهيب نار ينفنض بالفروع وباللسان

وهكذا يمضي الشاعر على هذا النحو من الابداع الى أن يتم قصيدته وقد وصف القصيدة الدكتور حكمة هاشم عضو المجمع العلمي العربي في بحث عن شعر الفقيد بقوله :

« ليست هذه القطعة بقصيدة وانما هي لوحة فنية رائعة جاءت فيها الالوان والاضواء والظلال على نسب صحيحة مقدورة بريشة لوي جيرار أو نيقولا بوسان» .

ان احسان الخليل في شعره الوصفي بالغ الدرجة القصوى [1] ولا يمكن أن نفيه حقه في كلمة عجلى وانما ننصح للقارىء ان يرجع الى الديوان ويطالعه بنفسه .

والشاعر في كل ابواب شعره التي طرقها يراعي وحدة القصيدة فهو لا يعتمد على وحدة البيت وانما على وحدة القصيدة بمجموعها .

والناظر في شعر الخليل يتبين دقة الملاحظة وسعة الخيال كما يتبين اثر ثقافة اسلامية واسعة في العلم والادب مقرونا الى شرف اللفظ في أروع ديباجة وأجلى بيان .

(١) ترجم شعر الخليل مستشرقون اجلاء الى لغاتهم الاجنبية ، ترجمه الى الالمانية المستشرق الاستاذ كيفماير والى الانكليزية المستشرق الاستاذ اربوري والى الفرنسية المستشرق الاستاذ اميل برمتغام .

جَمْهَرَةُ المُغَنِّيْن

جمهرة المغنين تاريخ موجز عن المغنين المسلمين وسيرهم في أزهى عصور الخلافة الاسلامية أيام بني أمية وبني العباس الى زمن الراضي وبه بحث ممتع عن تاريخ الغناء والمغنين وتأثير الغناء وآلاته ومن دونته صنعة في الغناء من الخلفاء واولادهم مع ترجمة لابن النقيب .

الكتاب على ايجازه طريف في بابه اذ لم يسبق لمؤلف معاصر أن ألمّ بتاريخ الغناء العربي وترجم للمغنين الاسلاميين والندماء ومجالسهم عند خلفاء الدولتين واحدا بعد واحد الى زمن الراضي مع ترجمة ما ورد اسمه من الخلفاء والامراء والوزراء والندماء والشعراء في قصيدة ابن النقيب .

وقد عانى المؤلف في جمهرته من الصعوبات الشيء الكثير ، ومرد ذلك فقدان المصادر وتفرق اخبار المغنين والاعلام في كتب السير والتراجم .

يحدثنا المؤلف عما تحمل من الجهد حينما أكب على شرح قصيدة السيد عبد الرحمن حمزة في مقدمة جمهرته بقوله : « ما زلت التقط من كل كتاب نادرة، وسفر شاردة ، وكناش فائدة ، ونشرة نكتة ، فيما له مساس بعملي هذا ، أضمها بعضها الى بعض وأقرب المسافات بينها بالمناسبات حتى أتممته في حولين الا أياما » .

ويكشف لنا المؤلف في هذه الاسطر القليلة عن الجهد الكبير الذي بذله في عمله ، انّ مردّ اهتمام الشاعر خليل مردم بك رحمه الله الى تأليف جمهرته يعود الى نوازع نفسية صرفة ، تتعلق به مباشرة ويعود الى واجبات أدبية اقتضاها عليه خلقه النبيل لاداء دين أدبي لاشخاص عزيزة على نفسه .

تتلخص النوازع النفسية الى ما طبع عليه الشاعر من الحس المرهف ورقةالشعور وتقديره للجمال في أوسع ما في هذه الكلمة من معنى ، فقد كان الخليل شاعر الجمال الذي لا يجارى في ميدانه بين معاصريه ، وقد رسم للجمال صورا رائعة شتى في قصائد شعرية عديدة كوصفه غروب الشمس في قصيدته التي يقول بها:

للشمس اذ هجعت اضغاث احلامِ ... أما ترى الكون أمسى لوح رسّامِ
مالت الى الغرب تتلوها مشيعة ... مواكب ناشرات حمر أعلام
انظر الى الافق الغربي تلف به ... جنان عبقر فوق الاخضر الطامي
خمائل أنبتت من كل زاهرة ... يجودها النور مثل العارض الهامي
نهر من النور هاجت في جوانبه ... رياض ورد ومنثور ونمام
تريك فوضى من الالوان مائجة ... على قوارب من ضوء واظلام

أو في وصفه شروق الشمس :

مالها تشرق حمرا أتراها ... مقلة وسنى أفاقت من كراها
فتح المشرق عنها جفن من ... بلغت منه الحميا منتهاها
أم تراها شعلة والسحب من ... فوقها مثل دخان قد علاها
عصفرت داراتها فاتقدت ... كشواظ النار يستشري لظاها
ونفت أثوابها الحمر على ... جنبات الافق واستبقت حلاها

ووصف نهر بردى بقصيدة عبقرية من عيون الشعر العربي نقتطف قوله :

يريك في جريه من مائه صورا ... تبدو على ثبج منه وضحضاح
ما بين منسرب أو مزبد لجب ... أو مستدير كظهر الترس منداح
اذا تموّج مختالا بجريته ... عجبت من قابض كفا ومن داح
ما مر في بقعة الا وخاطبها ... طورا بغمغمة طورا بافصاح

في كل مرحلة لحن فمن هزج ... الى هدير الى ترنيم نوّاح
يجد في ضيقه حتى اذا انفرجت ... ضفافه سار رهوا سير مرتاح
ان دغدغته الصبا آبت بعبسته ... لكنها عبسة السكير للراح
وان تلاطم أو جاشت غوار به ... سمعت من موجه تصفيق مفراح
وان تململ في الوادي وضاق به ... سمعت همهمة من صدر ملاّح

* * *

اذا تشعب في الوادي حسبت يداً ... مدت أصابعها من كف مسماح
تخاله ذيل طاووس اذا لمعت ... أزهاره بين مخضر ومياح

فلا عجب اذا استجاب الخليل لنوازعه النفسية في تأليفه الجمهرة، والغناءوالشعر اخوان وهو الفنان المرهف والشاعر العبقري الفذ .

وتتلخص الواجبات الادبية التي دعته لتأليف كتابه ما عرف عن الفقيد من بر الى والديه وحب عميق يتجلى في أكثر ما سطر ؛ احياء لذكراهما الغالية .

فحبه الى والده جعله يقوم بتأليف رسالة عن تاريخ اسرة بني مردم بك وترجمة جدوده وأعمامه والرسالة على صغر حجمها طريفة وممتعة وهي مخطوطة ، وان حب الشاعر لأمه دعاه الى اكباره لاسرتها ، فكان لا يفتأ عن تتبع سير آل حمزة المعروفين بآل النقيب وجمع أخبار الاعلام منهم وقد ترجم لطائفة صالحة منهم في مؤلفه لمع الدرر في اعيان القرن الثالث عشر .

هذا وقد أتى على دراسة ديوان السيد عبد الرحمن ، وكان الخليل رحمه الله أو من نبه عليه وقام بدراسة عنه نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي .

ولقد أعجب الشاعر خليل مردم بك برائية ابن النقيب لانها تضمنت اخبار عدد كبير من المغنين مع ذكر الاماكن التي لها مناسبة ومساس بالموضوع ما جعل القصيدة في رأي صاحب الجمهرة تصح ان تكون طبقات للمغنين •

ان رائية ابن النقيب على طرافتها وحسن سبكها اللفظي لا تقف بالقارىء على اكثر من تعداد اسماء لا يعرف من حالها شيئا اذ لا تعدو عن كونها ارجوزة في تعدادها للاسماء وان عدد ابياتها سبعة عشر ومائة بيت ، فكان لا بد من شرحها للاعراب عما استعجم منها •

يمتاز اسلوب الخليل في جمهرته بجزالته وصحة تراكيبه ، وبيان مشرق وضاء يذكرنا باسلوب الجاحظ والجرجاني وابن المقفع •

ولقد تتلمذ الشاعر في أول عهده لاولئك الأئمة وأخذ منهم بقدر لا اسراف به ولا غلو ، ذلك ان شخصيته الادبية تأبى عليه ان يكون مقلدا ، وانما صهر جميع ما قرأ من كتب أئمة الادب ببوتقة مخرجا ضربا جديدا من الصياغة الكتابية التي لا ينكرها عليه البيان العربي الاصيل ، ولا ينفر منها الذوق الحضري المعاصر •

وأسلوب الشاعر الكتابي في الجمهرة دليل على صحة ما قدمناه اذ ان مقدمة الكتاب تذكرنا باسلوب شيخ البيان عمرو بن بحر الجاحظ • حيث يقول الخليل :

« الغناء عصمك الله راحة الروح وترجمان الوجدان ، ومثير الحس ، ترتاح اليه النفوس على السراء والضراء وحين اليأس ، وينفث الانسان به ما أكنته صدره من كمين التأثرات ، وجن في حنايا ضلوعه من خفي السرائر مما لا يدركه الوهم ، ولا يتوهمه الادراك •• الخ » •

فالمتدبر لهذه القطعة يلمس أسلوب الجاحظ في بيانها المشرق وصحة تراكيبها وجرس الفاظها الموسيقي • وما ينطبق على المقدمة ينطبق على بقية فصول الكتاب

ذلك أن أسلوب الجمهرة في بيانه جاحظي لا غموض به ولا عوج يضاف الى ذلك الدقة في تحري صحة الاخبار والذوق السليم في صوغ العبارة وعرضها على القارىء •

وتجد الخليل في نقله الاخبار ناقدا فاحصا لا يسلم بكل خبر سطرته لنا كتب الرواية وانما ينقل الخبر بتحفظ وحذر ويشير الى مواطن الضعف به ان كان به ثمت مطعن شأن خبر تكبة البرامكة وعزو الرواية ذلك الى زواج جعفر بالعباسة سرا غير ان المؤلف طعن بهذه الرواية وآثر رأي ابن خلدون القائل بان الاسباب سياسية بحتة •

ومجمل القول ان جمهرة المغنين موسوعة موجزة تضمنت اخبار طبقة المغنين في عاداتهم واخلاقهم ومجالسهم عند الخلفاء حيث يقف القارىء دونها على حضارة دولتي بني أمية وبني العباس مع دراسة موفقة لتاريخ الغناء ببيان مشرق ودقة في نقل الاخبار • والغريب ان عمر الخليل حين أتم مؤلفه هذا لم يكن جاوز الثامنة عشرة ولا عجب اذا ما ابدع الخليل في شبابه وهو العبقري والعبقرية لا تتقيد بعمر معين ، و لا ببيئة معينة •

عدنان مردم بك

٣ ايلول ١٩٦٤

جمهرة المغنين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الغناءُ عصمك اللهُ راحةُ الروح، وترجمان الوجدان، ومثيرُ الحس، ترتاح اليه النفوسُ على السرّاء والضرّاء، وحين اليأس، وينفث الإنسانُ به ما أكنّه صدره من مكين التأثرات، وجنّ[1] في حنايا ضلوعه من خفيّ السرائر مما لا يدركه الوهم ولا يتوهمه الادراك، فما يكاد يطرق سمع السامع حتى يفعل به فعل الكهرباءة بالاجسام، فكم من جبان عاد بتأثيره شجاعاً، وبخيل أصبح جواداً، وعزهاة[2] أمسى وامقاً[3]، فأي ناسكٍ يسمع العاشق يناجي محبوبته مغنياً وسائلاً:

هل تعلمينَ وراء الحبِّ منزلةً تُدني اليك فإنَّ الحبَّ أقصاني[4]

ولا يكون أكثر صبابة من جميل[5] بثينة، بل وأي غريب يسمع الشاعر اليماني وهو يجود بنفسه نازحاً عن بلده يطرب بقوله:

---

(١) جَنَّ: ستر.
(٢) عزهاة: عازف عن اللهو والنساء لا يطرب لها.
(٣) الوامق: المحب.
(٤) البيت لبشار بن برد.
(٥) جميل بثينة: شاعر غزل من قبيلة عذرة قصر شعره على صاحبته بثينة.

ولما تراءت عند (مرو[1]) منيتي وخلّ بها جسمي وحُمّت وفاتيا
أقول لأصحابي ارفعوني لأنني يقرّ بعيني أنّ سهيلاً[2] بدا ليا

ولا ينقطع نياط قلبه حنيناً لوطنه .

ولم يستبدّ بالغناء قوم دون قوم بل ولا الانسان دون الحيوان فما تغريد الطائر عند انصداع الفجر على غصن يؤوده نسيم سجسج[3] في روضة أنف[4] بل وما بغام[5] الظباء عندما تودع الشمس الأفق تاركة بوجناته آثاراً أرجوانية من القبلات ،في فلاة لا يدرك الطرف آخرها الا غناء تعرب فيه عما تتأثر به .

وكم من صادح رفرف بتأثيره على رأس مغن .

والطير قد يسوقه للموت إصغاؤه الى حنين الصوت

ووحش أنِسَ بصوت حسن وأشباه ذلك كثير ، فيما سنذكره في لمعة عن تاريخ الغناء والمغنين .

هذا ولقد أطلعت على قصيدة فريدة في بابها للسيد عبدالرحمن النقيب المعروف بابن حمزة ، ذكر فيها المغنين والندماء ومجالسهم عند خلفاء الدولتين واحداً بعد واحد ، الى زمن الراضي ثم ذكر البرامكة وآل حمدان وابن

(١) مرو : مدينة في خراسان ، وهذا البيت من قصيدة قالها مالك بن الريب يرثي بها نفسه.
(٢) سهيل : نجم معروف
(٣) سجسج : اذا لم يكن فيه حر ولا قر .
(٤) روضة أنف : لم يرعها أحد .
(٥) البغام : الصوت الصادر عن الظبية .

العميد[1] والصاحب بن عباد[2] ، ثم شفع ذلك بذكر الأماكن التي لها مناسبة ومساس بالموضوع كغوطة دمشق وشعب بوّان وصُغد سمرقند ،والأبلّة[3] ثم أورد ذكر شيء من مدينة العباسيين وعاداتهم في سكنهم ومعاشهم وختمها بتوديع كل ذلك بالسقيا لهم ولأيامهم شأن كل من اطلع على يسير من تاريخهم .

فداخلني إذ ذاك من السرور ما الله به عليم لأنها طبقات رجال أكل الدهر على أخبارهم وشرب حتى أصبحوا نسياً منسياً ، لكنها لا تقف بالقارىء على أكثر من تعداد أسماء لا يعرف من حالها شيئاً ، فحسن لديّ أن أشرحها شرحاً موجزاً بعد أن فاتحت بذلك أحد أركان العلم والأدب ، فما كان منه الا أن نفث في روعي روحاً أجّجت كامن المهمة ، فمضيت في العمل فما ساخت هلالاً إلا وقد نلتُ أُمنيتي . لكن ما زالت في النفس حاجة للتوسع في الموضوع والإعراب عما استعجم من أخبار طبقة المغنين في عاداتهم وأخلاقهم ومجالسهم ومقاماتهم عند الخلفاء وأولي الأمر ، فبدا لي أن أشرحها شرحاً ثانياً ، يكون وافياً بالمطلوب ، وجامعاً لكل منهم من أخبار ما ورد فيها من الخلفاء والأمراء والوزراء والندماء والشعراء والمغنين والأماكن ، بحيث يقف القارىء من خلال ذلك على حضارة

(١) ابن العميد : هو كبير وزراء الدولة البويهية وأحد أعلام نهضتها وله طريقة خاصة في الكتابة وكان يطلق عليه اسم الجاحظ الثاني .
(٢) الصاحب بن عباد هو كافي الكفاة ابو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن والصاحب لقبه كتب لمؤيد الدولة ومن بعده لفخر الدولة وتخرج في الكتابة على ابن العميد حتى بذّه.
(٣) غوطة دمشق ، وشعب بوان ، وصغد خراسان والأبلة أمكنة يطلق عليها اسم جنان الدنيا الأربع لجمالها .

الدولتين ، فهناك يصح أن تكون القصيـــدة طبقات للمغنين ، وعند ذلك استخرت الله فخار لي واستمددت منه حبل المعونة فأمدني ، فما زلت التقط من كل كتاب نادرة ، وسفر شاردة ، وكُنّاش فائدة ، ونشرة نكتة ، فيا له مساس بعملي ، هذا أضمها بعضها الى بعض وأُقرّب المسافات بينها بالمناسبات حتى أتممته في حولين إلا أياما ، وكان قد حال بيني وبين العمل شواغل رجحت فيها كفة الانقطاع على كفة المثابرة .

فكان جهد المقل وغاية المملق ، وتتميماً للفائدة صدّرته بلمعة ، ذكرت فيها (تاريخ الغناء وأول من دوّنه ، وتأثيره ، وآلاته ، ومن دونت له صنعة فيه من الخلفاء وأولادهم ، وما أحتجّ به في جوازه وتاريخ المغنين ومنزلتهم) . وتحت كل بحث من هذه الابحاث تنطوي فوائد جمة تتوق لهـــا نفس الأديب ويبتهج بها الباحث الأريب .

والله أعلم بما لاقيت في سبيل ذلك من المصاعب لتفرقه في مبعثرات الكتب ، وعدم تدوينه في كتاب على حدة فيما وصلنا من الأسفار ، وقليل ما هي .

ثم ذكرت به ترجمة صاحب القصيدة رحمه الله تعالى . وترجمت الشرح (بجمهرة المغنين) راجياً من الله أن يتجاوز عما طغى به القلم ويجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم .

٢٨ شعبان سنة ١٣٣٤ خليل مردم بك

لمعة عن تاريخ الغناء والمغنين

تاريخ الغناء

الغناء قديم وجد مع النفس ، فهو تربها[1] الذي تأنس به ، وصاحبها الحميم ، تفزع إليه حين الشدائد ، وتستعين به على تنمية ما تميل إليه من حزن أو سرور ، ولم يكن الغناء في غابر العصور ، على ما نعهده اليـــوم من ضبط القواعد ، والروابط ، بل كان ساذَجاً ، وأول من جعل له قواعد ، وضوابط على ما قيل بطليموس[2] . وكان أول من غَنّى في العرب من النساء قينتان[3] لعاد[4] يقال لهما الجرادتان[5] ومن غنائهما :

ألا ياقينُ ويحك قمْ وهينمْ لعـــلّ الله يصبحنا غماما

وأول من غَنّى من الرجال في اليمن ذو جدن وهو قَيْل[6] من أقيال حمـــير واسمه علس بن يشرح .

(١) الترب : من ولد معك من الأصدقاء والاخوان .
(٢) كذا في العقد الفريد ، وفي كشف الظنون ان واضع هذا الفن أولا فيثاغورس وهو فيلسوف يوناني اشتغل بالرياضيات والموسيقى واليه ينسب أول « سلم » موسيقي .
(٣) القينة : المغنية .
(٤) عاد : رجل من العرب ورد ذكره في القرآن الكريم .
(٥) كذا في العقد الفريد ، وفي الأغاني كانت لعبدالله بن جدعان أمتان تسميان الجرادتين تغنيان في الجاهلية سماهما بجرداتي عاد ووهبهما لامية بن أبي الصلت الثقفي .
(٦) قَيْل : جمعها أقيال وهم ملوك اليمن ، كالقياصرة للرومان .

وهكذا كان غناء العرب في جاهليتهم ساذَجاً كتغني الحُداة في حداء إبلهم، والفتيان بالقمر والنجم والفلاة والخيل . وقد ورد ذكر الغنـــاء في شعرهم قال طرفة[1] بن العبد :

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رِسْلِها مطلوقة لم تَشَدَّد

أي لم تتكلف ، وهذا الغناء الساذَج ، وكانوا يطلقون على الترنم بالشعر اسم (غناء) ، وان كان بالتهليل أو القراءة سموه تغبيراً لأنه يذكر بالغابر .

قال ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة[2] : غناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب والسناد والهزج .

فأما النصب ، فغناء الركبان والفتيان ، قال اسحق[3] بن ابراهيم وهو الذي يقال له المرائي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبدالله بن هُبل ، فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحـــداء ، وكله يخرج من أصل الطويل في العروض . وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات ، والنبرات وهو على ست طرائق : الثقيل الأول وخفيفه ، والثقيل الثاني وخفيفه ، والرمل وخفيفه . وأما الهزج ، فالخفيف الذي يرقص عليـــه ويُمشى بالدُّف والمِزمار ، فيُطرِبُ ويستخفُّ الحليم .

(١) طرفة بن العبد : شاعر جاهلي معروف من أصحاب المعلقات .
(٢) كتاب شهير لابن رشيق القيرواني وهو من أمهات المراجع الادبية القديمة .
(٣) هو اسحق ابن ابراهيم الموصلي سيد المغنين في العهد العباسي .

قال اسحق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام ، وفُتحت العراق ، وجَلب الغناء الرقيقُ من فارس والروم ؛ فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير .

قال الجاحظ : العرب تقطّع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتصنع موزوناً على غير موزون .

ويقال إن أول من أخذ في ترجيع الحداء مضر[1] بن نزار فانه سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول : وا يداه .. وا يداه وكان أحسن خلق الله جرماً وصوتاً ، فأصغت الإبل إليه وجدَّت في السير فجعلت العرب مثالاً لقوله ها يدا .. ها يدا ، يحدون به الإبل ، حكى ذلك عبدالكريم في كتابه .

وزعم ناس من مضر أن أول من حدا برجل منهم كان في إبله أيام الربيع فأمر غلاماً له ببعض أمر فاستبطأه فضربه بالعصا فجعل ينشد في الإبل ويقول : يا يداه .. يا يداه ، فقال له الزم .. الزم ، واستفتح الناس الحداء من ذلك الوقت ، وذكر ابن قتيبـــة[2] أنهم قالوا ذلك للنبي ﷺ . وحكى الزبير بن بكار[3] في حديث يرفعه الى النبي ﷺ قال لقوم من بني غفار سمع حاديهم بطريق مكة

(١) من سادات العرب ووجوهها .
(٢) مفسر ومؤرخ وأديب عربي مشهور من أجلّ آثاره كتاب « الشعر والشعراء » .
(٣) من أصحاب الرواية وقد ورد اسمه كثيراً في كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني .

ليلاً فقال اليهم ان أباكم مضر خرج الى بعض رعاته فوجدها قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وا يـداه .. وا يـداه ، فسمعت الإبل ذلك فعطفت ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الإبل ، واجتمعت ، فاشتق الحداء .

واما التغبير فهو تهليل ، أو تردد صوت بقراءة ، أو غيرها حكى ذلك ابن دريد[1] ، وحكى ابو اسحاق الزجاجي[2] قال : سألني بعض الرؤساء لِمَ سمي التغبير تغبيراً قلت لأنه وضع على أنه يُرغِّب في الغابر وهو الباقي أي يرغب في نعيم الجنة وفيما يُعمَل للآخرة ، وقال غيره انما قيل له تغبير لأنه جعل مايخرج من الفم بمنزلة الغبار ، فعُرِضَ الجوابان على أحمد بن يحيى فاستجاد جوابي .

ولم يزالوا على طريقتهم هذه بالغناء حتى جاء الإسلام ودوخوا الأقطار ، واستولوا على الممالك ، فكانوا إذ ذاك لا يطربون الا بالقراءة والشعر الحماسي لتمكن الدين منهم ولأنهم في دور تأسيس وفتوح ، فلما استتب لهم الأمر ، وخلا لهم الجو غلب عليهم الرفه والترف بما حصلوا عليه من غنائم الأمم فمالوا الى الدعة والسعة في العيش ، ورقت طبائعهم ، ولانت جوانبهم ، وتفرق المغنون من الفرس والروم فوقعوا إلى الحجاز ، وصاروا موالي لهم ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف ، وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلحنوا عليها اشعارهم ،

(١) من كبار النحاة وهو صاحب المقصورة الشهيرة .
(٢) من علماء النحو القدامى .

وظهر بالمدينة نشيط الفارسي ، وطويس ، وسائب خاثر مولى عبدالله بن جعفر ، فلحنوا شعر العرب وأجادوا فيه ، وطويس أول من غنّى في الإسلام الغناء الرقيق ، وعنه أخذ ابن سريج[1] والدلال[2] ونؤمة الضحى[3] وكان يكنى أبا عبدالمنعم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الإسلام :

قد براني الشوق حتى كدت من شوقي أذوب

وما زالت صنعة الغناء تتدرج في مدارج الارتقاء إلى أن بلغت الغاية القصوى أيام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي ، وابنه اسحق وابنه حماد ، وإذ ذاك كانت الدولة في عنفوان شبابها ، وكان قد اشتغلت العرب في نقل العلوم ، وكان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند فتناولوها ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علماً ذا أصول وألفوا فيها التآليف فضلاً عما استنبطوه من الألحان ، واخترعوه من الآلات ، وأمعنوا في القصف ، واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والأشعار التي يُترنم بها عليه ، وجعل صنفاً واحداً واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرّج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة بأطراف أقبية ، يلبسها النسوان ، ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكررن ويفررن ويثاقفن[4] ، وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق وانتقل فن

(١) و (٢) و (٣) مغنون اسلاميون في العصر الاموي تأتي ترجمتهم مفصلا في هذا الكتاب وقد وردت قصصهم في كتاب الاغاني الاصفهاني .
(٤) ثاقفه : أي لاعبه بالسلاح .

الغناء الى المغرب بواسطة زرياب غلام الموصليين ، فانه لحق بالحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل أمير الأندلس فبالغ في تكرمته ، وركب للقائه ، وأسنى له الجوائز وجعله من خواص ندمائه ، فأورث بالأندلس من صنعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف وطمامنها باشبيلية[1] بحر زاخر وعقدت للغناء المجالس وما أدراك بتلك المجالس التي كانوا يعقدونها للغناء ، وقد ضربت عليهم قبة من البللور ينحدر الماء من جانبيها وحولهم الحور العين ، وبينهم فتانة العينين ، مهضومة الحشا ، تنحني على ابن الطرب فتغنيه مشفقة :

جادك الغيثُ إذا الغيثُ هما يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ[2]
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العـــدوة[3] بافريقية والمغرب وانقسم على أمصارها .

ولم يزل الغناء يرتقي بارتقاء الدولة العباسية حتى جرت عليها جوار ، بالسعد والنحس ، فتارة تعتورها أمارات الانحلال وأخرى تصادمها قذائف الانقراض ، وهي تتماسك تماسك الريحانة في مهاب الرياح إلى أن قضى عليها القضاء المبرم ،

(١) مدينة شهيرة من مدن الاندلس .
(٢) مطلع الموشح الشهير لسان الدين بن الخطيب .
(٣) العُدوة : الضفة .

فقضى معها الغناء ، كما قضت فنون الأدب ، وكثير من العلوم ، فلبثت عـــلوم الأدب ومعها الغناء في طي الخفاء ، ما شاء الله أن تلبث ، فكان الغناء يُعدُّ في تلك الفترة لغواً ، وينظر للمغني بالنظر الذى لا يرضاه الأدب ، إلى أن بعث الله تعالى في هذه العصور الأخيرة في مصر والشام والعراق ، من نهض بالأدب من كبوته ، والغناء من عثرته ، ولكن لم يزل الغناء حتى الآن في دور طفولة لم يبلغ الحلم كأخيه الشعر ، وسائر فنون الأدب التى قطعت شوطاً بعيداً .

أوّلُ مَنْ دَوَّنَ الغِنَاء

اتفق الجمهور[1] على أن واضع هذا الفن أولا فيثاغورس[2]، صنع آلة وشدّ عليها ابريسما[3] ووضع قواعد هذا العلم، وأضاف بعده العلماء مخترعاتهم الى ما وضعه إلى أن انتهت النوبة الى ارسطاليس فتفكر فوضع الارغنون[4] وكان غرضهم من استخراج قواعد هذا الفن تأسيس[5] الأرواح والنفوس الناطقة الى عالم القدس لا مجرد اللهو والطرب.

أما عند العرب فانه أول من ألف في هذا الفن يونس[6] بن سليمان الكاتب الذي أخذ الغناء عن معبد، وتبعه كثيرون كالخليل[7] بن أحمد فانه ألف كتاباً في

(١) الجمهور العلماء الذين ألفوا في فن الغناء.
(٢) فيثاغور: أحد حكماء اليونان، تفرغ من صغره الى درس الحكمة واليه يعزى تقويم الحساب المعروف بجدول فيثاغور بالضرب (راجع صفحة ٧)
(٣) الحرير قبل أن يخرقه الدود في الشرنقة فاذا خرقه صار قزّاً.
(٤) الارغن والارغنون آلة طرب واللفظ يوناني.
(٥) التأسيس عند بعض المتكلمين: تمهيد أو مقدمة.
(٦) يونس بن سليمان فارسي الاصل، كاتب، شاعر، مغنٍ؛ ورد ذكره في كتاب الاغاني.
(٧) الخليل: من أشهر علماء العرب وهو واضع علم العروض وأستاذ سيبويه في النحو.

الموسيقى زم[1] فيه وحصر به أنواع اللحون، وحدد ذلك كله، ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده.

قال الجاحظ ولم يزل أهل كل علم، فيما خلا من الأزمنة، يركبون منهاجه ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه، ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله خلا الغناء، فانهم لم يكونوا عرفوا علله، وأسبابه ووزنه وتصاريفه، وكان علمهم به على الهاجس، وعلى ما يسمعون من الفارسية والهندية إلى أن نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه، ومخارج ألفاظه، وميّز ما قالت العرب منه وجمعه وألّفه ووضع فيه الكتاب الذي سماه العروض، وذلك انه عرض جميع ما روي من الشعر وما كان به عالماً، على الأصول التي رسمها والعلل التي تبيّنها، فلم يجد أحداً من العرب خرج منها ولا قصّر دونها، ولما أحكم وبلغ منه ما بلغ أخذ في تفسير النغم واللحون فاستدرك منه شيئاً ورسم له رسماً احتذى عليه من خلفه واستمد منه من عُني به، وكان اسحاق بن ابراهيم الموصلي أول من حذا حذوه وامتثل هديه[2] واجتمعت له في ذلك آلات لم تجتمع للخليل بن أحمد قبله، منها معرفته بالغناء وكثرة استماعه إياه، وعلمه بحسنه من قبيحه، وصحيحه من سقيمه، ومنها حذقه بالضرب والايقاع، وعلمه بوزنها؛ وألف في ذلك كتباً مُعْجبة، وسَهُل له فيها ما كان مستصعباً على غيره، فصنع

(١) زم: شدّ.
(٢) الهَدْي: السيرة والنهج.

الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ، ووزن صحيح ، وعلى أصل مستحكم له دلائل واضحة ، وشواهد عادلة ، ولم نر واحداً وجد سبيلا الى الطعن عليه والعيب له .

وليحيى بن أبي منصور الموصلي[1]، كتاب في الاغاني وآخر في العود والملاهي ؛ وابراهيم[2] بن المهدي ألف كتاباً سماه كتاب الغناء . واسحق بن ابراهيم الموصلي ألف كتباً كثيرة في الغناء والمغنين . و (بذل)[3] المغنية ألفت كتاباً في الاغاني يشتمل على اثني عشر الف صوت . ويحيى[4] بن مرزوق المكي ألف كتاباً يشتمل أيضاً على اثني عشر ألف صوت أهداه الى محمد[5] بن عبدالله بن طاهر فوصله بثلاثين ألف درهم ، وشاع هذا الكتاب وصححه اسحاق الموصلي .

وعبيدالله[6] بن عبدالله بن طاهر ألف كتاباً دعاه (الآداب الرفيعة) في النغم وعلل الأغاني .

وأمير المؤمنين عبدالله[7] بن المعتز ألف كتاباً سماه (الجامع في الغناء) ،

---

(١) من أصحاب الغناء في العهد العباسي .
(٢) ابراهيم بن المهدي : صاحب الصوت الجميل وهو أخ هرون الرشيد .
(٣) مغنية معروفة ، تأتي ترجمتها فيما بعد .
(٤) أديب من الموالي ومغن نشأ بمكة في العصر الاموي .
(٥) أمير حازم من الشجعان كان بزمن المتوكل .
(٦) أمير من الادباء والشعراء .
(٧) شاعر عباسي معروف وخليفة قتله الاتراك ، تأتي ترجمته فيما بعد .

وغير هؤلاء كثيرون ، ولم يصلنا من هذه الكتب غير كتاب الأغاني لأبي الفرج[1] الأصبهاني رحمه الله تعالى وهو من أجل كتب هذا الفن إن لم يكن أجلها .

مجمع اللغة العربية
بدمشق

---

(١) هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن القرشي الأموي . كان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير والحديث وله شعر حسن ؛ من مصنفاته كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله يقال إنه جمعه في خمسين سنة .

تأثيرُ الغِنـاء

لا مرية بأن للغناء تأثيراً على الأنفس عظيماً ، فهو مشاهد في الرجل والطفل والحيوان ، ومما انفرد به عن سائر الملذات أن لكل عضو من تأثيره نصيباً ، فما يصيب العين يتولد منه البكاء ، وما يصيب اللسان يحدث منه الصياح ، وما يصيب اليد ، يحدث منه تمزيق الثياب واللطم ، وما يصيب الرجل يحدث منه الرقص .

قال ابن عبد ربه[1] : هل خلق الله شيئاً أوقع بالقلوب ، وأشد اختلاساً للعقول من الصوت الحسن .

وقال أيضاً : صنعة الغناء هي مراد السمع ومرتفع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلاة الكئيب ، وأنس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب ، وأخذه بمجامع النفس .

وقال سهل بن عبدالله السماع : علم استأثر الله تعالى به ، لا يعلمه الا هو .

وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر للسان على

(١) ابن عبد ربه : شاعر أندلسي بارع الشعر جمع كتاب العقد الفريد وهو من أمهات الكتب الادبية واسمه احمد بن محمد بن عبد ربه .

استخراجه ، فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع ، لا على التقطيع ، فلما ظهر عشقته النفس وحنّ اليه الروح .

وقال معبد[1] : لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شبعان ممتلىء ، ولا سقاء يحمل قربة على الترنم بها ، ولقد صنعت ألحاناً لا يقدر المتكىء أن يترنم بها حتى يقعد مستوفزاً[2] .

وقال ابن ساعد[3] : ومنفعة الموسيقى بسط الأرواح وتعديلها وتقويتها ، وقبضها أيضاً ، لأنه يحركها أما عن مبدئها فيحدث السرور واللذة ، ويظهر الكرم والشجاعة ونحوها ، وأما الى مبدئها فيحدث الفكر في العواقب والاهتمام ونحوها ، ولذلك يستعمل الأفراح والحروب وعلاج المرضى تارة ، ويستعمل في المآتم وبيوتات العبادات أخرى .

وقال افلاطون[4] : من حزن فليستمع الأصوات الطيبة ، فان النفس إذا حزنت خمد نورها ، فاذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد .

وقال الجنيد[5] : سبب اضطراب الانسان عند السماع ان الله تعالى لما خاطب

(١) مغن مشهور تأتي ترجمته مفصلة بعد قليل .
(٢) المستوفز : استوفى في قعدته ، قعد منتصباً غير مطمئن .
(٣) رياضي وحكيم وطبيب نشأ في بخارى وتوفى في القاهرة .
(٤) افلاطون : من مشاهير الفلاسفة القدماء استاذ ارسطو ومن أشهر مؤلفاته الجمهورية
(٥) الجنيد : أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد وعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف .

الذر[1] في الميثاق[2] الأول بقوله : ألست بربكم ، تشربت الأرواح عذوبة سماع ذلك الكلام ، وتعلقت كليتها بسماعه ، فاذا جاء السماع هيجها ذكر ذلك السماع .

وكان يقال قديماً إذا قسا عليك قلب القرشي من تهامة[3] فغنه بشعر عمر بن أبي ربيعة[4] ، وغناء ابن سريج .

وقال الغزالي[5] في الإحياء[6] : لله سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى أنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً . فمن الأصوات ما يفرح ، ومنها ما ينوّم ، ومنها ما يضحك ويطرب ، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغي أنْ يظن أنّ ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل : من لم يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك لفهم المعنى ، وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده ، فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه ، وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الإصغاء اليه ؛ والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة ، ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه

(١) الذرّ : معناه الخلق قبل نسل الثقلين .
(٢) الميثاق - العهد وهو هنا اصطلاح صوفي .
(٣) منطقة من جزيرة العرب تقع شمالي الحجاز ، أو هي مكة .
(٤) هو أبو الخطاب عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، لم يكن في قريش أشعر منه ، كان شاعراً غزلاً من أرق شعراء عصره .
(٥) من أكبر علماء الاسلام المتصوفة .
(٦) من أشهر مؤلفات الامام الغزالي .

من النشاط ما يسكره ، ويولهه ، فترى الجمال إذا طالت عليها البوادي ، واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال ، إذا سمعت منادي الحداء تمدُّ أعناقها ، وتصغي الى الحادي ، ناصبة آذانها . وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها. ثم ذكر رحمه الله تعالى دليلاً على ما قاله قصة العبد الذي أهلك الجمال بطيب صوته، إذ جعلها تقطع مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة .

وبعد ايراد ما تقدم ، قال : فاذا تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص ، مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية . زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم ، فان جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود[1] عليه السلام لاستماع صوته، ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب ، لم يجز ان يحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم ، بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص ، واختلاف طرق النغمات ، فحكمه حكم ما في القلب .

قال الجاحظ[2] : أمر الصوت عجيب ، وتصرفه في الوجوه عجب ، فمن ذلك أن منه ما يقتل كصوت الصاعقة ، ومنه ما يسر النفوس حتى يفرط السرور فتقلق حتى ترقص ، وحتى ربما رمي الرجل بنفسه من حالق[3] وذلك مثل هذه الأغاني

(١) نبي الله من أنبياء بني اسرائيل .
(٢) هو أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، كبير أئمة الادب العربي في فن الكتابة ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ومن مؤلفاته كتاب الحيوان والبيان والتبين والبخلاء .
(٣) حالق : عال .

المطربة ، ومن ذلك ما يكمد ، ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه ، كنحو هذه الأصوات الشجية ، والقراءات الملحنة ، وليس يعتريهم ذلك من قبل المعاني لأنهم في كثير من ذلك لا يفهمون ، قد بكي ماسرجويه[1] من قراءة أبي الخوخ[2] فقيل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : إنما ابكاني الشجا .

وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال ، والدواب تصرّ[3] آذانها إذا غنّى المكاري[4] والإبل تصرّ آذانها إذا حدا في إثرها الحادي ، وتزداد نشاطاً وتزيد في مشيها . وتجمع بها الصيادون السمك في حظائرهم التي يتخذونها له ، وذلك أنهم يضربون بعصي معهم ويعطعطون[5] فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار ، مصغية الى تلك الأصوات حتى تدخل في الحظيرة . ويضرب بالطساس[6] للطير فيصاد بها ، ويضرب للأسد وقد اقبلت فتروعها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق[7] الأيايل[8] تصاد بالصفير والغناء ، وهي لا تنام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الصوت ، فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفها ،

(١) ماسرجويه : طبيب اسرائيلي ولد بالبصرة ومن تصانيفه قوى الأطعمة ومنافعها .
(٢) ابو الخوخ : قارىء مشهور .
(٣) صرّ زمّ .
(٤) المكاري صاحب العير .
(٥) العطعطة صراخ خاص .
(٦) الطشس إناء من نحاس للغسل .
(٧) هو أريسطو .
(٨) جمع أيّل ، والأيّل ذكر الوعل .

فإن رأوها مسترخية الآذان وثبوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سبيل ، والصفير تُسقى به الدواب ، وتنفر به الطير عن البذور .

ومن غريب ما ينقل في تأثير الغناء أنه خرج مخارق المغني مع بعض أصحابه الى بعض المتنزهات ، فنظر الى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه ، فسأله إياها ، فكان المسؤول ضنّ بها وسنحت[1] ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القوس : أرأيت ان تغنيت صوتاً فعطفت عليك خدود هذه الظباء أتدفع إليّ هذه القوس؟ قال : نعم ، فاندفع يغني :

ماذا تقول الظباء أفرقة أم لقاء
أم عهدها بسليمي وفي البيان شفاء
مرت بنا سانحات[1] وقد دنا الإمساء
فما أحارت[2] جواباً وطال فيها الغناء

فعطفت الظباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة[3] تنظر إليه ، مصغية الى صوته ، فعجب من حضر من رجوعها ، ووقوفها وناوله الرجل القوس ، فأخذها وقطع الغناء ، فعاودت الظباء نفارها ومضت راجعة على سننها[4] .

(١) السانح الذي يأتي من جانب اليمين والبارح الذي يأتي من جانب اليسار .
(٢) أحارت يقال أحار الجواب احارة ردّه ومنه : لم يحر جواباً .
(٣) استشرف رفع بصره ينظر اليه .
(٤) السنن الطريق .

وأغرب من ذلك ماروي عن ابن عائشة المغني . قيل كان واقفاً بالموسم ، متحيراً ، فمرّ به بعض أصحابه ، فقال له : ما يقيمك ههنا ؟ فقال : إني أعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس ههنا فلم يذهب أحد ولم يجيء ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك قال أنا ثم اندفع يغني :

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي نوى مشمولة فمتى اللقاء

بنفسي من تذكره سقام أعانيه ومطلبه عناء

قال فحبس الناس واضطربت المحامل ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة أن تقع فأتى هشام بن عبد الملك فقال له : يا عدو الله أردت أن تفتن الناس : قال فأمسك عنه ، وكان تيّاها[1] . فقال له هشام : أرفق بتيهك فقال حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أنْ يكون تيّاها .

ومثل ذلك ما رواه الأصمعي ، قال قدم عراقي بعدل من خُمُر[2] العراق الى المدينة ، فباعها كلها إلا السود ، فشكا ذلك الى الدارمي[3] ، وكان قد تنسك وترك الشعر ، ولزم المسجد فقال ما تجعل لي علي أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك ، قال ما شئت ، قال فعمد الدارمي الى ثياب نسكه ، فألقاها عنه

(١) تيّاها كثير التيه أي العجب .
(٢) خمر جمع خمار وهو النصيف الذي تغطي به المرأة رأسها .
(٣) هو مسكين الدارمي الشاعر الغزلي المعروف .

وعاد الى مثل شأنه الأول وقال شعراً ورفعه الى صديق له من المغنين ، فغنّى به وكان الشعر :

قُلْ للمليحةِ في الخمار الأسودِ ماذا فعلتِ بزاهد متعبد

قد كان شمّرَ للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد

ردي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا قد رجع الدارمي ، وتعشق صاحبة الخمار الأسود ، فلم تبق مليحة بالمدينة الا اشترت خماراً أسود وباع التاجر جميع ما كان معه ؛ فجعل إخوان الدارمي النسّاك يمرون فيقولون ما صنعت ، فيقول ستعلمون نبأه بعد حين ؛ فلما أنفد العراقي ما كان معه رجع الدارمي الى نسكه ولبس ثيابه.

وروى أبو العباس قال : حدثت أن عمر الوادي قال أقبلت من مكة أريد المدينة ، فجعلت أسير في صَمْد[1] من الأرض ، فسمعت غناء من الهواء أسمع مثله فقلت والله لأتوصلنّ إليه ، فاذا هو عبد أسود ، فقلت له أعد ما سمعت ، فقال والله لو كان عندي قرى[2] أقريك ما فعلت ، ولكن أجعله قراك فإني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ، ثم ابتدأ فغنّى :

(١) الصمد المكان المرتفع الغليظ .
(٢) قِرى ما يقدم للضيف من الطعام .

وكنت متى ما زرتُ سُعدى بأرضها
أرى الأرض تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخفرات[1] البيض ودَّ جليسهـــا
إذا ما انقضت أحدوثة[2] لو تعيـــدُها

قال عمر : فحفظته ثم تغنيت به على الحالات التي وصف فاذا هو كما ذكره.

ونظير ذلك ما رواه ابن عبد ربه في العقد ، قال لما ولي عثمان بن حيان المري المدينة اجتمع إليه الأشراف من قريش والأنصار ، فقالوا له إنك لا تعمل عملاً أحرى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاء ؛ ففعل وأجّلهم ثلاثاً ، فقدم ابن أبي عتيق[3] في الليلة الثالثة ، وكان غائباً فحط رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلي ، قالت أوماتدري ماحدث بعدك واخبرته الخبر ، فقال أقيمي الى السحر[4] حتى ألقاه فلقيه فأخبره أنه انما أقدمه حب التسليم عليه وقال له إن أفضل ما عملت تحريم الغناء والرثاء ، فقال إن أهلك أشاروا علي بذلك فقال إنهم وفقوا ووفقت ولكني رسول امرأة إليك تقول قد كانت هذه صناعتي فتبت الى الله منها وأنا أسألك أيها الأمير أن لا تحول بينها وبين مجاورة

(١) الخفيرات تقول خفرت الجارية إذا استحيت أشد الحياء .
(٢) أحدوثة ما يتحدث به جمع أحاديث .
(٣) من سلالة سيدنا أبي بكر الصديق وهو راوية مشهور وصديق لعمر بن أبي ربيعة الشاعر .
(٤) السحر آخر الليل .

قبر النبي ﷺ ، فقال عثمان إذاً أدعها .فقال إذاً لا تدعك الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها ، فإن كان يجوز تركها تركتها ، قال فادع بها ؛ فأمر بها ابن أبي عتيق فتنقبت وأخذت سبحة في يدها وصارت إليه فحدثته عن مآثر آبائه ، ففكه[1] بها فقال ابن أبي عتيق أريد أن أسمع الأمير قراءتها ففعلت فحركه حداؤها ، ثم قال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها في صناعتها التي تركتهـــا فقال له قل لها فلتغن فغنت :

سددت خِصاص[2] البيت لما دخلته بكل بنان واضح وجبين

فنزل عثمان عن سريره ثم جلس بين يديها وقال لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة فقال ابن أبي عتيق يقول الناس أذن لسلامة ومنع غيرها فقال له أذنت لهـــم جميعاً .

ولا شك أن غناء النساء أفعل في النفوس وأشد تأثيراً لأنه أندى وأشجى قال الجاحظ : الغناء الحسن من الوجه الحسن أحسن ، والغناء الشهي من الوجه الشهى والبدن الشهي أشهى ، وكذلك الصوت الناعم الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة ، وكم بين أن يفدى إذا شاع فيك الطرب مركك وبين أن تفدى أمتك وكم بين أن يسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله وبين فم تشتهي أن تصرف وجهك

(١) فكيه سُرَّ .
(٢) جمع خيص وهو شق في الباب .

عنه ، وعلى أن الرجال دخلاء على النساء في الغناء ، كما رأينا رجالاً ينوحون فصاروا دخلاء على النوائح . وبعد فأيما أحسن وأملح وأغنج أن يُغَنّيك فحلٌ ملتف اللحية كث[1] العارضين أو شيخ منخلع الأسنان مغضن الوجه ثم يغنيك إذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلكل[2] خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

أم تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس أو كأنها ياسمينة أو كأنها خرطت من ياقوتة أو فضة مجلوة بشعر عكاشة بن محصن[3] :

من كف جارية كأنّ بنانها[4] من فضة قد طوقت عنابا[5]

وكأن يمنـــاها إذا نطقت به ألقت على يدها الشمال[6] حبابا

وأغرب من هذا كله أنه يستشفى بالغناء كثير من الأمراض بل من أكثرها كما ثبت بالتجارب وقد تألفت في مدينة سهالنبورغ جمعية من النساء لتصدح كل يوم بالقرب من أجريت لهم العمليات بالأنغام الموسيقية صوتية كانت أو آلية ولقد

(١) كث كثيف .
(٢) الكلكل الصدر أو ما بين الترقوتين .
(٣) الاسدي صحابي من أهل المدينة قتل في حرب الردة .
(٤) البنان الأصبع .
(٥) العناب شجر معروف وحبه كحب الزيتون الواحدة عُنّابة .
(٦) الشمال ريح باردة .

كتب في المجلد الأول من مجلة المقتبس[1] مقالة ضافية الذيل تحت عنوان الاستشفاء بالموسيقى فمن أراد أن يطلع على أكثر من ذلك من تأثير الغناء فليرجع اليها .

هذا ولو أردنا استقصاء ما ورد في هذا الباب من التأثير العجيب لطال بنا البحث ولكنا اكتفينا بما أوردناه لضيق المكان .

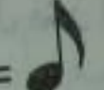

(١) جريدة أسسها المرحوم الاستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

آلاتُ الغِنَاء

آلات الغناء كثيرة تختلف باختلاف الأمم حسب عاداتهم واصطلاح بلادهم وإنا ذاكرون هنا ما يحضرنا منها : فمنها العود وهو كما وصفه عبيدالله[1] بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود إذ ذكر عند يزيد بن عبدالملك فقال ليت شعري ما هو فقال أنا أخبرك ما هو ، هو محدودب[2] الظهر أرسح[3] البطن ، له أربعـــة أوتار ، إذا حركت لم يسمعها أحد الا حرك أعطافه وهزّ رأسه .

قيل إن أول من صنع العود لامك بن قابيل وبكى عليه على ولده ؛ وقيل إن أول من اتخذه الملك لمتوشالح[4] على مثال فخذ ابنه الميت ؛ وقيل بطليموس[5] ؛ ويقال بعض حكماء الفرس .

وأول من غنى على العود بألحان الفرس النضر[6] بن الحارث بن كلدة ، وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود ، والغناء ، وقدم مكة ، فعلم أهلها .

---

(١) المزلي فقيه المدينة ومن أعلام التابعين وشاعر .
(٢) محدودب أي له حدبة وهي خروج الظهر ودخول الصدر والبطن .
(٣) أرسح إذا قلّ لحمه وهزل .
(٤) متوشالح بن اخنوخ جد نوح ، يضرب به المثل بطول العمر .
(٥) بطليموس من علماء الهيئة والتاريخ ولد في صعيد مصر ومن أشهر مؤلفاته المجسطى .
(٦) قرشي آذى المسلمين في بدء الدعوة ؛ قتله النبي ﷺ ورثته أخته اثيلة .

ولقد زاد زرياب[1] المغنى بالأندلس في العود وتراً خامساً أحمر متوسطاً ، ولوّن الأوتار وطبقها على الطبائع وهو الذي اخترع مضراب[2] العود من قوادم النسر ، وكانوا قبله يضربون بالخشب .

ذكر أنّ عبدالملك بن مروان أُتى بالليل بشابٍ جَميلٍ ومعه عود ، فقال له ما هذا ، وكان عنده قوم ، ولأي شيء يصلح ، وما يصنع به ؟ فسكت جلساؤه ، فقال عبدالله[3] بن سعده الفزاري : هذا عود تؤخذ خشبة فتشقق وترقق وتلصق ثم يعلق عليه هذه الأوتار وتحركها الجارية الحسناء فينطق بأحسن من وقـــع القطر[4] في البلد القفر ، وامرأتي (كذا) إن لم يكن كل من في هذا المجلس يعلم منه مثل ما علمت وأولهـــم أنت يا أمير المؤمنين فضحـــك عبدالملك وأمر باطلاق الشاب .

ولقد قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج .

ومن آلات الغناء التي لا تقل عن العود أثراً القانون والمشهور أنه من اختراع الفارابي[5] الفيلسوف ، فقد ذكروا أنه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها

---

(١) مغن مشهور تأتي ترجمته في هذا الكتاب بعد قليل .
(٢) مضراب العود الريشة .
(٣) من كبار القواد أيام معاوية .
(٤) القطر المطر .
(٥) الفارابي فيلسوف اسلامي يطلق عليه اسم المعلم الثاني لازم بلاط سيف الدولة الحمداني .

ويضرب عليها وتختلف أنغامها باختـــلاف تركيبها ، ولكنها في كل حالة غريبة في بابها .

وذكروا أن الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة[1]، ولم يكن أحد من الحضور يعرفه فعاب المغنين ، فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ، ففتح خريطة كانت معه واستخرج تلك الآلة وركبها ، ثم لعب بها فضحك منها من كان في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكي كل من كان في المجلس ، ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب ، فتركهم نياماً وخرج .

ومن قولنا في القانون :

أصغتْ لتسمع شكوتي وتظلمي ... لما رأتْ دمعي جرى كالعندم[2]
واستنطقت قانونها فأجابها ... في حل قتل المستهام المغرم
سل من أباح لها دمي قانونها[3] ... أو قال قانون[4] باهراق الدم

ومن آلات الغناء الدُّف والمزهر والطبل والمزامير والشبابات والرباب والصلاصل والطارات والكوبة ، وكلها لا تحتاج الى تعريف .

(١) سيف الدولة الأمير الشهير صاحب المتنبي .
(٢) العندم شجرة حجاز ثمرة حمراء يشبه البنان المخضوب .
(٣) القانون هنا آلة الطرب .
(٤) القانون الحكم والشريعة .

ومن آلات الغناء التي كانت معروفة بالاندلس (الروطة) ولا ذكر لها في كتب اللغة وهي معربة عن الاندلسية Rota أو Rottà وهي ضرب من الرباب ، كان يتخذها الشعراء المتجولون ليوقعوا عليها ألحانهم وأغانيهم وأول من اتخذها الغلطيون [1] . وهي بالفرنسة Rote .

والمؤنس : وهو قربة يركب فيها مزمار يتخذها أهل البادية في ملاهيهم وأغلب ما تكون في مزمارين ولعل اللفظ من أصل اسباني يقابل بالفرنسية Musette أو Cornemuse وهذه اللفظة العربية لاتوجد في كتب اللغة الا أنها اليوم مشهورة في بلاد العرب بهذا المعنى .

والكثيرة مصحفة عن كثيرة Githare وهي في القديم نوع من الرباب ويراد بها اليوم ضرب من السنطور تنقر أوتارها بالاصبع .

والقيثار ويراد بها آلة ذات ستة أوتار ولها يد مقسومة الى أنصاف الحان مركب عليها دساتين .

والزنامى نوع من المزمار وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لأجل ائتلافها من قطعتين منفردتين كذلك بانجاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الأصوات من تلك الأنجاش بالأصابع مثل ما يجري في

(١) بالنسبة لمنطقة في الأندلس .

الشبابة والزنامى نسبة الى زُنام وهو زمار مشهور كان عند هرون الرشيد يُضرب به المثل في حسن صناعته .

قال الشريشي [1] : زنام هو الذي استنبط الناي وهو المزمار الذي تدعوه عامتنا في المغرب الزلامي صحفوه بابدال نونه لاماً وانما هو زنامي .

والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والاخر رقيقه .

والبوق . واليوم ، أتى الافرنج بالأرغن والبيانو وغيرها ، ولكن جل الاعتماد على البيانو ، يكاد لا يخلو منه بيت ذي نعمة .

هذا ما أردنا ذكره من آلات الغناء وبه الكفاية .

(١) مؤلف أندلسي من بلدة شريش ومن شراح مقامات الحريري وهو احمد بن عبد المؤمن

مَنْ دُوِّنَتْ لَهُ صَنْعَةٌ فِي الْغِنَاءِ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَأَوْلَادِهِمْ

كانت للغناء منزلة عظيمة عند الخلفاء ، حتى انه اشتغل به غير واحد منهم ، ومن أولادهم ، وأولاد أولادهم ؛ ونحن ذاكرون هنا من دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأولادهم وأحفادهم إلماعاً عما للغناء من الدرجة الرفيعة :

حكى ابن خرداذبه [1] أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه تغنّى في هذا البيت « كأن راكبها غصن بمروحة »

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، وردّ ذلك صاحب الأغاني بقوله وانما رُوِيَ أنّه تمثل بهذا البيت وقد ركب ناقة فاستوطأها [2] لا أنه غنّى به ، ولا كان الغناء العربي أيضاً عرف في زمانه ، الا ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء وذلك جار مجرى الإنشاد ، الا انه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت ثم قال : فأول من دونت له صنعه منهم عمر بن عبد العزيز ؛ فإنه ذكر عنه أنه صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان يذكر

(١) ابن خرداذبه فارسي الأصل وهو أحد رواة الأنساب شغل منصب صاحب البريد في ناحية الجبل ومن مؤلفاته المسالك والممالك .

(٢) استوطأ الدابة وجدها وطيئةً .

(سعاد) فيها كلها وصَحَّحَ هذه الرواية وقال كان عمر بن عبد العزيز أحسن خلق الله صوتاً وكان حسن القراءة للقرآن .

أما الألحان التي صنعها فهي محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلاَّ من طالت دربته [1] بالصنعة وحذق الغناء ، وتمكن منه وهي :

(١) ألمّا صاحبيَّ نَزُرْ سعادا ... لوشكِ فراقِها وذرا البعادا
لعمرك إنَّ نفعَ (سعاد) عني ... لمعروف ونفعي عن سعادا
الى الفاروق ينتسب ابن ليلى [2] ... ومروان الذي رفع العمادا

(٢) علقَ [3] القلبُ سعادا ... عادتِ القلبَ فعادا
كلَّما عُوتبت فيها ... أو نهى عنها تمادى
وهو مشغوف (بسعدى) ... قد عصى فيها وزادا

(٣) ألا يادينَ قلبكَ من سليمى ... كما قد دين قلبُك من سعادا
هما سبتا الفؤادَ وأصبتاه ... ولم يدرك بذلك ما أرادا
فما نعرفْ منازلَ من سليمي ... دوارس [4] بين حومل أوعرادا [5]

(١) الدربة العادة .
(٢) ابن ليلى يعني عمر بن عبدالعزيز وأمه ليلى بنت عمر بن الخطاب .
(٣) علق أحبَّ .
(٤) دوارس ممحوة ومفردها دارس .
(٥) حومل وعراد مكانان .

ذكرتُ بها الشبابَ وآل ليلى ... فلم يردِ الشبابُ بها مرادا
فان تشب الذؤابةُ [1] أمَّ زيد ... فقد لاقيت أياماً شدادا

(٤) يا سعادُ التي سبتني فؤادي ... ورقادي [2] هي لعيني رقادي

(٥) حَظُّ عيني من سعادْ ... أبداً طولُ السهادْ

(٦) سُبحانَ ربي برى سعادَى ... لا تعرفِ الوصلَ والودادا

(٧) لعمري لئن كانت سعادُ هيَ المنى ... وجنة خلد لا يُمَلُّ خلودها

وزيد ايضاً :

(٨) اسعادُ جودي لا شقيتِ سعادا ... وأجزى محبك رأفةً ووداد

وممن حكى عنه أنه صنع في شعره غناء يزيد بن عبد الملك صنع لحناً وهو :

أبلغْ حبابةَ أسقى ربعَها المطرُ ... ما للفؤاد سوى ذكراهمُ وطرُ
إن سار صحبي لم أملل بذكرِكمُ ... أوعرسوا [3] فهموم النفس والفكر

وممن غنى منهم الوليد بن يزيد ، وله أصوات ، صنعها مشهورة ، وكان

(١) الذؤابة الناصية وقيل فيها معظم الرأس .
(٢) الرقاد النوم .
(٣) عرّسَ نزل في السفر آخر الليل .

يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز ، ومن مشهور صناعته في شعره :

وصفراءَ في الكأسِ كالزعفرانِ سباها[1] النجيبيُّ من عسقلانِ
تريك القذاةَ[2] وعرض الإناء سِتْرُلها دون لمس البنانِ

وأول من دونت له صنعة من خلفاء بني العباس ؛ الواثق ، على ما رواه صاحب الأغاني ؛ أما ابن خرداذبه فإنه حكي أنّ للسفاح والمنصور وسائرهم غناء : قال صاحب الاغاني :

أخبرني محمد، قال سمعت أحمد بن محمد الفرات يقول سمعت (تريباً) تقول صنع الواثق مائة صوت ما فيها صوت ساقط وكان الواثق يضرب بالعود ومن الألحان التي صنعها :

أيا منشرَ الموتى أقِدني مِنَ التي بها نهلت[3] نفسي سَقاما وعَلَّتِ[4]
لقد بخلتْ حتى لو أني سألتها قذي العينِ من سافي[5] التراب لضنّتِ

(١) سبأ شرى الخمرة ليشربها .
(٢) القذاة ما يقع في العين ويوجعها .
(٣) نهل شرب أول الشرب .
(٤) عَلَّ مرض وأعل سقاء ثانية .
(٥) سافي التراب الذرات الناعمة .

ومن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصر ؛ وكان حسن العلم بالغناء ، ومن شعره الذي غنى فيه :

متى ترفعُ الأيام من قد وضعته وينقادُ لي دهرٌ عليّ جموحُ
أعللُ نفسي بالرجاء وإنني لأغدو على ماساءني وأروح

ومنهم المعتز فما ذُكر أنه غنى فيه :

لعمري لقد أصحرتُ[1] خيلُنا بأكنافِ دجلة للمصعبِ[2]
فمن يك منا يبتْ آمناً ومن يك من غيرنا يهربِ

ومنهم المعتمد صنع لحناً في :

ليس الشفيعُ الذي يأتيك مؤتزراً مثل الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا[3]

ومنهم المعتضد فإنه صنع لحناً في :

أمّا القطاة[4] فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

وفي :

تشكّى الكميت[5] الجريَ لما جهدته وبيّنَ لو يستطيع أنْ يتكلما

(١) أصحر دخل الصحراء .
(٢) الفحل المصعب الذي يصعب قياده .
(٣) هذا البيت قاله الشاعر الفرزدق .
(٤) القطاة ضرب من الطير في حجم الحمام صوته قطا قطا .
(٥) الكميت صفة للحصان واسم يطلق على الخمرة التي فيها سواد وحمرة .

وله غير ذلك .

وممن صنع من الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الأدب ابو العباس عبدالله بن المعتز رحمه الله تعالى .

وأول من صنع من أولاد الخلفاء وكان أتقنهم صنعة وأشهرهم ذكراً في الغناء ابراهيم بن المهدي ، كان أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات ، واطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً .

وعليه بنت المهدي كانت من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد ، وتصوغ فيه الالحان الحسنة ، وكانت حسنة الدين ، مقبلة على قراءة الكتب ، لا تلذ بشيء غير قول الشعر ، وكانت تقول لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط . وكانت تقدم على اخيها ابراهيم في الغناء ومن صنعتها :

وجد[1] الفؤادُ بزينبا وجداً شديداً متعباً
أصحت من كلفي[2] بها أدعى سقيماً مُنصَبا
ولقد كنيت عن إسمها عمداً لكي لا تغضبا
وجعلت زينب سترة وكتمت أمراً معجباً

(١) وجد أحبّ .
(٢) الكلف العشق .

قالت وقد عز الوصا ل ولم أجد لي مذهبا
والله لا نلت المود ة أو تنال الكوكبا

ولها غير ذلك شيء كثير .

وممن صنع من أولاد الخلفاء ابو عيسى احمد بن الرشيد وله غناء مشهور وعبد الله بن موسى الهادي وكان أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً .

وعبد الله بن محمد الأمين ، كان يقول شعراً ليناً ويصنع صنعة صالحة .

وابو عيسى عبد الله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها اكثر من ثلثماية صوت .

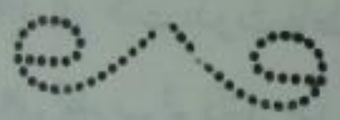

مَا احْتُجَّ بِهِ فِي جَوَازِ الغِنَاءِ

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد قال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى : يزيد في الخلق ما يشاء ؛ هو الصوت الحسن ، وقال النبي ﷺ لابي موسى الاشعري لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . وقال ﷺ حسن الصوت زينة القرآن وقال أيضاً حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد في القرآن حسناً .

ومن السنة ما خرجه الترمذي أن النبي ﷺ رجع من بعض مغازيه ، فجاءته جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردّك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف واتغنى فقال لها : إن كنت نذرت فاضربي ، فدخل ابو بكر[1] وهي تضرب ثم دخل علي[2] وهي تضرب ثم دخل عمر [3] فألقت الدف تحتها فقال النبي ﷺ : ان الشيطان ليخاف منك يا عمر .

---

(١) ابو بكر : هو عبدالله بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ وأحد المبشرين بالجنة .

(٢) عليّ : هو الإمام عليّ بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

(٣) عمر : هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أصحاب رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة ،وهو أول من دون الدواوين .

وفي حديث عائشة[1] أن أمرأة زفت الى رجل من الانصار فقال رسول الله ﷺ يا عائشة أما كان معهم لَهْوٌ فان الأنصار يعجبهم اللهو . واللهو هو الغنا.

وحكي ان رسول الله ﷺ قدم من سفر فصعد النساء على السطوح يضربن بالدفوف ويقلن :

طَلَعَ البدرُ علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

واحتجوا في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي ﷺ لعائشة : أهَدَيتم[2] الفتاةَ الى بعلها ؟ قالت نعم ، قال فبعثتم معها من يغني ؟ قالت لا ، قال : أوما علمت أنّ الأنصار قوم يعجبهم الغزل ألا بعثتم معها من يقول :

أتيناكمْ أتيناكمْ فحيونا نحييكمْ
ولولا الحيةُ السمرا ء لم نحللْ بواديكم

واحتجوا بحديث عبد الله بن أويس بن عم مالك ، وكان من أفضل رجال الزهري ، قال مرّ النبي ﷺ بجارية وهي تغني :

هل عليّ ويحكم إنْ لهوت من حرج

ولقد رُوي الغناءُ وسماعُه عن جماعة من الصحابة ومن التابعين رضوان الله

---

(١) عائشة : هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج الرسول ﷺ .

(٢) هَدى : يقال هَدى الفتاة الى بعلها إذا زفّها .

عليهم ؛ فمن الصحابة ما روي عن « عمر بن الخطاب[1] وعثمان بن عفان[2] وابي عبيدة بن الجراح[3] وسعد بن ابي وقاص[4] وابي سعيد عقبة بن عمر الأنصاري[5] وبلال[6] وعبد الله بن الارقم[7] وأسامة بن زيد[8] وعبد الرحمن بن عوف[9] وحمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن عمرو البراء[10] بن مالك وقرظة بن كعب ومعاوية بن ابي سفيان[11] وخوات بن جبير[12]، ورباح بن المعترف[13] والنعمان بن بشير[14] وحسان بن ثابت الأنصاري[15] والمغيرة بن شعبة[16] رضى الله تعالى عنهم اجمعين.

(١) عمر بن الخطاب وردت ترجمته في الصفحة ص ٤٢ فليرجع اليها .
(٢) عثمان بن عفان : ولي الخلافة بعد عمر بن الخطاب وهو الذي أمر بجمع صحائف القرآن الكريم في كتاب واحد .
(٣) من أبطال المسلمين : فتح دمشق أيام عمر بن الخطاب بالاشتراك مع خالد بن الوليد .
(٤) من أبطال المسلمين فتح فارس أيام عمر بن الخطاب .
(٥) ابو سعيد عقبة بن عمر الانصاري صحابي شهد العقبة وأحداً وكان من أصحاب علي كرم الله وجهه .
(٦) هو بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت المال وأحد السابقين للاسلام
(٧) عبد الله بن الأرقم صحابي جليل وكانت داره مجتمعاً للصحابة قبل اعلان الدعوة .
(٨) أسامة بن زيد ، صحابي جليل ، هاجر مع النبي ﷺ الى المدينة ، وأمّره رسول الله ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره .
(٩) عبد الرحمن بن عوف صحابي جليل واحد المبشرين بالجنة .
(١٠) البراء بن مالك الخزرجي صحابي من أشجع الناس شهد أحداً مع الرسول ﷺ .
(١١) معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب .
(١٢) خوات بن جبير صحابي معروف بالشجاعة وعلو الهمة .
(١٣) رباح بن المعترف تابعي من أجلاء الفقهاء .
(١٤) النعمان بن بشير من أجلاء الصحابة ، أمير خطيب شاعر ولي القضاء بدمشق .
(١٥) حسان بن ثابت شاعر رسول ﷺ وفد في الجاهلية على الغساسنة في دمشق ومدحهم .
(١٦) المغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم ، صحابي شهد وقعة الحديبية وفتوح الشام .

ومن التابعين سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن حسان وشريح القاضي ، وعامر الشعبي وعبد الله بن محمد بن ابي عتيق وعطاء بن ابي رباح وعمر بن عبد العزيز ؛ ومن غير التابعين عبد الملك بن جريح ومحمد بن علي وابراهيم بن سعد بن ابراهيم الزهري ؛ ونقلوه عن ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد وسفيان بن عيينه وابي بكر احمد بن موسى بن مجاهد القرافي والحاكم ابي عبد الله بن الربيع

ذكر ذلك الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي[2] رحمه الله في ايضاح الدلالات وفصل اخبارهم واحداً بعد واحد فيما روى عنهم من الغناء وسماعه فليرجع لما ذكره .

ولقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في بعض أسفاره لرباح[1] المعترف غنني فغناه شعراً :

أتعرفُ رسماً كأطراد المذاهب بعمرة قفراً غير موقف راكب

فأصغى إليه عمر رضى الله عنه ، فقال أجدت بارك الله فيك ، فقال : يا أمير المؤمنين لو قلت زه كان أعجب إلي ؛ فقال ومازه قال كلمة كان كسرى إذا قالها أعطي من قالها له أربعة آلاف درهم ؛ قال إن شئت ان أقولها لك فعلت ُ فأما إعطاء أربعة آلاف درهم فلا يجوز لي من مال المسلمين ، قال فبعضها من مالك فأعطاه أربعماية درهم ، فقيل له أتصل المغني ؟ قال خدعني .

(١) رباح المعترف من المغنين المجودين .
(٢) هو عبد الغني بن اسماعيل النابلسي ولد في دمشق وتوفي بها ، عالم بالدين ، متصوف . الّف كثيراً وله شعر .

وذكر البغوي[1] في تهذيبه وصاحب المهذب وغيرهما أن عبدالرحمن استأذن على عمر فسمعه يترنم فقال عمر: أسمعتني يا عبدالرحمن؟ فقال نعم فقال إنا إذا خلونا في منازلنا نقول كما تقول الناس وكان عمر رضي الله عنه يترنم بالبيت وبالبيتين.

وقال الماوردي في الحاوي وصاحب البيان وغيرهما إنه كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه جاريتان تغنيان له، فاذا كان وقت السحر قال لهن أمسكا فان هذا وقت الاستغفار.

وقد ثبت في الصحيحين أنه كان عند حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قينة.

ونقلوا أنه كان لعبد الله بن الزبير جوارٍ عوّادات وأنّ ابن عمر دخل عليه فرأى العود فقال ما هذا يا صاحب رسول الله ﷺ فناوله له فتأمله ابن عمر رضي الله عنهما وقال هذا ميزان شامي فقال ابن الزبير توزن به العقول.

وروي أن معاوية قال لعمرو بن العاص[2] إمض بنا الى هذا الذي تشاغل باللهو وسعى في هدم مروءته حتى تنعى عليه أي نعيب عليه فعله، يريد عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، فدخلا عليه وعنده سائب خاثر[3] وهو يلقي على جوارٍ

(١) البغوي صاحب كتاب التهذيب.
(٢) عمرو بن العاص من دهاة العرب وابطالهم، وكان من أصحاب معاوية وقد ولاه مصر.
(٣) مغن مشهور ورد ذكره في الأغاني.

لعبد الله فأمر عبد الله بتنحية الجواري لدخول معاوية، وثبت سائب مكانه، وتنحى عبدالله عن سريره لمعاوية، فرفع معاوية عمراً فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعدْ ما كنت فيه فأمر بالكراسي فألقيت وأخرج الجواري، فتغنى سائب بقول أقيس بن الحطيم:

ديار التي كادت ونحن على (منى)[1] تحن بنا لولا نجاء الركائب

ورددّه الجواري عليه، فحرك معاوية يديه وتحرك في مجلسه ثم مدّ رجليه، فجعل يضرب بهما وجه السرير، فقال عمرو: اتئد يا أمير المؤمنين فان الذي جئت لتلحاه أحسن منك حالاً، وأقل حركة؛ فقال معاوية اسكت لا أبالك فان كل كريم طروب.

ودخل المغنون منزل سكينة[2] بنت الحسين رضي الله عنهما فأذنت للناس إذناً عاماً فغصّت الدار بهم وصعدوا فوق السطح، وأمرت لهم بالأطعمة، فأكلوا منها، ثم إنهم سألوا حنينا[3] أن يغنيهم صوته الذي أوله:

« هلاّ بكيت على الشباب الذاهب »

فقال لهم ابدأوا أنتم فقالوا ما كنا لنتقدمك، ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت فغناهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح

(١) منى في درج الوادي الذي ينزله الحجاج ويُرمى فيه الجمار سُمّي بذلك لما يُهرق به من الدما
(٢) هي بنت الحسين السيدة الأديبة زوجة مصعب بن الزبير.
(٣) مغن مشهور.

وكثروا ليسمعوه فسقط الرواق على من تحته فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحاء ومات حنين تحت الهدم .

فقالت سكينة عليها السلام لقد كدّر علينا حنين سرورنا .

ولقد روي عن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه صنع سبعة ألحان أيام إمارته على المدينة ذكرناها قريباً .

وكان لأبي حنيفة[1] رحمه الله جار من الكيالين ، مغرم بالشراب وكان ابو حنيفة يحي الليل بالقيام ويحييه جاره الكيال بالشراب ويغني على شرابه .

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغرِ

فأخذه العسس ليلة فوقع بالحبس وفقد ابو حنيفة صوته واستوحش له فقال لأهله ، ما فعل جارنا الكيال ، قالوا أخذه العسس ، فهو في الحبس ، فلما أصبح ابو جنيفة ، وضع الطويلة[2] على رأسه وخرج حتى أتى باب عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع في إذنه ، وكان ابو حنيفة قليلاً ما يأتي الملوك ، فأقبل عليه عيسى بوجهه ، وقال : أمر ما جاء بك أبا حنيفة ، قال نعم أصلح الله الأمير ، جارٌ لي من الكيالين أخذه عسس الأمير ليلة كذا فوقع في حبسك ،

(١) ابو حنيفة هو النعمان بن ثابت . احد ائمة المذاهب الأربعة ؛ ومدحه الامام الشافعي بقوله: الناس في الفقه عيال على ابى حنيفة ومن تلامذته الامام ابو يوسف قاضي القضاة وصاحب كتاب الخراج .

(٢) لباس يوضع على الرأس أيام بني العباس .

فأمر عيسى باطلاق كل من أخذ في تلك الليلة اكراماً لأبي حنيفة ، فأقبل الكيال على ابي حنيفة متشكراً له فلما رآه ابو حنيفة قال أضعناك يا فتى ؟ يعرض له بقصيدته قال لا والله ولكنك بردت وحفظت .

وروي عن مالك بن أنس[1] رحمه الله أنه سمع في عرس ابن حنظلة يتغنى :

سليمى أزمعت بينا فأين بوصلها أينا

وروي عنه أنه سمع من يغني على غير الصواب فأخرج رأسه من كوة ورده الى الصواب ، فسأله ذلك الشخص ليعيده فقال حتى تقول أخذته عن مالك بن أنس .

وذكر السبكي[2] رحمه الله في طبقاته قال : قال المُزني مررت مع الشافعي[3] وابراهيم بن اسماعيل بن علية على دار قوم وجارية تغنيهم شعراً :

خليليّ ما بال لمطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

(١) مالك بن أنس إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة .

(٢) السبكي هو عبدالوهاب بن علي قاضي القضاة ، مؤرخ باحث من تصانيفه طبقات الشافعية والطبقات الوسطى والطبقات الصغرى .

(٣) الشافعي محمد بن ادريس بن العباس ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة واليه نسبة الشافعية ، له تصانيف كثيرة اشهرها كتاب الام في الفقه .

فقال الشافعي رحمه الله ميلوا بنا نسمع فلما فرغت قال الشافعي لابراهيم؛ أيطربك هذا قال لا ، قال فما لك حس .

وقال أبو الوفاء بن عقيل[1] في كتابه المسمى بالفصول صحت الرواية عن الإمام احمد بن حنبل[2] رحمه الله أنه سمع الغناء عند ابنه صالح هذا ولقد طال بنا الحديث فلنثن عنان القلم خوف الملل .

(١) كان عالماً فاضلا من رواة الحديث المشهود لهم بصدق الرواية ألف كتاب الفصول .
(٢) أبو عبدالله الشيباني إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة صنف المسند في ستة مجلدات .

تاريخ المغنين

قلنا إن الغناء قديم ولكن على غير ما نعهده من القواعد ، والضوابط ، والروابط وأول من ضبطه على ما يقال فيثاغورس .

وأول من غنى في العرب الجرادتان ، وهما قينتان كانتا لعاد ومن غنائهما .

ألا ياقين ويحك قم وهينم لعل الله يصبحنا غماما

وخرج جماعة في الجاهلية يغنون شعرهم كالأعشى[1] قبيل الإسلام فإنه كان يغني شعره ولذلك سمي صناجة العرب . وكان الغناء عندهم على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج ؛ فأما النصب فغناء الركبان والقينات ، وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يثير القلوب ، ويهيج الحليم . وانما كان اصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً وهي المدينة ، والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة .

وهذه القرى مجامع أسواق العرب ، وكانت تسمى القينة الكرنيةَ[2] والعود الكران والمزهر ايضاً هو العود وهو البربط .

(١) الأعشى هو صناجة العرب شاعر جاهلي معروف من أصحاب المعلقات .
(٢) الكرنية المغنية جمع كران وكرائن .

ولم يزل الغناء عند العرب ساذجاً حتى بزغ الإسلام فملكوا الممالك ودوخوا الاقطار ومالوا الى الترف والدعة ، وظهر فيهم المغنون لاختلاط الفرس والروم بهم ، وكان أول من غنّى بالإسلام الغناء الرقيق طويس وهو علّم ابن سريج والدلال ونومة الضحى ، وتتابع المغنون على إثرهم كالغريض وسنان وحبابة وسلّامة ومعبد ومالك بن ابي السمح وعمر الوادي وابن عائشة وبذيح في الدولة الأموية[1] .

ثم لما افضى الأمر الى العباسيين وازداد ميل الأمة الى الترف بنمو الحضارة وسعة الملك توسعت دائرة الغناء وتفرعت مذاهبه وكثر المغنون فاستنبطوا الألحان وغير بعضهم الغناء القديم كابراهيم بن المهدي وألفوا بالغناء كتباً كثيرة .

فمن المغنين في الدولة العباسية ابراهيم بن المهدي وأخته علية وفليح بن العوراء وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد وابن جامع ومخارق وبذل وعلوية وعريب وفريدة وعمرو بن بانة وابن القصار ورذاذ وغيرهم .

ولم يزل المغنون زينة المملكة ورسل الحضارة ، لهم المقام الأرفع عند الخلفاء وغيرهم من اولي الأمر الى أن تداعت أركان الدولة العباسية فدرجوا على اثرها ولا بدع فما بقاء الفرع بعد الاصل والملك بيد الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) ستأتي ترجمة هؤلاء المغنين فيما بعد .

هذا ولقد ظهر في الاعصار[1] الأخيرة جماعة من المغنين أحيوا بعض ما درس من معالم الغناء كعبده الحمولي[2] والشيخ يوسف[3] المنيلاوي ومحمد سالم[4] وعبد الحي حلمي[5] والشيخ سلامه حجازي[6] وغيرهم نساء ورجالا .

وأول من أحيا الالحان القديمة التي كان يغنى بها في صدر الدولتين الشيخ يوسف المنيلاوي رحمه الله تعالى .

ولقد تألف في القاهرة منذ عهد غير بعيد معهد للموسيقى الأهلي من جماعة من الوطنيين والأجانب برئاسة حسين باشا واصف من اعيان القاهرة والغرض منه ترقية هذا الفن وقد جعله الخديوي تحت حمايته ومعونة الأسرة الخديوية .

---

(١) الأعصار : جمع عَصْر وهو الدهر ، ويجمع أيضاً على عصور وأعصر وعُصُر وأعصار

(٢) عبده الحمولي أحد المغنين المبدعين في مصر ، وله اليد الطولى في تطور الغناء العربي

(٣) الشيخ يوسف المنيلاوي مغن كبير اشتهر بغناء الأدوار والقصائد وهو من تلاميذ الحمولي .

(٤) محمد سالم مغن مشهور كان يعتبر من زملاء عبده الحمولي وقد زار سورية ولبنان .

(٥) عبدالحي حلمي مغن شاب من بلدة بني سويف عرف بجمال صوته .

(٦) الشيخ سلامة حجازي ولد بالاسكندرية وأنشأ فرقة للتمثيل ، وكان من كبار المغنين ، وهو أول مصري أسس الجوقة التمثيلية .

مَنزِلَةُ المُغَنِّين

كان للمغنين منزلة رفيعة عند الخلفاء والأمراء كمنزلة إخوانهم الشعراء ان لم نقل ارفع ، ولو لم يكن لهم من المنزلة ما لغيرهم من حملة العلم والأدب لما اشتغل بالغناء كثير من أولاد الخلفاء بل من الخلفاء أنفسهم .

ولقد كان من المغنين من لا يُغني إلاّ لخليفة ، ومنهم من يستشيط غيظاً اذا طلب منه الغناء ، علماً بان منزلتهم رفيعة ، ولا يجوز لأحد أنْ يطالبهم بذلك الا الخلفاء .

وقصة زرياب المغني حينما رحل للاندلس ولحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس دليل ناصع على ما نقول إذ ركب للقائه وأسنى له الجوائز وجعله من خواص ندمائه .

ولقد كان الرجل منهم يأخذ القناطير المقنطرة من الذهب والفضة بصوت يغنيه أمام الخليفة يثير به ما تغلغل في حنايا أحشائه كما سترى ذلك وكثيراً من أمثاله في الشرح .

ثم دار الفلك وضربهم الدهر بضرباته إذ عصفت بغصن الدولة العباسية

نكباء[1] زعزع[2] ، فأصبحوا أثرا بعد عين ، وكذلك كل شيء هالك الا وجهه .

فكان المغني بعد انقضاء الدولة العباسية ، ينظر اليه كرعاع[3] الناس ، ولقد انتقد بعض مؤرخي القرن العاشر على مؤرخ من مؤرخي القرن التاسع لترجمة بعض المغنين ، فسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير إنه على كل شيء قدير .

هذا ولقد استوفينا الكلام على الغناء والمغنين حسبما يقتضيه المقام . فلنشرع فيما وعدنا فيه من ترجمة صاحب القصيدة .

---

(١) نكباء ريح انحرفت عن مهاب الريح ووقعت بين ريحين .
(٢) زعزع ريح شديدة الهبوب .
(٣) الرعاع سُقاط الناس وسفلتهم .

ترجمة صاحب القصيدة

لا اعرف أسرة تسلسل فيها العلم والوجاهة والمجد أربعة عشر قرناً غير بني حمزة. ولا أعرف في دمشق أسرة أقدم زمنا وأرفع في العلم كعباً وأعرق نسباً وأكثر وجاهة منها.

فبنو حمزة نقباء الشام، وهم أسرة شريفة دمشقية، ذات علم ودين، وشهرة عظيمة، ينسبون الى حمزة الحراني بن محمد بن ناصر الدين بن علي بن الحسين المحترف بن اسماعيل بن الحسين النتيف بن احمد بن اسماعيل الحراني بن محمد بن اسماعيل الأعرج بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وأمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وهي لعمري سلسلة أوضح من فلق الصبح.

وهم من كبراء أعيان دمشق أباً عن جد، وكان منهم، أول من ولي نقابة الشام وهو اسماعيل بن الحسين النتيف وذلك سنة ثلاثين وثلاثمائة هجرية وما زالوا قائمين على النقابة حتى القرن الثالث عشر.

ولقد نبغ منهم فحول الواحد منهم بألف كالحافظ المسند شمس الدين محمد،

والحافظ عز الدين ابي يعلى حمزة، والحافظ كمال الدين محمد المحدث والسيد ابراهيم اخو صاحب القصيدة والسيد محمود[1] مفتي دمشق رحمهم الله تعالى اجمعين.

فلا بدع اذا سطع نجم في سماء هذه الأسرة كالسيد عبد الرحمن صاحب القصيدة وهو:

السيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد كمال الدين بن محمد بن الحسين الحسيني المعروف بأبن النقيب وبابن حمزه ولد وقت الظهر من صبيحة ليلة الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وألف وتوفي مطعوناً[2] ضحوة نهار الأثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة احدى وثمانين وألف وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة الا عشرين يوماً ودفن بتربة باب الفراديس[3] غربي قبر الشيخ عبد الرحمن ابي شامة رحمه الله تعالى.

(١) السيد محمود بن السيد نسيب حمزة، جدّ الشاعر خليل مردم بك لأمه: كان آية في الذكاء والفضل، جمع صفات قل أن تجتمع في شخص واحد، كان عالماً، شاعرا، أديباً، فقيهاً. وكان عجيباً في كتابة الخطوط الدقيقة، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة أرز. تولى إفتاء الديار الشامية سنة ١٢٨٤ هـ وظل بها حتى آخر حياته. كان له سعي مشكور في اخماد فتنة حادثة دمشق المعروفة بحادثة ١٨٦٠ فقد آوى قسماً كبيراً من مسيحي دمشق في داره ورد عنهم الغوغاء وقد أهداه نابليون الثالث امبراطور فرنسا جفتاً ذهبياً في صندوق من عاج اقراراً بجميله. ألف كثيراً، ومن كتبه: الأسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة، الفرائد البهية في القواعد الفقهية، الكواكب الزاهرة الحديث، الطريقة الواضحة الى البينة الراجحة، الفتاوى المحمودية، احدى عشرة رسالة (عن الأعلام للزركلي ومشاهير رجال الشرق لزيدان).

(٢) مطعوناً أي مصاباً بمرض الطاعون.

(٣) باب الفراديس: أحد ابواب دمشق منسوب الى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس، هي الآن خراب وكان للفراديس باب آخر عند باب السلام فسُدّ.

قال المحبّي [1] وكان السيد المذكور نادرة وقته في الفضل والأدب والذكاء وجودة القريحة وحسن التخيل ، وكان مطلعاً على اللغة والشعر وأنواعه الاطلاع التام ، وفضله أشهر من أن ينوه به أو ينبه عليه ، تخرج بوالده وغيره من فضلاء العصر حتى برع وأتقن فنوناً ثم تعاني الإنشاء ، ونظم الشعر في طليعة عمره فأحسن فيهما كل الإحسان وضرب فيهما بالقدح المعلّى ، وكان يتخيل التخيلات البعيدة البديعه في التشابيه العجيبة والنكات المتقنة والمعميات العويصة ، وكلامه كما تراه يجمع بين الجزالة وحسن التركيب في لطائف الصنعة . وتملك رق الاتقان والابداع ، ويعرب عما وراءه وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وقريحة [2] غير قريحة [3] وطبع غير طبع [4] ؛ وقد وقفت له على أشياء يحسد الاول الاخير عليها .

وقال ابن شاشو [5] : « كوكب رصد والده ، ونجم طريفه وتالده ، وإنسان مقلة كماله . ونور حدقه إفضاله . جوهرة من جواهر المجد الصميم لا جوهرة من جواهر العقد النظيم . غصن من أغصان دوحة النبوة . أرضعت أصوله ثدي المروءة والفتوة . حقيق بوصف كل مادح . ومبرّأ من قدْح كل قادح ، نسب

(١) المحبّي محمد بن فضل الله المحبّي الدمشقي باحث وأديب عني بتراجم أهل عصره ومن مؤلفاته خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر .
(٢) قريحة الطبع .
(٣) قريحة جريحة .
(٤) السجية .
(٥) ابن شاشو : عبدالرحمن بن محمد الذهبي ويقال له ابن شاشو اديب من أهل دمشق له الفوائح المكية والروائح المسكية في التراجم .

كضوء الصباح . ووجه كغرة الاصباح فعال كأوصافه الحسان ، وفَعال يؤخذ منه الحسن والاستحسان . وفضل تُذعن له العقول قبل السماع . وأدب يمتزج امتزاج الروح بالطباع . وشعر هو زهر الرياض والآداب . ونثر هو حبات افئدة أولى الألباب ، برع في أوائله ، ومزج أدبه بفضائله . وتخرج على الفحول . وتصرف تصرف العقول . وأنسى بخمرياته أبا نواس . وأحيا بمطارحاته عصر بني العباس . درَس ودرّس . ومهد وأسس . وأبدع في التشبيه أي ابداع . وأوصل سنده بابن المعتز بعد الانقطاع .

حكاه وجاراه . وأبعد في سبقه مرماه . حتى اتى بما لم يخطر لأحد سواه . فسبحان من جمع كل المحاسن فيه وأنبت درر الألفاظ من عذب لمى فيه . كنت أجتمع به قليلاً في مجالس والده . وأجتني بحسب الوقت بعض ثمرات فوائده وحين آن أوان اقتطاف يانع [1] ثمراته . قطفت يد الحين زهرة شريف حياته .

أسفي على غصن كمال ذوى [2] من بعد مافي كل قلب ثوى

لا أغبّت [3] روضة جدثه سحائب الرحمان . ولا برحت مقيلاً لقوافل الرحمة والرضوان » .

وقال ولد المترجم السيد محمد السعدي رحمهما الله « وقد أخذ الفقه والحديث

(١) يانع ناضج .
(٢) ذوى يبس .
(٣) نزول المطر على فترات .

وغيرهما من العلوم من منطوق ومفهوم عن جماعة من العلماء الأعلام : منهم والده المذكور ، وشيخنا الشيخ خير الدين الرملي الحنفي وشيخنا الشيخ محمد بلبان الصالحي[1] والشيخ عبد الباقي الحنبلي وشيخنا الشيخ محمد بن سليمان المغربي[2]، وشيخنا الشيخ عبد القادر الصفوري[3] والشيخ محمد البطنيني[4]، والشيخ ابو بكر السليمي[5] والشيخ حسين الرومي[6] وغير هولاء المذكورين ممن قرأ عيلهم ولم يتيسر له الاخذ عنهم ، منهم المنلا شريف نزيل مكة المكرمة قرأ عليه كثيراً في آداب البحث والمنطق . ومنهم الشيخ احمد القلعي قرأ عليه كثيراً في الفنون ومولده كما رأيته بخطه في وقت الظهر من صبيحة ليلة الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الآخر سنة ثمان المذكورة . وقد جمع كتاباً لطيفاً في الأدب سمّاه بواكير الحدائق والغرف ، فلم يتم ولكن أقتطف منه كتاباً مختصراً ووسمه (بدستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف) وأرسله لقدسي زاده النقيب بالممالك العثمانية وله عدة رسائل في الفقه وغيره » .

ولما توفي رثاه والده بهذه الأبيات وقرأها صبيحة اليوم الثالث على قبره .

إن عصراً ينعي اليك الحبيبا ... ما أراه يفوح[7] مسكاً وطيبا
أمع الصبر راحة أم رخاء ... أم صبا ناصع يشق الجيوبا
لا وحق الذي قضى بفراقٍ ... شقّ مما تحت الجلود القلوبا

(١)(٢)(٣)(٤)(٥)(٦) دمشقة عنوا بطلب العلم ودراسة الفقه واللغة .
(٧) فاح أرج .

غصة غادرت فوادي ملتا ... حاً[1] مطيعاً يستعذب التعذيبا
إن خلاً صاحبته جوهراً فر ... داً بديعاً في كل فن لبيبا
ماهراً لا يطيش فهماً عصاميّ ... مرامٍ في السانحات[2] مصيبا
روض أنس الجليس لا يألف التد ... ليس ذا عفة فقيهاً أديبا
كان أنسي فسار طلقاً مع الرك ... ب ولم يلتفت فرحت سليبا
ليس ذا بل دعاه داع الى حق ... مطاع ضحىً فلبى مجيبا
ناطقاً بالصواب مستحقر الأو ... صاب مستبشراً بما قد أصيبا
ربِ جرعتني لصابٍ فانعم ... بثواب أرجو به التقريبا
وارض عمن غيبت عني محيا ... ه فحسبي أن كنت انت الحسيبا
وأعضه بدار خلد من الجنـ ... ـات واجعل له رضاك صحيبا

وللمترجم شعر لطيف منه :

نبهتُه سحراً[3] والكأسُ فوق يدي ... والعودُ مصطخبٌ[4] الاوتارِ يجليه

(١) ملتاح عطشان .
(٢) السانحات جرى تفسيرها .
(٣) جرى تفسيرها .
(٤) مصطفق .

فرفع الجيدَ عن كفي وقد فترت أجفـــانه وأنا أدنيـــه من فيه
كما ترفع غصن البان منتصباً حالاً فحالاً اذا ما رحت تثنيه

وله في القرنفل الأبيض :

ما تري ناصع القرنفل[1] وافى بتحـــايا الشميم بين الزهور
قضب من زبرجـــد حاملات قطعـــاً فككت من الكافور

وله مثل هذا كثير فاكتفينا باليسير إذ لو أردنا استيفاء محاسنه لضاق بنا المقام وحسبنا دليلاً قصيدته التي تقدم الكلام عليها فاليك هى مع شرحها .

(١) زهرٌ ذكي الرائحة .

شرحُ القصيدة وترجمة من وردَ اسمُه بها من المغنين والأعلام

(١) كلّما جدّد الشجيُّ ادّكارَهْ أزعج الشوقُ قلبَهُ واستطارَهْ

الشجيُّ : الحزين ، وادكار : مصدر ادّكر بمعنى ذكر ؛ وازعج بمعنى أقلق ، واستطاره : انتزعه من محله ، يقال استطار فلان سيفه اذا انتزعه من غمده مسرعاً .

(٢) ليْتَ شعري أيْنَ استقلّ عن اللـ ـبنوه وكيف أخلوا مزارَهْ

ليت : كلمة تمنٍ ؛ وهى حرف تنصب الاسم وترفع الخبر مثل إن وأخواتها.
والشعر : العلم ، يقال ليت شعري أي ليتني علمت .
واستقل : بمعنى مضى وارتحل ؛ والمزار الزيارة وموضعها ، ومايزار من الاماكن .

(٣) بعد ما راوحتهُمْ صفوة العيـ ـشِ ونالوا وَفق الهوى أوْطاره

راوح بين العملين تداول هذا مرة ؛ ومن ألطف ما سمعته في وصف الهوى قول ابن عبد ربه «الهوى ربيع القلب ومراد الروح ومربع اللهو ومسرح الأماني».

(١) يقوم المجمع العلمي العربي بطبع ديوان ابن النقيب تحت اشراف الاستاذ عبدالله الجبوري ومراجعة الاستاذ أحمد الجندي .

أوطار : جمع وطر وهو الحاجة.

(٤) وجَروا في مطاردِ الأُنس طلقاً واجتلوا من زمانهم أبكارَه

المطارد : جمع مُطردٍ ، والمطردة محجة الطريق ولم ترد صيغة جمعها في اللسان، ولا في التاج ، ولا في الصحاح.

طلقاً : أي بلا قيد ولا وثاق .

واجتلى الشيء اجتلاءً : نظر اليه ، واجتلى العروس مجلوةً .

وأبكار : جمع بكر ، والبكر أول كل شيء ، وكل فعلة لم يتقدمها مثلها، البكر العذراء .

(٥) بين كأسٍ وروضةٍ وغديرٍ وسماع ولذة وغضاره

الغدير : النهر ؛ والقطعة من الماء يغادرها السيل .

والغضارة : السعة والنعمة والخصب وطيب العيش .

(٦) أين حلّوا فمُعشبٌ ومقيلٌ أو أناخوا فوردة وبهاره

حَلَّ الرجل بالمكان : نزل به ؛ والمعشب الذي فيه عشب .

والمقيل موضع القيلولة ، والقيلولة مصدر ، قال الرجل اذا نام في القائلة أي نصف النهار ؛ وأناخ بالمكان أقام به ؛ وبهارة : واحدة بهار والبهار نبت طيب الريح وهو العرار الذي يقال له عين البقر وهو جعدٌ له فقاحة صفراء .

(٧) من مليكٍ زَفّت بحضرته الكأ س قيانٌ يعزفن خلف الستاره

زَفّ العروس الى زوجها هداها اليه ؛ وقيان جمع قينه ؛ والقينة هي الامة مغنية كانت أو غير مغنية .

(٨) ووزيرٍ قد بات يسترق اللذ اتِ وهناً والليلُ مرخٍ إزاره

استرق مثل سرق ، واسترق السمع استمع مستخفياً ؛ الوهن نصف الليل .

(٩) وأميرٍ منطقٍ بندامـ ـه وكأسُ الطلا لديهم مُداره

منطق اسم مفعول من تمنطق وتمنطق اي لبس المنطقة .

والطلاء ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب يسمى الخمر الطلاء يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بعينها .

(١٠) كم فتىً من بني أمية أمسى وخيول الهوى به مستطاره

مستطارة اي مسرعة الجري .

بنو أمية :

يعرفون أيضاً بالأموية ، والأمويين ، نسبةً إلى جدهم أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ؛ أسسوا دولتين عظيمتين احداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أما المشرقية فكان ابتداؤها بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أول خلفاء بني أمية (سنة ٤١ هجرية) وانقراضها (سنة ١٣٢ هـ) بتغلب بني العباس عليهم ، وآخر خلفائهم مروان بن محمد ، وبعد أن تغلب بنو العباس على دولتهم

بالمشرق ، أسسوا دولة عظيمة بالأندلس (سنة ١٣٩ هـ) أسسها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وانقرضت (سنة ٤٢٢ هـ) .

(١١) كيزيد وشأنه مع أبي قيـ سٍ وما قد عراه في عَمَّاره

عراه ألمّ به وأصابه وعرض له .

يزيد بن معاوية :

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ثاني خلفاء بني أمية بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه معاوية سنه ٦٠ هـ ومات سنة ٦٤ هـ ؛ كان شاعراً أديباً فصيحاً ، طروباً ، قيل أنه أول من أدخل الملاهي من الخلفاء وآوى المغنين ، ومن شعره ما قاله وهو بالصائفة حينما أتاه البريد ينعي أباه فأنشأ يقول :

جاء البريدُ بقرطاس[1] يخبّ[2] به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم ... قال الخليفة أمسى[3] مثبتا وجعا

مادت[4] بنا الأرض أو كادت تميد بنا ... كأنّ ما عزّ من أركانها انقلعا

من لم تزل نفسه توفي على وجل ... توشكْ مقادير تلك النفس أن تقعا

(١) الصحيفة التي يُكتب بها .
(٢) هاج واضطرب .
(٣) المثبت الذي ثقل فلم يبرح .
(٤) ماد مال .

لما وردت وباب القصر منطبق ... لصوت رملة هدّ القلب فانصدعا

وأبو قيس ، قرد كان ينادمه يزيد .

عمارة :

هي اخت الغريض المغني الآتي ذكره ، كانت من أحسن الناس وجهاً وغناء أخذت الغناء عن أخيها الغريض[1] وابن سريج[2] .

(١٢) بأبي وجهها الجميل الذي يز ... دان حسناً وبهجة ونضاره

الباء للتفدية أي افدي وجهها بأبي .

(١٣) ونداماه كابنِ جعدة والأخـ ... ـطل إذ عاقراه صفواً عقاره

الندامى جمع منادم وهو المنادم على الشراب .

ابن جعده :

هو قدامة بن جعدة الخزرجي كان من ندماء الخليفة يزيد بن معاوية .

الأخطل :

هو غياث بن غوث ويكنى أبا مالك ، والأخطل لقب غُلب عليه لأنه هجا رجلاً من قومه ، فقال له يا غلام إنك لأخطل ، والأخطل ذو الخطل ، والخطل

(١) - (٢) الغريض وابن سريج مغنيان شهيران تأتي ترجمتهما فيما بعد .

الخفة والسرعة ، والمنطق الفاسد ، وكان شاعراً كبيراً ، محله في الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف ، وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، وكان مقدماً عند خلفاء بني أمية ، لانقطاعه إليهم ، ومدحه لهم ، وكان نصرانياً ، معجباً بنفسه ، محباً للخمر ، معاقراً لها ، عمّر عمراً طويلاً ، ومات في خلافة الوليد بن عبدالملك.

وعاقر لازم وقد عاقر الخمر أدمن شربها ، والصفو ما صفا من الشيء ، والعُقار الخمر .

(١٤) وقضى لَيْلَهُ مع ابنِ زيادٍ وقتيب[1] بن مسلم ونهارَهْ

ابن زياد :

هو مسلم بن زياد ، كان نديماً ليزيد .

قتيب :

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلي ، كان أبوه نديماً ليزيد ، وتولى إمارة خراسان زمن عبدالملك بن مروان ، وهو الذي افتتح خوارزم[2] وسمرقند[3] وبخاري[4] .

(١) تستغرب ورود اسم قتيبة بن مسلم بين ندماء يزيد مع أن والده مسلم هو الذي كان نديماً له وقد ذكر الشاعر الولد وهو يقصد اباه .
(٢) خوارزم يطلق عليها اليوم الجرجانية وهي قريبة من مدن خراسان .
(٣) سمرقند بلد معروف وهو قصبة الصغد على جنوبي الوادي .
(٤) بخاري اعظم مدن ما وراء النهر وأجلها كانت قاعدة السامنية .

(١٥) وكمروان وابنه حين واسى بلذاذات عيشه سمّارَهْ

مروان :

هو مروان بن الحكم تولى الخلافة بعد أنْ خلع نفسه معاوية بن يزيد سنة ٦٤ هجرية وتوفي سنة ٦٥ هـ . كان قصيراً أحمر ، أوقص[1] يُكنى أبا الحكم ، وأبا عبد الملك ، وابنه عبدالملك .

عبد الملك :

هو عبدالملك بن مروان وكنيته أبو الوليد ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٥ هـ . وتوفي سنة ٨٦ هـ . وكان عاقلاً حازماً ، أديباً ، عالماً من أكبر الفقهاء ، خبيراً بالشعر ، ونقده ، وهو الذي حوّل الدواوين بالشام ومصر والعراق من اليونانية والقبطية والفارسية الى العربية ، رقيق الوجه ، مقرون الحاجبين ، كبير العينين ، مشدود الأسنان بالذهب .

واسى أي شارك ، وسمّار جمع سامر ، وسامر اسم فاعل من سمر أي لم ينم وتحدث ليلاً .

(١٦) نادمَتْهُ أبنـاء باليةَ اللا ئي قضى في ربوعهم أسحاره

(١) أوقص قصير العنق .
(٢) ديرمران بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران .

أبناء بالية :

هم ابناء بالية بن هرم بن رواحة ، كان يأتيهم ليلاً ويندمهم .

وربوع جمع ربع ، والربع الدار ، والمحلة والمـــنزل ، وما حول الدار والموضع ، وجماعة الناس ، وأسحار جمع سحر وهو آخر الليل .

(١٧) وكمثل الوليد ذي القصف إذ كا ن يغبّ اصطباحه وابتكاره

الوليد :

هو الوليد بن عبدالملك بن مروان بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ﻫ وتوفي بدير مران[1] سنة ٩٦ﻫ . ودفن خارج الباب[2] الصغير بدمشق ، كان رحمه الله ، من أفضل خلفاء بني أمية ، فتح في أيامه فتوحاً عظاماً ، منها الأنـدلس مهد المدنية والعلم ، وكاشغر والهند ؛ وبنى مسجد دمشـق (الجـامع الأموي)[3] ومسجد المدينة ، والمسجد الأقصى ، ووضع المنابر ، واعطى المجذومين ، ومنعهم عن سؤال الناس ، وأعطى كل مُقعَد خادماً ، وكل ضرير قائداً ؛ وكان ميّالاً للعمران ، شغفاً بالبناء ، وكان يختم القرآن كل ثلاث ، ويقرأ في رمضان كل يوم ختمة رحمه الله تعالى .

(١) دير مران بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران .
(٢) الباب الصغير هو الباب القبلي المعروف بالباب الصغير .
(٣) الجامع الأموي من اشهر الجوامع الاسلامية ، شُيد ايام الخليفة الوليد بن عبدالملك وشبت به الحرائق اكـــثر من مرة وصُلح ورُمـــم ، وما زال يعد من آيات الفن المعماري .

وذي ، بمعنى صاحب ، والقصف اللهو واللعب ، ويغبّ أي يرد يوماً ويترك يوماً ، والاصطباح الشرب صبوحاً أي بالغداة ، والابتكار ادراك أول الوقت .

(١٨) ولديه الغريض وابن سريج أظهرا كل صنعة مختارة

الغريض :

هو عبدالملك وكنيته أبو زيد ، وقيل أبو مروان ؛ والغريض لقب لُقّب به ، لأنه كان طري الوجه ، غض الشباب ، حسن المنظر ، كان يضرب بالعود ، وينقر بالدف ، ويوقع بالقضيب ، فحلاً من فحول المغنين الأربعة وهم : ابن سريج ، والغريض ، ومعبد بالحجاز ، وحنين الحيري بالعراق .

أخذ الغناء عن ابن سريج وابن مسجح ، سمعه الوليد بمكة وسُرّ منه ، وكانت وفاته باليمن ، أيام سليمان بن عبدالملك .

ابن سريج :

هو عبدالله بن سريج وكنيته أبو يحي ، كان أحسن الناس غناء ، وكان يغني مرتجلاً ، ويوقع بقضيب ، وهو أول من ضرب بالعود على الغناء العربي بمكة ، وأول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس ، وكان يقـال ما خلق الله تعالى بعد داود عليه السلام ، أحسن صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عز وجل أحداً أحذق منه بالغناء . ويقال أيضاً كأنه خلق من كل قلب ، فهو يغني لكل انسان ما يشتهي .

وكان معبد إذا أعجبه غناؤه يقول له : أنا اليوم سريجي .

ولد في خلافة عمر رضي الله عنه ، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وأدرك يزيد بن عبدالملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام بن عبدالملك ، وكان أديباً حسن الجواب ، بلغ خمساً وثمانين من عمره ، وكان إذا غنى سدل على وجهه جلباباً لقبح وجهه ، وكان منزله بمكة واستقدمه الوليد بن عبدالملك من مكة لكي يسمعه ، فأكرمه . وأنعم عليه وسمعه أيضاً يزيد بن عبدالملك بمكة فسُرَّ منه وأنعم عليه .

(١٩) من غناء ألَذُّ من نشوةِ الكأ سِ وأشهى من صبوة مستثاره

النشوة السكر ، وقيل أوله . والصبوة جهلة الفتوة . ومستثارة أي هائجة .

(٢) وسليان ذي الفتوة إذ كان لنحو الـ ـذلفاء يبدي افتراره

سليمان :

هو سليمان بن عبد الملك ولد سنة (٦٠) هجرية وولي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة (٩٦) هـ وتوفي سنة (٩٩) هـ .

كان من أخيار خلفاء بني أمية ، فإنه ضبط الأحكام ، وقيدها ، ووسع دائرتي التجارة والصناعة ، ووضع مقياساً للنيل قرب القاهرة ، تعرف به درجة ارتفاع مياهه ، وأكمل بناء الجامع الأموي بدمشق :

الذلفاء :

مغنية محسنة كانت للوليد ، وقيل كان شراؤها عليه الف الف درهم ، فتن بها أهل المدينة .

قال الشاعر الأحوص[1] يصفها :

إنما الذلفاء همي فليدعني من يلوم
أحسن الناس جميعاً حين تمشي وتقوم
حبَّبَ الذلفاءَ عندي منطقٌ منها رخيم[2]
أصلُ الحبلَ لترضى وهيَ للحبل صروم[3]
حبها في القلب داء مستكينٌ لا يريم

وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلقها .

لا بارك اللهُ في دار عددتُ بها طلاقَ ذلفاء من دار ومن بلد
فلا يقولنْ ثلاثاً قائلٌ أبداً إني وجدتُ ثلاثاً أنكد العدد

فكان إذا عَدَّ شيئاً يقول واحد أثنان اربعة ، ولا يقول ثلاثة .

(١) الشاعر الأحوص هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري لقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينه كان شاعراً هجاءً عاصر جريراً والفرزدق وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه .

(٢) رخيم رقيق .

(٣) صروم قاطع .

وقال بعض الشعراء بها :

إنما الذلفاء يا قوتة أخرجت من كيس دهقان[1]

وذكر صاحب الأغاني رحمه الله أنّ أبا دهبل الجمحي قال : كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مغنية بالمدينة ، يقال لها الذلفاء فغنت بشعر جميل بن معمَر العذري :

لَهنّ الوجا[2] لمّ كنّ عوناً على النوى[3] ولا زال منها ظالع[4] وكسير[5]
كأني سُقيت السُمّ يوم تحملوا وجَدّ بهم حادٍ وحان مسير

فقال أبو السائب يا أبا دهبل نحن والله على خطر من هذ الغناء فنسأل الله السلامة وأن يكفينا كل محذور فما آمن أن يهجم بي على أمر يهتكني ، قال وجعل يبكي .

قوله : (يبدي) يظهر . والحينن الشوق وشدة البكاء والطرب ؛ وقيل صوت الطرب عن حزن وفرح . والافترار من افترّ الرجل اذا ابتسم وضحك

(١) دهقان كلة فارسية وهو حارس بيت النار . هكذا ورد البيت ونرجح ان به نقصاً عروضياً ونرى ان يكون هكذا :
وانما الذلفاء ياقوته قد اخرجت من كيس دهقان
(٢) الوجا الحفي ، مرّ في الصحاح وجي الفرس بالكسر وهو ان يجد وجعاً في حافره .
(٣) النوى البعد الفراق .
(٤) ظالع مائل .
(٥) كسير مكسور ، تقول ناقة كسير أي منكسرة احدى قوائمها .

ضحكاً حسناً . والافترار أيضاً الاستنشاق .

(٢١) ويزيد بن خالد وأبو زيـ ـد يجيدان في الندام سراره

يزيد التميمي :

هو يزيد بن خالد التميمي كان سليمان ينادمه سراً قبل أن يباشر الشراب .

أبو زيد :

هو أبو زيد الأسدي كان خاصاً بسليمان ، يجالسه وينادمه .

يجيد أي يأتي بالجيد . والنِدام جمع نديم . والسَرار من سارّه أي أعلمه بسره . والسرار مصدر ساررت الرجل سراراً والسرار الليلة التي يستسر فيها القمر كما ورد في اللسان .

(٢٢) إذ يمغنى سنان كان يغالي ويجلّي بشـدوه أكداره

سنان :

مغن لسليمان بن عبد الملك كان يأنس به ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ، ويستمتع بحديثه ، وغنائه .

يغالي أي يبالغ ، ويجلّي أي يذهب ، الشدو ومصدر شدا الرجل الشعر أي غنى به وترنم ، وأنشد بيتاً أو بيتين مادّا صوته كالغناء .

(٢٣) وابن عبدالعزيز إذ راوح الكأ س ووالاه في زمان الإماره

ابن عبدالعزيز :

هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم و كنيته أبو حفص ويقال له أشج قريش لأنه كان في جبهته أثر ، يقال إنه ضربة حافر ، بويع له بالخلافة بعد وفاة سليمان بن عبدالملك بعهد من سليمان (سنة ٩٩ هـ) وتوفي سنة ١٠١ هـ .

كان رضى الله عنه عالماً كبيراً ، زاهداً ، ورعاً ، تقياً ، عادلاً ، أديباً ، فاضلاً حسن الشعر . قال صاحب الأغاني ما معناه :

هو أول من دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء ، خلافاً لإبن خرداذبة فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فذكر أنه تغنى في هذا البيت :

(كأن راكبها غصنٌ بمروحةٍ) .

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة ، وركن من أركان الإمامة لا بد منه ولا معدل عنه .

وضع عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان يذكر سعاد فيها كلها ؛ وهي بأصوات محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلا من طالت دربته بالصنعة وحذق بالغناء ومهر فيه وتمكن منه ، وكان رحمه الله أحسن خلق الله صوتاً .

وهذه الألحان السبعة التي صنعها :

(١) يا سعاد التي سبتني فؤادي ورقادي[1] هي لعيني رقادي

* * *

(٢) حظُّ عيني من سعادْ أبداً طولُ السهادْ[2]

* * *

(٣) سبحان ربي برى سعادا لا تعرف الوصل والودادا

* * *

(٤) لعمري لئن كانت سعاد هي المنى وجنة خلد لا يملُّ خلودها

* * *

(٥) أسعاد جودي لاشقيت سعادا وأجزى محبك رأفة وودادا

* * *

(٦) ألمّا صاحبيّ نزُرْ سعادا لوشك فراقها وذرا البعادا

لعمرك إنّ نفع سعاد عني لمعروف ونفعي عن سعادا

إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى ومروان الذي رفع العمادا

الشعر لجرير يمدحه به .

(٧) الا يادين قلبك من سليمى كما قددين قلبك من سعادا

(١) الرقاد النوم .
(٢) السهاد الأرق .

هما سبتا الفؤاد وأصبتاه ولم يدرك بذلك ما أرادا
فقا نعرف منازل من سليمى دوارس[1] بين حومل أو عرادا
ذكرت بها الشباب وآل ليلى فلم يرد الشبابُ بها مرادا
فإن تشب الذوائب[2] أمّ زيد فقد لاقيتُ أياماً شـــدادا

والشعر لأشهب بن رميلة .

وينسب الى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله صنع هذا الصوت أيضاً وهو :

علق[3] القلبُ سعـــادا عادتِ القلبَ فعادا
كلما عُوتب فيهـــا أو نهى عنها تمادى
وهو مشغوف[4] بسعدى قد عصا فيها وزادا

راوح بين العملين تداول هذا مرة وهذا مرة . والى موالاة وولاء أي تابع .

(٢٤) ويزيد المعمود إذ خامرته نشوة الراح ليله ونهاره

يزيد بن عبدالملك :

هو يزيد بن عبدالملك بن مروان يكنى أبا خالد تولى الخلافة بعد وفاة عمر

(١) جمع الدارس وهو المحو .
(٢) الذوائب جمع ذؤابة وهي الضفيرة من الشعر .
(٣) علق وجد ،مال ،صبا .
(٤) مشغوف ،مفتون .

ابن عبدالعزيز رحمه الله بعهد أخيه (سنة ١٠١ هـ) ، وتوفي (سنة ١٠٥ هـ) .

كان مشغوفاً بحبابة الآتي ذكرها ، وله معرفة بالغناء ، ذكر أنه صنع لحناً وهو :

أبلغ حبابةَ أسقى ربعها المطرُ ما للفؤاد سوى ذكراكم وطرُ
إن سار صحبيَ لم أملل بذكركم أوعرّ سوافهموم[1] النفس والفكر
(٢٥) وسبت لبَّه حبابةُ واستهو ته حتى أباح فيها اشتهاره

سبا الرجل فلانا أي أسره بحبه ، واللب العقل والقلب .

حبابة :

كانت حلوة جميلة الوجه ، ظريفة ،حسنة الغناء ،طيبة الصوت ، ضاربة بالعود أخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز ومالك ومعبد وجميلة وعزة الميلاء .

وكانت تسمى العالية فسماها يزيد لما اشتراها حبابة . اشتراها يزيد لما قدم المدينة في خلافة أخيه سليمان بألف دينار وقيل بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان ، فقال لاحجرنّ عليه فبلغ يزيد قول سليمان فاستقال مولى حبابة ثم اشتراها بعد ذلك رجل من أهل أفريقيا ، فلما ولي يزيد الخلافة اشترتها امرأته

(١) عرّس نزل في السفر في آخر الليل .

وقالت له ذات يوم هل بقي عليك من الدنيا شيء لم تنله فقال نعم العالية فقالت هذه هي ، وهي لك ، فسماها حبابة .

وممن قال فيها الحرث بن خالد لما اشتراها يزيد وأراد الخروج بها :

قد سَلَّ جسمي وقد أودى به سقمي ... من أجل حَيٍّ خلوا عن بلدة الحرم
يحنُّ قلبي اليها حين أذكرها ... وما تذكرتُ شوقاً آب من أمم[1]
الا حنيناً اليها إنها رشأ[2] ... كالشمس رود[3] ثقالٌ سهلةٌ[4] الشيم
فضلها الله رب الناس إذ خلقتْ ... على النساء من اهل الحزم والكرم

وأكثر فيها الشعراء ، وغنى في اشعارهم المغنون ، ذُكر أنّ سلمة أخا يزيد أقبل على يزيد يلومه في الالحاح على الغناء والشراب وقال له إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغلت بهذه الأمة (أي حبابة) عن النظر في الأمور والوفود ببابك ، وأصحاب الظلامات يصيحون وانت غافل عنهم ، فقال صدقت والله ، وهمّ بترك الشرب ولم يدخل على حبابة أياما ، فدست حبابة الى الأحوص أن يقول أبياتا في ذلك وقالت له ان رددته عن رأيه فلك ألف دينار فقال الأحوص:

الا لا تلمه اليوم أنْ يتبلدا[5] ... فقد غلب المحزون أنْ يتجلدا

(١) أمم القُرْب .
(٢) رشأ ولد الظبية .
(٣) رود فتاة ناعمة ليفة .
(٤) ثقال امرأة ذات كفل .
(٥) تبلّد ضد تجلد تكلف .

بكيت الصبا عهدي فمن شاء لامني ... ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإني وإن فندت[1] في طلب الغنى ... لأعلم أني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما البكا ... فكنْ حجراً من يابس الصخر جلمدا[2]
فما العيش الا ما تلذّ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشنان[3] وفنّدا

فلما كان يوم الجمعة ، قالت حبابة لبعض جواريها اذا خرج أمير المؤمنين الى الصلاة فاعلميني ، فلما أراد الخروج أعلمتها فتلقته والعود في يدها فغنت البيت الأول فغطى وجهه ، وقال مه لا تفعلي ثم غنّت :

وما العيش الا ما تلذ وتشتهي

فعدل اليها وقال صدقت والله ، فقبّح الله من لامني ياغلام مُرْ مسلمة أن يصلي بالناس وأقام معها يشرب وتغنيه .

وذُكر أن يزيد نزل ببيت راس[4] بالشام ومعه ؛ حبابة فقال زعموا أنه لا تصفو لأحد عيشته يوماً الى الليل الا يكدرها شيء عليه ، وسأجرب ذلك ، ثم قال لمن معه ، إذا كان غدٌ فلا تخبروني بشيء ، ولا تأتوني بكتاب ، وخلا هو وحبابة ، فأتيا بما يأكلان ، فأكلت رمانة ، فشرقت بحبة منها فماتت ، فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأنتنت وهو يشمّها ويرشفها ، فعاتبه على ذلك ذووا قرابته

(١) فندّ : لام وخطّأ .
(٢) الجلمد : القاسي من الاحجار .
(٣) الشنان : لغة في الشنآن وهو البغض .
(٤) بيت راس : من قرى دمشق قريبة من بيبلة .

وعابوا عليه ما يصنع حتى أذن لهم في غسلها ودفنها ، ولما أخرجت لم يستطع يزيد الركوب من الجزع ، ولا المشي ، فحمل على منبر على رقاب الرجال لا يتكلم حتى جلس على قبرها ، فلما دفنت ، قال أصبحت والله كما قال كثير :

فإن يسل عنك القلب أو يدع الصبا ... فباليأس يسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل راءني فهو قائل ... من أجلك هذا هامة اليوم أوغد

فما أقام الا خمس عشرة ليلة حتى دفن الى جنبها .

(٢٦) واستهلت به سلاّمة حتى ... أقلق الوجد فكره وأثاره

استهل الرجل من الميل الى الشيء .

سلاّمة :

هي سلاّمة القس كانت مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت ، وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن ابي السمح ، وذويهم ، فمهرت ، وإنما سميت سلاّمة القس لأن رجلاً يعرف بعبد الرحمن بن ابي عمار الحبشي من قرّاء أهل مكة وكان يلقب بالقس لعبادته ، سمع صوتها فشغف بها ، وشُهر فغلب عليها لقبه ، وفي ذلك يقول ابن قيس الرقيات :

لقد فتنت ريّا وسلاّمة القسّا ... فلم تتركا للقس عقلا ولا نفسا
فتانان أما منهما فشبيهة الـ ... ـهلال وأخرى منهما تشبه الشمسا

تكنّان[1] أبشارا[2] رقاقا وأوجهاً ... عتاقا وأطرافا مخضبة[3] ملسا

وقال فيهما أيضاً على ما أظن :

أختان احداهما كالشمس طالعة ... في يوم دجن[4] وأخرى تشبه القمرا

وفي سلامة يقول الأحوص :

أسَلامُ هل لمتيمٍ تنويـــلُ ... أم هل صرمت[5] وغال[6] ودّك غولُ
لا تصرفي عني دلالـــك إنه ... حسنٌ لدىّ وإن بخلتِ جميل
أزعمت أن صبابتي اكذوبةٌ ... يوماً وأنّ زيارتي تعليـــل

ومما قال فيها وغُنّيَ به قوله :

أسلامُ إنك قد ملكت فأسجحي[7] ... قد يملك الحرُ الكريمُ فيسجح
منّي على عانٍ أطلت عناءه ... في الغلّ عندك والعناة تسرح
إنى لأنصحكم وأعلم أنـــه ... سيّان عندك من يغش وينصح

(١) كنّ : ستر في كنه وأخفاه .
(٢) أبشار : ظاهر الجلد .
(٣) مخضبة : لونت بالخضاب .
(٤) دجن : مظلم مغيم .
(٥) صرم : قطع .
(٦) غال : هلك .
(٧) أسجح : عدل

واذا شكوت الى سلامة حبّها قالت أجد منك ذا أم تمزح

ولعاشقها القس يصف غناءها :

ألم ترها لم يبعد الله دارها اذا رجّعت في صوتها كيف تصنع
تمدّ نظام القول ثم تردّه الى صلصل في صوتها يترجع

وللقس فيها أشعار كثيرة منها ماقاله يصف غناءها من أبيات :

أذا أخذت في الصوت كاد جليسها يطير اليها قلبه حين ينظر
كأنّ حماماً راعياً[1] مؤدياً اذا نطقت من صدرها يتغشمر[2]

اشتراها يزيد بن عبد الملك ، ولما أراد شراءها أمرها أن تغنيه ، فغنت هذه الابيات وهي قصيدة قالها فيها القس :

إنّ التي طرقتك بين ركائب تمشي بمزهرها وأنت حرام
والبيض تمشي كالبدور وكالدمى ونواعم يمشين في الأرقام[3]
لتصيد قلبك أو جزاء مودة إن الرفيق له عليك ذمام

ولما توفي يزيد رثته سلاّمة وهي تنوح عليه

لاتلمنا إنّ خشعنا أو همنا بخشوع

(١) راعياً : اي له هدير .
(٢) يتغشمر : يتنمر .
(٣) الأرقام : جمع رقم وهو ضرب مخطط من البرود أو الخز .

إذ فقدنا سيّداً كان لنا غير مضيع
وهو كالليث إذا ما عدّ أصحاب الدروع
يقنص[1] الابطال ضرباً في مضيّ ورجوع

أقلق : أزعج ، الوجد : المحبة .

الفكر تردد القلب بالنظر والتدبر بطلب المعاني ، يقال لي في الامر فكر اي نظر وروية . أثاره أهاجه .

وقال بعضهم في الوجد :

هل الوجد الا أنّ قلبيَ لودنا من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمرُ

(٢٧) إذ يناجين لحنُ معبد بالشجو وكما شاء معملاً أوتاره

يناجيه أي يساره . واللحن هو الاصوات المصوغة ، الموضوعة ، جمعه ألحان ولحون ، تقول هذا لحن معبد وألحانه وملاحنه لما مال اليه من الأغاني واختاره . ولحّن الرجل في قراءته اي طرّب فيها وترنم ولحّن فلان لفلان لحنا قال له قولاً يفهمه عنه ، ويخفى على غيره .

معبد :

هو ابو عباد معبد بن وهب مولى ابن قطر ، والقطريون موالي معاوية بن ابي

(١) قنص : صاد

سفيان رضي الله عنه ، كان ابوه أسود ، وكان هو خلاسيا ، والخلاس بالكسر الولد بين ابوين أبيض وأسود ، وكان مديد القامة أحول ، غنّى في أول دولة بني أمية ، ومات ايام الوليد بن يزيد ، وقد أصابه الفالج قبل موته وارتعش ، وبطل صوته ، ومما يدل على إجلال الخلفاء له ماحدّث ابنه كَرْدَم قال مامعناه، لما مات ابي رأيت الوليد بن يزيد والغمر أخاه متجردين في قميصين وردائين ، ويمشيان بين يدي سريره حتى أخرج من دار الوليد لأنه تولى أمره وأخرجه من داره إلى قبره ، وكان معبد من أحسن الناس غناء وأجودهم صنعة ، وأجودهم خلقاً وهو فحل المغنين وامام أهل المدينة في الغناء أخذ عن سائب خاثر ، ونشيط وجميلة ، وفيه يقول الشاعر :

أجاد طويسٌ والسريجيُّ بعده وما قصباتُ السبق الا لمعبد

وله صنعة لم يسبقه اليها من تقدم ولا زاد عليه فيها من تأخر .

وقد قال لقد صنعت ألحاناً لايقدر شبعان ممتلىء ، ولا سقّاء يحمل قربة على الترنم بها ، ولقد صنعت الحاناً لايقدر المتكىء أنْ يترنم بها حتى يقعد مستوفزا[1] ولا القاعد حتى يقوم .

وكان اسحق[2] يقول : الفحول ابن سريج ثم ابن محرز ثم معبد ثم الغريض ثم مالك .

(١) المستوفز : الذي قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن .

(٢) اسحق : هو اسحق بن ابراهيم الموصلي من كبار المغنين المشهود لهم بالسبق وتأتي ترجمته مفصلة في هذا الكتاب .

وطارحه عمر بن عبد العزيز لحنَه

ألما صاحبيّ نزر سعادا .

وغنى ليزيد بن عبد الملك وحضر مجالسه .

الشجو : الهم والحزن .

(٢٨) ولكم ألفَّ الغنـــاء لديـــه ضرب عوّادة على زمّـــاره

ألف بينهم أوقع الألفة ، وألّف الشيء وصل بعضه ببعض .

(٢٩) وهشام إذِ استبدّ اختيارا بالرساطون واستلذّ اختيـاره

هشام :

هو ابو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان بويع له بالخلافة بعد موت أخيه يزيد بن عبد الملك سنة (١٠٥) هجرية وتوفي بالرصافة[1] من أعمال قنسرين سنة (١٢٥) هـ .

كان محشوّاً عقلا ، حليماً ، عفيفاً كما وصف نفسه قال رحمه الله :

إذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى الى بعض مافيه عليك مقالُ

استبد انفرد . والراسطون : شراب كان يُصنع لهشام يطبخ بأفاويه كثيرة ، فيجيء طيب الرائحة قوياً صلباً ، وقيل يتخذ من الخمر والعسل .

(٣٠) من شرابٍ ظلّت أفاويةُ العطـ ـر به ذات نفحـــة سيّارة

(١) الرصافة في غربي الرقة بينها أربعة فراسخ بناها هشام بن عبدالملك .

(٢) قنسرين : كورة بالشام منها حلب ، وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص كانت عامرة الى أن غلبت الروم وقتلت من كان بربضها سنة ٣٥١ هجرية .

الشراب كل مايشرب من المائعات الذي لايتأتى فيه المضغ حـــلالاً كان أو حراما ، ويخصه الفقهاء بما حرم منهـــا بالاجماع أو على خلاف ؛ وظلّت اي دامت ؛ وقوله أفاوية صحته أفاويه والافاويه مايعالج به الطبيب .

(٣١) والوليدُ المليكُ إذْ واصلَ الكا سـاتِ واللهوَ جهدَه واقتداره

الوليد :

هو ابو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان ، تولى الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك سنة (١٢٥) هجرية ؛ كان ماجناً منكباً على اللهو والشراب ، من فتيان بني أمية ، وظرفائهم ، وشجعانهم ، وأجوادهم ، وأشدائهم ، مولعاً بسماع الغناء ، وله أصوات صنعها ، مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ويمشي بالدف على مذهب اهل الحجاز ، ومن مشهور صنعته في شعره :

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها[1] النجيبيُّ من عسقلان

تُريك القذاة[2] وعرض الإنا ء ستراً لها دونَ لمس البنان

وكان هشام يؤنبه على ذلك ، وكان الوليد جيد الشعر ، ومن جيد شعره ماقاله لما بلغه أنّ هشاماً يريد خلعه من أبيات بعثها لهشام :

كفرتَ يداً من منعم لو شكرتها جزاكَ بها الرحمن ذو الفضل والمنّ

(١) سبا : تقول سبأ الخمر اذا اشتراها ليشربها .
(٢) القذاة : مايقع في العين ويوجعها .

وأشعاره حسنة في الغزل والعتاب ووصف الخمر وغير ذلك ؛ وقد أخذ الشعراءُ معانيه في وصف الخمر فسرقوها ؛ وأدخلوها في أشعارهم وعلى الأخص أبو نواس فإنه أكثرهم أخذاً لها .

ولما وُليَ الخلافة أجرى على زمنى[1] أهل الشام وعميهم الأعطيات وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم وأخرج لعيالات الناس الكسوة وزاد الناس في العطاء عشرات ثم زاد أهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة ، وزاد الوفود ولم يسأل في شيء الا وقال :

ضمنت لكم إنْ لم يعقني عائق بأنّ سماء الشر عنكم ستقلع

فيجمعكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

وقتل سنة (١٢٦) هـ لخلاعته ومجانته وانكبابه على اللهو والشراب ومنادمته الفساق ، ومما اشتهر عنه أنه فتح المصحف فخرج (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) . فألقاه ورماه بالسهام وقال :

تهددني بجبّارٍ عنيد فها أنا ذاك جبّارٌ عنيدُ

إذا ماجئت ربّك يوم حشر فقل يارب مزّقني الوليدُ

فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً حتى قتل .

ومن حسن الكلام ماقاله الوليد لما مات مسلمة بن عبد الملك ، فإن هشاماً

(١) الزمنى : المرضى من أصحاب العاهات .

قعد للعزاء، فأتاه الوليد وهو نشوان، يجر مطرف خز عليه فوقف على هشام فقال: ياأمير المؤمنين إنّ عقبى من بقى لحوق بمن مضى وقد أقفر[1] بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختلّ الثغر[2] فهوى . وعلى أثر من سلف يمضي من خلف فتزود فإنّ خير الزاد التقوي .

وقد نزّه قوم الوليد مما قيل فيه، وأنكره، ونفوه عنه ، وقالو إنه قيل عنه وألصق به، وليس بصحيح .

(٣٢) واغتدى في تهتكٍ ومجونٍ كان يجني قطوفَه وثمارَه

اغتدى بمعنى غدا وغدا الرجل يغدو غدوّاً ذهب غدوة أي بكرة أو مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس ،وهو نقيض راح .

والتهتك مصدر تهتك تقول : تهتك فلان اي افتح .

والمجون مصدر مجن الرجل كان لا يبالى قولاً وفعلاً اي هزل وقوله كان يجني من جنا الثمرة يجنيها جنياً وجنىً وجنايةً تناول شجرتها .

والقطوف جمع قطف والقطف هو العنقود ساعة يقطف والثمار جمع الثمر والثمر حمل الشجرة والضمير في قطوفه وثماره راجع الى التهتك والمجون .

(١) أقفر: خلا من الناس .

(٢) الثغر: الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو .

(٣٣) ومناه ذكرى سليمى لوجـــد ظَـلَّ يـذكي لهيبه واستعاره

قوله مناه أي قصده . وقوله ذكرى : الذكرى اسم للاذكار قوله والتذكر وهي أيضاً الذكر باللسان أو باللقلب .

سليمى :

هي بنت سعد بن خـالد بن عمرو بن عثمان بن عفان أخت سعدة التي كانت تحت الوليد بن يزيد، وله فيها خبر طويل .

الوجد هنا بمعنى المحبة الشديدة . وظلّ اي دام . ويذكي يوقد . تقول اذكي فلان النار اذكاء أوقدها ؛ وأذكى الحرب أشعل نارها . واللهيب حرّ النار . والاستعار مصدر استعرت النار اذا اتقدت .

(٣٤) إذ يغنيه مـالك بن ابي السمـ ـح وعمرو الوافي فينني وقاره

مالك بن ابي السمح :

هو ابو الوليد مالك بن ابي السمح واسم ابي السمح جابر بن ثعلبة الطائي، كان أحول ، طويلاً ، أحنى[1] .

أخذ الغناء عن جميلة ، ومعبد ، وعمّر حتى ادرك الدولة العباسية . وكان منقطعاً الى بني سليمان بن علي . ومات في خلافة ابي جعفر المنصور ، وكان سبب

(١) أحنى : أحدب الظهر .

تعلمه الغناء، أنه كان يقف، وهو غلام على باب حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان معبد منقطعاً الى حمزة فيسمع غناء معبد، وينصرف إلى أمه ليلاً، وهو يترنم بالحان معبد، ويؤديها دوراً دوراً في مواضع صيحاته، واسجاحاته، ونبراته نغماً بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر، ثم التحق بمعبد، وفي مالك يقول الحسين بن عبد الله بن العباس :

لا عيش الا بمالك بن ابي السمـ ـــح فلا تلحني ولا تـلمِ
أبيض كالبدر أو كما يلمع البار رق[1] في حالك من الظلم
من ليس يعصيك إن رشدت ولا يهتك حق الإسلام والحـرم
يصيب من لذة الكريم ولا يجهـل آيَ الترخيص في اللمم
يا رب ليلٍ لنا كحاشية[2] البر د[3] ويوم كذاك لم يدم
نعمت فيه ومالك بن ابي السمـ ـــح الكريم الأخلاق والشيم

وروى صاحب الأغاني أحسن الله اليه أن الوليد بن يزيد قال لمعبد : قد آذنتني ولولتك هذه ، وقال لأبن عائشة قد آذاني استهلالك هذا ، فانظر ليَّ رجلاً يكون مذهبه متوسطاً بينكما فقالا له : مالك بن ابي السمح ، فكتب في إشخاصه اليه ، وسائر مغني الحجاز المذكورين ، فلما قدم مالك على الوليد بن

(١) البارق : البرق وكل ما يتلألأ .
(٢) الحاشية : جانب الثوب .
(٣) البرد : الثوب .

يزيد ، فيمن معه من المغنين نزل على الغمر بن يزيد ، فأدخله على الوليد ، فغناه فلم يعجبه ، فلما انصرف الغمر قال له: (هكذا نقل صاحب الأغاني ولعل العبارة) فلما انصرف مالك قال له الغمر إن أمير المؤمنين لم يعجبه شيء من غنائك ، فقال له جعلني الله فداك اطلب لى الإذن عليه مرة واحدة فإن اعجبه شيء مما أغنيه والاّ انصرفت الى بلادي .

فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر وطُلب له الإذن وقال له إنه هابك فحُصر . قال : فأذن له ، فبعث اليه ، فقال مالك لفرّاش للوليد : اسقني عساً[1] من شراب ولك دينار فسقاه إياه وأعطاه الدينار ، ثم قال له زدني آخر فأزيدك آخر ، ففعل حتى شرب ثلاثاً ثم دخل على الوليد يخطر في مشيته فلما بلغ باب المجلس وقف ولم يسلم وأخذ بحلقة الباب فقعقعها[2] ثم رفع صوته فغنى :

لاعيش الا بمالك بن أبي السمـ ـــح فلا تلحـني ولا تَـلمِ

فطرب الوليد ورفع يديه ، حتى بدا إبطاه ، اليه ماداً لهما .

(كذا عبارة صاحب الأغاني رحمه الله) ولعلها ورفع يديه ماداً لهما اليه حتى بدا إبطاه:

وقام الوليد فاعتنقه قائماً وقال له ادن يا ابن أخي فدنا حتى اعتنقه ،ثم أخذ في

(١) العسّ : القدح الكبير .
(٢) قعقع : صوّت .

صوته ذلك ، فلم يزالوا فيه أياماً ، وأجزل صلته حين أراد الانصراف .

قال ولما أتى مالك على قوله :

أبيض كالسيف أو كما يلمع البا رق في حالك من الظلم

قال له الوليد :

أحول كالقرد أو كما يرقب السا رق في حالك من الظلم

عمر الوادي :

كذا بالأصل ولعله تحريف عمر الوادي ، وعمر الوادي هذا هو عمرو بن داود بن زادان ، وجده زادان ، مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان عمر مهندساً وأخذ الغناء عنه حكم الوادي ، وذووه من أهل وادي القرى ، وكان قدم الى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن ، وكان طيب الصوت شجيهُ مطرباً ، وكان أول من غنى من أهل وادي القرى واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته ، فتقدم عنده جداً ، وكان يسميه جامع لذاتي ومحي طربي ، وقتل الوليد وهو يغنيه .

وكان آخر عهده به من الناس وفي عمر يقول الوليد بن يزيد :

إنني فكّرت في عُمَرٍ حين قال القول فاختلجا
إنه للستير به قَمَرٌ قد طمَّس[1] السرجا

(١) طمّس : عفا ، محا .

ويغني الشعرَ ينظِمُه سيد القوم الذي فلجا[1]
أكمل الوادي[2] صنعته في لباب الشعر فاندمجا

وكان عمر يجتمع مع معبد ومالك ، وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء اليه ، ويقال إنه كان لا يضرب وإنما كان مرتجلاً .

(٣٥) ولكم خَفَّفَ ابنُ عائشة اللحـ ـنَ له فاستخفّه واستطاره

ابن عائشة :

هو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ، ولم يكن يُعرف له أب ، وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر ، أخذ الغناء عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما ، وكان يُفتن كل من سمعه ، وقيل إنه كان ضارباً ولم يكن بالجيد الضرب ، وابتداؤه بالغناء كان يُضرب به المثل ، فيقال للابتداء الحسن ، كائناً ما كان من قراءة قرآن أو انشاد شعر أو غناء يُبدأ به فيستحسن ، كأنه ابتدأ ابن عائشة مزامير داود .

وكان ابن عائشة واقفاً بالموسم متحيراً فمرَّ به بعض أصحابه فقال له

(١) فلج : ظفر بما طلب .
(٢) الوادى : هو عمر الوادي .
(٣) اللباب : الخالص من الشيء .

ما يقيمك ههنا ؟ فقال : أني أعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس ههنا فلم يذهب أحد ولم يجيء ، فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم اندفع يغني :

جرت سنحاً فقلت لها أجيزي نوى مشمولة فمتى اللقاء
ينفسي منْ تذكّره سقام أعاتبه ومطلبه عناء

قال فحبس الناس واضطربت المحامل ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة أنْ تقع ، فأتى به هشام بن عبد الملك ، فقال له ياعدو الله أردت أنْ تفتن الناس . قال فامسك عنه .

وكان تيّاها[1] فقال له هشام ارفق بتيهك ، فقال حق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب ان يكون تيّاها .

وقال شيخ من تنوخ قال: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة عنده وقد غنّاه :

إني رأيتُ صيحة النفرِ حوراً نَفَين عزيمة الصبرِ
مثل الكواكب في مطالعها بعد العشاء أطفن بالبدر
وخرجت أبغي الأجر محتسباً فرجعت موفوراً[2] من الوزر[3]

فطرب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال ياغلام اسقنا بالسماء الرابعة .

(١) تيّاها : كثير التيه .
(٢) موفور : الشيء التام ، لم ينقص منه شيء .
(٣) الوزر : الإثم .

وكان الغناء يعمل عملاً ضلّ عنه من بعده ، ثم قال أحسنت والله ياأميري أعد بحق عبد شمس فأعاد ثم قال أحسنت والله يا أميري أعد بحق أمية فأعاد ثم قال أعد بحق فلان ، أعد بحق فلان ، حتى بلغ من الملوك نفسه ، فقال أعد بحياتي فأعاده ، قال فقام اليه ، فأكب عليه ثم لم يبق عضو من أعضائه الا قبّله وأهوى الى هنه ، فجعل ابن عائشة يضم فخذيه عليه ، فقال والله العظيم لاتريم[1] حتى أقبّله فأبداه له فقبل رأسه ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقي مجرداً الى أنْ أتوه بمثلها ووهب له الف دينار وحمله على بغلة ، وقال اركبها بأبي أنت وانصرف ، فقد تركتني على مثل المقلي من حرارة غنائك .

وكانت وفاة ابن عائشة في أيام الوليد بن يزيد .

(٣٦) وابن مَيّادة بن أبرد والقا سم كانا يحتشان عقاره

ابن ميادة :

اسمه الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن حرملة ، ويقال ابن ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم ، ويقال سراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن زيد ابن غطفان بن عيلان بن مضر وأمه ميادة ، ويكنى أبا شرحيل .

(١) تريم : تبرح .

وابن ميّادة شاعر فصيح مقدم ، مخضرم من شعراء الدولتين ، يحتج بشعره، روى صاحب الأغاني رحمه الله قال ابو داود قال سمعت شيخاً عالماً من غطفان يقول الرماح (اي ابن ميّادة) أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، لم يمدح غير قريش وقيس ، وكان النابغة إنما يهـذي باليمن مضللاً حتى مات .

وكان ابن ميّادة احمر سبطاً عظيم الخلق ، طويلاً ، طويـل اللحية ، لباساً عطراً ، وقد مدح بني أمية وبني هاشم ، ومـدح من بني أمية الوليـد بن يزيـد ، وعبد الواحد بن سليمان ، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان وكان ينسب بأم جحـدر ، بنت حسان المرية إحـدى نساء بـني جزيمـة ، فحلف أبوها ليخرجنها الى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد ، فقدم عليـه رجل من الشام فزوجه إياها ، فلقي عليها ابن ميّادة شدة ، فلمـا خرج بها زوجهـا الى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول :

ألا لاتعد لي لوعة مثل لوعتي ... عليكَ بأدْمى والهوى يُرجع الذكرا
عشية ألوي بالرداء على الحشا ... كأنّ ردائي مشعل[1] يشبه الجمرا
الا ليت شعري هل الى أم جحدر ... سبيلٌ فأمّا الصبر عنها فلا صبرا
إذا نزلت بصرى تراخى مزارها ... وأغلق بوّابان من دونها قصرا

(١) المشعل : بالفتح القنديل .

فهل تأتيني الريح تدرج[1] موهنا[2] ... بريّاك تعروني[3] بها جُرعا[4] عفرا[5]
فلو كان نذر مدنياً أمّ جحدر ... الي لقد أوجبت في عنق نذرا
ألا لاتلظي[6] الستر ياأم جحدر ... كفى بذرى الأعلام من دونتاسترا
لعمري لئن أمسيت ياأم جحدر ... نأيت لقد أبليت في طلب عذرا
فبهراً لقومي إذْ يبيعون مهجتي ... بغانية بهراً لهم بعدها بهرا

قال الزبير بهراً ههنا يدعو عليهم أنْ ينزل بهم من الأمور مايبهرهم ، وفيها يقول أيضاً وهو مما يُغنى به :

الا يا لقومي للهوى والتذكرِ ... وعين قذى إنسانها[7] أم جحدرِ
فلم تر عيني مثلَ قلبي لم يطر ... ولا كضلوعٍ فوقـه لم تكسر

وله فيهـا أيضاً من قصيدة :

فما أنس م الاشياء لا أنس قولها ... وأدمعها يذرين[8] حشو المكاحل[9]

(١) تدرج : تمشى .
(٢) الموهن : بعد نصف الليل .
(٣) تعروري : تسير في الأرض .
(٤) جرع : جمع جرعاء وهي رملة مستوية لا تنبت شيئاً .
(٥) العفر : بياض ليس بالخالص .
(٦) تلظى : من ألظّ أي لازم .
(٧) انسانها : المثال يُرى في سواد العين .
(٨) يذرين : يسقطن ويصببن تقول اذرت العين دمعها .
(٩) المكاحل : جمع مكحلة وهي آلة يوضع بها الكحل أي الأثمد .

تمتعْ بذا اليوم القصير فإنه رهينٌ بأيام الدهور الأطاول

ومن جيد شعره قوله :

لقد سبقتك اليومَ عيناكَ سبقةً وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
فوالله لاأدري أيغلبني الهوى إذا جدَّ جد البين أم أنا غالبه
فإن أستطع أغلبْ وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

وكان بين ابن ميّادة وبين حكم الخضري مهاجاة ، ولهما في بعضها أراجيز ، كثيرة طويلة جداً ؛ وقد كان ابن ميّادة هاجي سِنان بن جابر أحد بني خميس بن عامر ، فقال له فيما قال من هجائه :

لقد طالما عَلَّلتَ حجراً وأهله بأعراض قيس ياسنانَ بن جابر
أأهجو قريشاً ثم تكره ريبتي ويسرقني عرضي خميسُ بن عامر

وفيهم يقول أيضاً :

قصارُ الخُطَا فرقُ الخصى زمرُ اللحى كأنهم ظربى[1] اهترشن على لحم
ذكرت حمام القيظ لما رأيتهم يشُنّ حولي في ثيابهم الوسم
وتبدي الخميسيات في كل زينة فروجاً كآثار الصغار من البهم[2]

قال ثم إن ابن ميّادة خرج يبغي إبلاً له حتى ورد جباراً وهو ماء

(١) الظربى : جمع ظربان وهي دويبة منتنة .
(٢) البهم : مفردها بهمة ولد الضأن والمعز .

لخميس بن عامر فأتى بيتاً ، فوجد فيه عجوزاً قد أسنّت ، فنشدها إبله ، فذكرتها له ؛ وقالت ممن أنت قال رجل بن سليم من منصور فأذنت له ، وقالت ادخل حتى نقريك ، وقد عرفته ، وهو لا يدري ؛ فلما قربته ، قال ابن ميّادة وجدت ريح الطيب قد نفح عليّ من البيت ، وإذا بنتٌ لها قد هتكت الستر ثم استقبلتني وعليها إزارٌ أحمر ، وهي مؤتزرة به ، فأطلقته وقالت ، أنظر يا ابن ميّادة الزانية ، هذا كما نعت ، فلم أر امرأة أضخم قُبُلاً منها فقالت أهذا كما قلت :

وتبدي الخميسياتُ[1] في كل زينة فروجاً كآثار الصغار من البهم

قال ، فقلت لا والله ياسيدتي ماهكذا قلت ، ولكن قلت :

وتبدي الخميسيات في كل زينة فروجاً كآثار المقيسرة[2] الدهم

وانصرف يتشبب بها فذلك حين يقول :

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى لزينب نارٌ أوقدت بجبار
كأنّ سناها لاح لي من خصاصه على غير قصد والمطي سوار
خميسية بالرملتين محلُّها تمدُّ بحلفٍ بيننا وجوار
تجاور من سهم بن مرة نسوة بمجتمع النصفين غير عوار

(١) الخميسيات : نسوة بني خميس بن عامر .
(٢) المقيسرة : الإبل المسنة .

نواعم أبكاراً كأنّ عيونها ... عيون ظباء أو عيون صوار[1]

كأنا نراها وهي منا قريبة ... على متن عصماء اليدين نوار

تتبع من حجر ذرى متمنع ... لها مَعْقِلٌ في رأس كل طِمار[2]

يدور بها ذو أسهم لاينالها ... وذو كلبات كالقسيّ[3] ضواري

كأن على المتنين منها وديه[4] ... سقتها السواقي من ودي[5] دوار

يظلّ سحيق المسك يقطر حولها ... إذا الماشطات احتفنه[6] بمداري[7]

وما روضة خضراء يضربها الندى ... بها قُنّة[8] من جنوة وعرار

بأطيب من ريح القرنفل ساطعاً ... بما التفّ من درع لها وخمار

وما ظبية ساقت لها الريح نغمةً ... على غفلةٍ فاستسمعت لحوار

بأحسن منها يوم قادمت فأتلعت[9] ... على شرك من روعة ونفار

فليتك ياحسناء يابنة مالك ... يبيع لنا منك المودة شار

(١) الصوار : قطع البقر .
(٢) طمار : كقطام ، المكان المرتفع .
(٣) القسي : جمع القوس .
(٤) الودي : صغار الفسيل .
(٥) الودى : الهلاك .
(٦) المدارى : أي الامشاط ، والرماح .
(٧) احتفه : حفّ جزّه .
(٨) القنة : الأكمة .
(٩) أتلع : مد عنقه متطاولاً .

وكان موت ابن ميّادة في صدر من خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ، ثم لم يعد اليه ، لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء وقلة ثوابه لهم .

القاسم :

هو ابن الطويل العبادي كان من ندماء الوليد بن يزيد ، وكان اديبا ، ظريفاً شاعراً ، وكان الوليد لا يصبر عنه ، فغناه معبد ذات يوم شعر عدي :

بكر العاذلون في وضح[1] الصبـ ... ـح يقولون لي ألا تستفيقُ

لست أدري وقد جفاني خليلي ... أعدوٌ يلومني أم صديق

ثم قالو ألا اصبحونا فقامت ... قينةٌ في يمينها إبريق

قدّمته على عقار كعين[2] الـ ... ـديك صفّى سلافها الراووق[3]

فاستحسنه وأعجب به ، وطرب وجعل يشرب الى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه ، فانصرف ابن الطويل ، فلما أفاق الوليد ، سأل عنه فعرف حين انصرافه فغضب وقال وهو سكران الغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبره : آتني برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه ، فجعله فى طست بين يديه ، فلما رآه انكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه وجعل يقلب الرأس بيده ثم قال يرثيه :

(١) الوضح : بياض الصبح
(٢) العقار : الخمر .
(٣) الراووق : المصفاة الناجود يصفى به الشراب .

عيني للحدثِ الجليلِ جوداً باربعةٍ هموله
جودا بدمعي إنه يشفي الفؤادَ من الغليل[1]
لله قبر ضمنت فيه عظام ابن الطويل
ماذا تضمن إذ ثوى فيه من اللبِّ الأصيل
قد كنت آوي من هوا ك الى ذرى كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً فرداً بمدرجة[3] السيول

ثم دخل الى جواريه ، فقال والله لا أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل بن الطويل ، فيقال إنه لم يعش بعده إلا مُدَيْدَةَ حتى قتل والله أعلم .

وقوله (يحثحثان) تقول حثحثه حضَّه عليه وندبه له والعقار الخمر .

(٣٧) بندامٍ ألذَّ من ذورة الحبِّ وأبهى من روضة في قراره

ندام بكسر أوله جمع نديم ، والنديم المنادم على الشراب ، وربما تُوسع فيه فاستعمل لكل رفيق ومصاحب .

والزورة المرة الواحدة من الزيارة ، والحب بالكسر بمعنى المحبوب ؛ وأبهى أسم تفضيل بهي يبهي أي حَسُن وظرف والروضة عشب وماء وكل ما يجمع من الحدائق .

(١) الغليل : العطش وقيل شدته .
(٢) اللب : العقل ، أو مازكى من العقل .
(٣) المدرجة : الطريق .

والقرارة القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر .

(٣٨) وبذيح أتى بأمر عجاب إذ تولىّ على القرود الإمارة

بذيح :

رجل يضرب به المثل في حسن الصوت ، وهو مولى عبد الله ابن جعفر ، وكان يقال له بذيح المليح ، وله صنعة يسيره ، وإنما كان يغني أغاني غيره ؛ وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر ؛ قيل دخل عبد الله بن جعفر[1] على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه[2] فقال ياأمير المؤمنين لو أدخلت اليك من يؤنسك بأحاديث العرب ، وفنون الأسمار[3] ، قال لست صاحب هزل ، والجد مع علتي أحجى بي[4] .

قال وما علتك ياأمير المؤمنين ؟ قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه ، فبلغ مني ، قال فان بذيحاً مولاي أرقى الناس منه فوجه اليه عبد الملك ، فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال كذبة قبيحة عند خليفة ، فما كان بأسرع من أنْ طَلَع بذيح فقال كيف رقيتك من عرق النسا ؟ قال ارقى الخلق ياأمير

(١) هو عبدالله بن جعفر بن ابي طالب ، كان من اجمل فتيان قريش واكرمهم ، وابوه ذو الجناحين .
(٢) يتأوّه : يتوجع ، يتشكى .
(٣) الأسمار : جمع سمر وهو الحديث .
(٤) أحجى : أجدر ، أولى .

المؤمنين قال فسُرّيَ عن عبد الله ، لان بذيحا كان صاحب فكاهة ، يعرف بها ، فدرّجله ، فثقل عليها ورقاها مراراً . فقال عبد الملك : الله اكبر وجدت خفاً ، ياغلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية فأنّا لانأمنُ من هيجها بالليل ، فلا نذعر بذيحا ، فلما جاءت الجارية قال بذيح ياأمير المؤمنين امرأته طالق ان كتبتها حتى تعجل حبائي فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما صار المال بين يديه ، قال وامرأته طالق ان كتبتها أو يصير المال الى منزلي ، فأمر به فحمل الى منزله ، فلما أحرزه قال ياأمير المؤمنين امرأته طالق ان كنت قرأت على رجلك الا ابيات نصيب :

ألا إنّ ليلى العامريةَ أصبحت على النأيِ مني ذنب غيري تنعم
وماكان من شيء أكون اجترمته[1] اليها فتخبرني بـــه حيث أعلم
ولكنّ إنساناً إذا ملّ صاحبا وحاول صرماً[2] لم يزلْ يتجرم

الى آخرها . فقال عبد الملك ، ويلك ما تقـــول ، قال إمرأته طالق إن رقيتك الا بما قلت ، قال فاكتمها عليّ ، قال و كيف ذاك وقد سارت بها البرد الى أخيك بمصر فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه .

وقيل بل غنّى بهذه الأبيات بعد أنْ أحرز المال ، وقيل إن عبـــد الله بن جعفر قصد أنْ يسمع الخليفة غناءه ففعل ذلك .

(١) اجترم : جنى ، وقد وردت كلـــة فتخبرني ، مجزومة بغير جازم ذلك شذوذاً على القاعدة النحوية المعروفة .
(٢) الصرم : قطع حبل الوصل .

(٣٩) ويزيد المليك إذْ كان يهوى صوت حدو الحداة في كل تارة

يزيد بن عبد الملك :

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وأمه أم ولد إسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزد جود بن شهريار بن كسرى وهو القائل :

أنا ابن كسرى وأبي مروانْ وقيصر جدي وجدي خاقانْ

ويكنى أبا خالد ، وقيل له يزيد الناقص لنقصه الناس العشرات التي كان الوليد زادها . بويع له بالخلافة سنة (١٢٦) هجرية بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وتوفي بالسنة نفسها بدمشق في ذي الحجة بعد الأضحى وهـــو ابن ست وأربعين سنة ، وكانت خلافته ستة أشهر وقيل غير ذلك .

وكان أسمر ، طويلاً ، جميلاً ، صغير الرأس ، بوجهه خال ، في فمه بعض السعة ، وليس بالمفرط .

وقوله (صوت حدو الحداة في كل تارة) . الحدو من حدا يحدو حدوا وحداء ، إذا رفع صوته بالحداء وحدا الإبل .

وحدا بها ساقها وغنّى لها فهو حاد والجمع حداة . والتارة الحـــين والمرة جمعها تارات وتِير .

(٤٠) وتغنّى الركبان أذ كان منشا ه البوادي حتى اعترته الحضاره

تغنّى : من غنّى يغني غناء ، والغناء من الصوت ماطرب به والركبان : جمع راكب ، والراكب خلاف الماشي .

وإذ : ظرف للزمان الماضي . ومنشأ : كمقعد موضع النشأة تقول نشأ فلان نشأة اي حيي وحدث وتجدد ، وحذق الهمزة من منشأ للضرورة الشعرية .

والبوادي : جمع بادية ، والبادية الصحراء وخلاف الحضر .

اعترته : اصابته . والحضارة : بالفتح خلاف البادية .

يقول : إن الركبان كانت تغنيه بأناشيدها وحداثها ، لأنه كان يهوى صوت حدو الحداة كما تقدم في البيت الذي قبله .

(٤١) وكمروان ذي الفتوة إذ كا ن يوالي في غبطة أسفاره

مروان بن محمد :

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية ويكنى أبا عبد الملك ، نشأ بالبادية في كلب ، ففصح لسانه ، وبويع له بالخلافة بعد أنْ خلع ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك سنة (١٢٧) هجرية . وقتله بنو العباس ببوصير[1] بعد أنْ انهزم من دمشق اليها ، بعد محاربات كثيرة جرت بينه وبين بني العباس ، فقتل وهو ابن اثنين وستين سنة وذلك سنة (١٣٢) هـ قوله (ذي) بمعنى

(١) بوصير : هي بوصير قوريدس كورة في الأشمونين

صاحب . والفتوة السخاء والكرم ، والفتوة أيضاً الفتاء ، وهو الشباب .

ويوالي : من والى الشيء موالاة وولاء . تابعه وفي غِبطة بالكسر أي حسن حال ومسرة ، والغبطة تمني نعمة على ان لاتحول عن صاحبها .

اسفاره : الأسفار جمع سفر والسافر بمعنى المسافر .

(٤٢) فيرى اللهوَ والسماعَ مناه ويرى الحرب قطبَه ومداره

اللهو : ماهوت به وشغلك من هوى وطرب ونحوها ، وقال في التعريفات[1] « اللهو هو الشيء الذي يتلذذ به الإنسان ثم ينقضي » وقال الطرطوشي[2] : « اللهو الترويح عن النفس بما لاتقتضيه الحكمة » واللهو ايضاً المرأة الملهوّ بها . والسماع هنا الغناء وكل ماالتذته الأذن من صوت حسن ؛ تقول : باتوا في لهو وسماع .

مِناه بكسر الميم اي قصده . والقُطْب ملاك الشي ومداره ، كما يقال هو قطب ذلك الأمر اي ملاكه ومداره وجمعه اقطاب وقطوب وقِطبه .

قوله ومداره ، تقول مدار الأمر اي مايجري عليه غالباً .

(٤٣) وكآلِ العباس إذ كان عبد الـ ـلّه يقضي طول المنى أوطاره

(١) كتاب معروف لمؤلفه علي ابن محمد السيد الشريف الجرجاني المولود بجرجان عام ٧٤٠ هـ .

(٢) ابو بكر الطرطوشي واسمه محمد ابن الوليد ولد عام ٥٤١ هـ عاش في الاندلس ورحل الى المشرق واشهر كتبه « سراج الملوك » .

آل العباس :

هم خلفاء الدولة العباسية ؛ والدولة العباسية دولة عظيمة من دول الإسلام، قامت بالخلافة في العراق (٥٢٤) سنة قمرية ، فكان فيها خمسة عشر خليفة وهي من دول الشيعة في بادىء ذي بدء ، القائلين بحق الخلافة لآل بيت الرسول ﷺ . والخلفاء العباسيون جميعاً من ولد العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، وكان بنو العباس متابعين لعليّ رضي الله عنه في خلافته ، فلما استقل بنو أمية بالأمر بعد قتل علي كرم الله وجهه ، جعلوا ينتهزون الفرص لنبذ طاعتهم والقيام مقامهم ، ولم يجهروا برغائبهم ، خشية بطش الأمويين ، إلى أنْ قام محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ، وأخذ يبثُّ دعاته سراً ، وأدركته الوفاة سنة (١٢٦) ه ،وعهد باظهار الدعوة الى أبنائه ابراهيم الامام وأبي العباس الملقب بالسفاح وأبي جعفر الملقب بالمنصور ، فتظاهر دعاة العباسيين وفي مقدمتهم أبو مسلم الخراساني ، ودعوا لابراهيم الإمام فأسل الخليفة الأموي مروان بن محمد الملقب بالحمار وقبض عليه سنة (١٢٩) ه ، وحبسه حتى مات ، ولكن موت الإمام لم يغن الأمويين من شيء ، بل قام بعده أخوه أبو العباس الملقب بالسفاح فدعا الناس إلى مبايعته ، وأتى الكوفة ، وكانت كلمة أبي مسلم الخراساني قد علت بالدعوة للعباسيين ، فتألف للسفاح جيش جرّار ، فسار لمحاربة مروان ، فانتصر عليه ، وقتل مروان ، وخرجت الخلافة من يدِ بني أمية إلى بني العباس سنة (١٣٢ ه) .

فأبو مسلم الخراساني هو القائم بالدعوة العباسية ، وابراهيم الإمام مهد سبيلها ، وناشر لوائها ، وأبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين.

وتوالت الخلفاء بعده إلى أن بويع بالخلافة عبدالله المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين في العراق ، فتواطأ وزيره[1] ابن العلقمي مع هولاكو[2] المغولي حفيد جنكيز خان[3] ، فكان قتل الخليفة وانقراض بني العباس في العراق عن يد ابن العلقمي وذلك سنة (٦٥٦ ه) .

الخلفاء العباسيون في مصر :

أما الخلفاء العباسيون في مصر فأول أمرهم أنه لما فتك هولاكو بالعباسيين في بغداد واستولى عليها ، وقتل أهاليها ، كان أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله غائباً عنها ، فسلم ، وقدم مصر ، وأثبت نسبه فبايعه السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري سنة (٦٥٩ه) بعد أن انقطعت الخلافة من بني العباس زهاء ثلاث سنين ونصف ولقب بالمستنصر بالله ، وهو أول خليفة عباسي في مصر ، ولم يكن للعباسيين في مصر من الشأن ، ما كان لهم في العراق ، بل كانت خلافتهم منصباً دينياً يتولونه ، ولا يتولون السلطان المدني ، وتوالت بعده الخلفاء في مصر الى أن تولى الخلافة محمد المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين في مصر ، وبه انقرضت الخلافة العباسية من وجه الأرض ، وذلك ان المتوكل كان في الواقعة التي جرت سنة

---

(١) ابن العلقمي : ابو طالب محمد بن أحمد بن علي صاحب الجريمة النكراء في مماألأة هولاكو على غزو بغداد .

(٢) هولاكو : السفاح المغولي الذي غزا بغداد ونكبها وأتلف خزائن كتبها .

(٩٢٢) هـ . بين السلطان قانصوه الغوري[1] والسلطان سليم العثماني[2] فأسر فيمن أسر ، واستولى السلطان سليم على البلاد المصرية ، وأخذ المتوكل معه الى الأستانة فبقي محجوزاً عليه نحو أربع سنوات ، ثم اطلق سبيله ، فعاد وسكن القاهرة الى ان توفي سنة (٩٤٥) هـ فظلت الحكومة المصرية العثمانية تجري المرتبات لولديه عمر وعثمان .

وهكذا تلاشى أمر بني العباس بعد ان تولوا الخلافة زهاء ثمانية قرون ، وجميع الخلافاء منهم من عقب ابي جعفر المنصور الخليفة الثاني العباسي .

وقد أجمع المؤرخون على أنّ دولة بني العباس في بغداد كانت من أعظم الدول التي قامت على وجه البسيطة ولا سيما لعهد الخلفاء الأولين ، لأنهم كانوا ذوي حزم وهيبة في النفوس وإقبال على اكتساب العلم ومبالغة في إكرام العلماء ، فكان ذلك أعظم موطد لأركان ملكهم ، ومخلدٍ لعماد فخارهم ، ومانع لانتشار مظالم العمال ، فإنه ماكاد يستقيم الأمر لبني العباس حتى أخذ ثاني الخلفاء ابو جعفر المنصور على كثرة اشتغاله بالحروب والغزوات يشيد صروح العلم ، ويقيم معالم

(١) السلطان قانصوه الغوري هو آخر سلاطين المماليك ملك مصر زمناً وكان شجاعاً مقداماً خاض معركة دابق قرب حلب التي وقعت بينه وبين سلطان الترك سليم الأول الملقب ياوز وقتل بها وعلى أثرها تم فتح الشام للسلطان سليم وكان لقنصوة حفيدة وتدعى فاطمة خاتون تزوجها الصدر الأعظم مصطفى لالا باشا فاتح قبرص وجد أسرة بني مردم بك .

المعارف ، فكانت جنوده الظافرة ، تخترق بلاد تركستان ، وشمالي بحر قزوين وشرقيه ؛ وأسطوله المؤلف من (٧٥٨) سفينة يضرب في بحار الصين ويفتح بلاد كنتون[1] ؛ وفيما كان الجهل مخيماً في شتى اقطار الارض ، كان المنصور يجمع اليه العلماء من كل قطر ونادٍ ويجلبهم ويجري لهم الوظائف فيستخرجون الى العربية ماكاد يطمس عليه الزمن من كتب الأقدمين حتى صارت داره دار الملك ودار العلم والفنون والشعر والصناعة ، تضاهي أثينة اليونان وروما الرومان .

مات المنصور عن دولة شاسعة الأرجاء ، متسعة الانحاء ، على أن كل ذلك لم يكن ، ليبلغ الدولة العباسية ما بلغت من علو المقام ، وبسطة الملك ، لولم يخلف المنصور عقباً يحسنون القيام بعبء الخلافـــة كالمهدي وهرون الرشيد والمأمون الذين ستأتي تراجمهم .

فبأمثال هؤلاء الملوك تقوم الدول ، وتتسنّم ذروة المجد ، ولو كثُر أمثال المنصور والرشيد والمأمون رحمهم الله ، لدامت دولة بني العباس على منعتها قروناً وقروناً ، وزادت اتساعاً على اتساعها .

فيحق لكل مسلم وعربي ان يفخر بهكذا دولة ، كما يحق له ان يفخر بدولة بني أمية الشرقية التي فتحت البلاد شرقاً وغرباً . ونالت أعظم ماتناله دولة من سعة في الملك ، ومجد باذخ وعز شامخ .

(١) كنتون : مدينة مشهورة في الصين عدد سكانها مليون وستمائة الف وتقع على شاطىء نهر (سي كيانغ) .

والغربية التي كانت بالأندلس والتي أسست أعظم مدينة بالعالم بنشرهـا العلوم والصناعات ، وجلبها الثروة ، فحازت بذلك مجداً باذخاً وعظمة مدهشة إلى أنْ أخنى عليها الزمان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقوله في تتمة البيت (إذكان عبد الله يقضي طوع المنى أوطاره)

عبد الله :

هو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب الهـاشمي أول خلفاء الدولة العباسية ، بويـع له بالخلافـة سنـة (١٣٢) ه وتوفي سنة (١٣٦) ه وعُمِّرَ (٣٣) سنة وقيل (٣٦) ؛ ومدة خلافته اربـع سنوات وثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر منها ثمانية اشتغل فيها بحرب مروان الذي انقضت بقتله دولة بني أمية الشرقية .

وكان يلقب بالسفّاح ، وكانت وفاته بالجُدَرِيّ ، وكان أبيض حسن الهيئة ، طويلاً ، أقنى الأنف ، ودفن بالانبار .

والمنى القصد . الأوطار جمع وطر والوطر الحاجة أو حـاجة لك فيها همٌّ وعناية ولا يبنى منه فعل :

(٤٤) كم غدا ليلة الثلاثاء والسبـ ـت يوالي الغُبوق بالقرقاره

غدا الرجل يغدو غدوّاً (واوي) أي ذهب غدوة وهو نقيض راح تقول

غدا عليه غدوا وغدوة اي بكّر هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان وربما استعمل بمعنى صار .

وقوله (ليلة الثلاثاء والسبت) لعل هاتين الليلتين كانتا للقصف دون الليالي في ذاك الزمان ، قال عمر بن ابي ربيعة :

يا ليلة السبت قد زودتني سقماً حتى الممات وهماً صدّع[1] الكبدا

قوله يوالي اي يتابع . والغَبوق ما يُشرب بالعشيّ وهو خلاف الصبوح . والقرقارة كوب من زجاج طويل العنق :

(٤٥) وابن صفوان في الندامى يعـا طيه كؤوس الحديث خلف الستاره

ابن صفوان :

هو خالد بن صفوان ، كان من أقرب الناس منزلة عند ابي العباس السفاح ، ينادمه ، ويسامره لطول لسانه ، وبلاغته وكثرة روايته .

الندامى : جمع منادم وهو ما ينادم على الشراب . ويعاطي من عـاطاه شيئاً معاطاة وعِطاءً ناوله إيّاه .

(٤٦) ولديهم أبو دُلامة طوراً يصطفيه ويجتـلي أشعاره

(١) صدّع : شقق ، مزّق .

أبو دلامة :

هو زند بن الجَوْن ، كوفيٌّ أسود ، مولى لبني أسد ، كان صاحب نوادر وحكايات ، وأدب ونظم ، أدرك آخر بني أمية ولم يكن له في أيامهم نباهة ؛ ونبغ في أيام بني العباس ، وانقطع إلى السفّاح ، وأبي جعفر المنصور ، والمهدي ، فكانوا يقدّمونه ويصلونه ، ويستطيبون مجالسته ونوادره ، ولم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل الى أبي دُلامة من المنصور خاصة ، وكان أبو دُلامة على ما ذكر صاحب الأغاني رحمه الله ، فاسد الدين ، ردىء المذهب ، مرتكباً للمحارم ، مضيعاً للفروض ، مجاهراً بذلك .

وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به ، فيتجافى عنه للطف محله ، وكان أول ما حفظ من شعره ، وأسنيت الجوائز له به ، قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور ، وذكر قتله أبا مسلم وفيها يقول :

أبا مسلم خوّفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوّفتني الأسد الوردُ[1]
أبا مسلم ما غيّر اللهُ نعمةً ... على عبده حتى يغيّرها العبدُ

أنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : احتكم . قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له فيها . فلما خلا به ، قال له : إيه أما والله لو تعديتها لقتلتك .

قيل كان أبو دُلامة واقفاً بين يدي المنصور ، فقال له : سلني حاجتك ؟ قال

(١) الورد الجرىء نعت من صفات الأسد .

أبو دُلامة : كلب أتصيّد به ، قال : أعطوه إياه ، قال : ودابّة أتصيّد عليها ، قال : أعطوه ، قال : وغلام يصيد بالكلب ويقوده ، قال : أعطوه غلاماً ، قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه ، قال : أعطوه جارية ، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلا بدّ لهم من دار يسكنونها ، قال : أعطوه داراً تجمعهم ، قال : فان لم يكن لهم ضيعة ، فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أعطيتك ماية جريب[1] عامرة وماية جريب غامرة ، قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نبات فيه ، قال : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسماية ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد ، فضحك وقال : اجعلوها كلّها عامرة ، قال : فأذن لي أن أقبّل يدك ، قال : أما هذه فدعها ، قال : والله ما منعتَ شيئاً أقل ضرراً على عيالي منها ! !

قال الجاحظ : فانظر الى حذقه بالمسألة ، ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهّل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأله بديهة ، لما وصل اليه .

وكان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد ، وقلانس طوال ، تُدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم).

فدخل عليه أبو دُلامة في هذا الزي ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شر حال ، وجهي في نصفي ، وسيفي في إستي ، وكتاب الله وراء ظهري ، وقد

(١) جريب : مقدار معلوم من المساحة ، ونقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف ذراع .

صبغت بالسواد ثيابي . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له إياك أن يسمع هذا منك أحد .

ومن نوادره أنه توفي لأبي جعفر المنصور ابنة عم فحضر جنازتها ، وجلس لدفنها وهو متألم لفقدها ، كئيب عليها ؛ فأقبل أبو دُلامة وجلس قريباً منه ، فقال له المنصور : ويحك ، ما أعددت لهذا المكان ؟ وأشار الى القبر ، فقال ابنة عم أمير المؤمنين ، فضحك المنصور حتى استلقى ثم قال له : ويحك ، فضحتنا بين الناس .

وقيل كان المهدي يحبُّ العبث بأبي دلامة ، فكان يسأل عنه ، فيوجد في بيوت الخمّارين ، فعاتبه على انقطاعه عنه ، فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّني ، فعلم أنه يحاجزه فأمر الربيع أنْ يوكل به من يحضره الصلوات معه جماعة في الدار ، فلما طال ذلك عليه قال :

ألمْ تريا أنّ الخليفةَ لزّني[1] بمسجده والقصر ، مالي وللقصر
فقد صدّني عن مسجد أستلذّه أعلّل[2] فيه بالسماع وبالخمر
وكلّفني الأولى جميعاً وعصرها فويلي من الأولى وعولي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدي فمالي في الأولى ولا العصر من أجر
يكلفني من بعد ماشبت توبة يحط بها عني المثاقيل من وزري

(١) لزّه : شدّ وألصق .
(٢) تعلّل : تشغّل .

لقد كان في قومي مساجد جمة ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدري
ووالله مالي نيـة في صلاته ولا البر والإحسان والخير من أمري
وما ضرّه والله يغفر ذنبه لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري

فبلغته الأبيات ، فقال صدق مايضرني ذلك والله ، لايصلح هـذا أبداً ، فدعوه يعمل مايشاء ؛ وقال الهيثم في خبره ، فقال له ابو جعفر قد أعفيناك من هذه الحال ، ولكن على ان لاتدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان ، فقال افعل ، قال إنك إن تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك ووالله لئن فعلت لأحدّنّك ؛ فقال ابو دلامة : البلية في شهر أصلح منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعةً .

فلما حضر شهر رمضان ، لزم المسجد وكان المهدي ، يبعث اليه في كل ليلة حرسياً يجيء به ، فشق ذلك عليه ، وفزع الى الخيزران[1] وأبي عبيد الله[2] وكل من كان يلوذ بالمهدي ، ليشفعوا له بالاعفاء من القيام فلم يجبهم فقال له ابو عبيد الله ، الدال على الخير كفاعله ، فكيف شكرك قال أتم شكر ، قال عليك بريطة[3] ؛ فإنه لايخالفها . فرفع اليها رقعة يقول فيها :

أبلغا ريطة أني كنت عبداً لأبيها

(١) زوجة المهدي : وكانت من السيدات المرموقات وكثيراً ما كان يستشيرها المهدي في مهام اموره .
(٢) ابو عبيد الله : من ندماء الخليفة والمقربين منه .
(٣) ريطة : جارية ذات جمال وأدب .

فمضى يرحمه الله وأوصى بي اليها
وأراها نسيتني مثل نسيان أخيها
جاء شهر الصوم يمشي مشية لا أشتهيها
قائداً لي ليلة القد ر كأني أبتغيها
تنطح القبلة شهراً جبهتي لاتأتليها
ولقد عشت زماناً في فيافيّ وجيها
في ليالٍ من شتاء كنت شيخاً أصطليها[1]
قاعداً أوقد ناراً لضباب[2] أشتويها
وصبوح[3] وغبوق[4] في علاب[5] أحتسيها
ما أبالي ليلةَ القدرِ ولا تَسْمَعنيها
فأطلبي لي فَرَجاً منها وأجري لك فيها

فلما قرأت الرقعة، ضحكت وأرسلت اليه: اصطبر، حتى تمضي ليلة القدر، فكتب اليها، إني لم أسألك أن تكلميه في إعفائي عاماً قابلاً، وإذا مضت ليلة القدر فقد الشهر، وكتب تحتها أبياتاً:

(١) اصطلى: استدفأ.
(٢) الضباب: جمع ضب، وهو حيوان بري يشبه الورل وذنبه كثير العقد وكذلك قيل أعقد من ذنب الضب.
(٣) الصبوح: كل ما شُرب غدوةً.
(٤) الغبوق: ما يُشرب بالعشي.
(٥) العلاب: جمع علبة وهي قدح ضخم من جلود الإبل.

خافي إلهك في نفس قد احتُضرت[1] قامت قيامتها بين المصلينا
ما ليلة القدر من همي فأطلبها إني أخاف المنايا قبل عشرينا
يا ليلة القدر قد كسّرت أرجلنا يا ليلة القدر حقاً ما تمنينا
لا بارك الله في خير اؤمله في ليلةٍ بعد ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الأبيات ضحكت، ودخلت إلى المهدي، وشفعت له اليه، وأنشدته الشعرين، فضحك حتى استلقى ودعابه، ورَيْطةُ معه في الحجلة[2] فدخل، فأخرج رأسه اليه، وقال شفّعنا ريطة فيك، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم، فقال: أما شفاعة سيدتي فيّ حتى أعفيتني؟ فأعفاها الله من النار.

أما السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلته، إما أن تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة، أو تنقصني منها ألفين، فتصير خمسة آلاف فإني لا أحسن حساب السبعة؛ فقال: قد جعلتها خمسة.

قال: أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت.

فعبث به المهدي ساعة، ثم تكلمت فيه ريطة، فأتمها له عشرة آلاف درهم.

ومن جيّد ما أنشده للمنصور به وببني العباس، هذه الأبيات:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم، لقيل اقعدوا يا آل عبّاس

(١) احتضرت: من حضرتها الوفاة.
(٢) الحجلة: ورد في الصحاح: بيت يزين بالثياب والستور والأسرّة.

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم إلى السماء فأنتم أظهر الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والأنف والأذنان في الراس

وأخباره كثيرة ، ونوادره كذلك نكتفي بما أوردناه لعدم التطويل . وكانت وفاته سنة (١٦١) هـ ، غفر الله له .

قوله (طوراً) الطور هو الحال والهيئة والتارة .

يقال أتيته طوراً بعد طور ، أي تارة بعد تارة ، جمعه أطوار .

وقوله (يصطفيه) أي يختاره ، وقوله (يجتلي أشعاره) من اجتلى الشيء اجتلاء ، نظر اليه ، واجتلى العروس على بعلها ، عرضها عليه مجلوة .

(٤٧) وتحي منصورهم من وراء النـ ـسك راح والى عليها استشاره

المنصور :

هو أبو جعفر عبدالله المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، بويع له بالخلافة ، بعد وفاة أخيه السفاح سنة (١٣٦) هجرية وتوفي سنة (١٥٨) هـ ، وهو ابن ثلاثة وستين عاماً ، وجميع الخلفاء العباسيين بعده من عقبه .

كان رحمه الله اسمر نحيفاً ، خفيف العارض[1] ، من أحسن الناس خلقاً ، وأعظم الخلفاء شأناً ، وأرفعهم مناراً ، وأبعدهم نظراً .

(١) العارضان : صفحتا الخد .

فإنه ماكاد يستقيم الأمر لبني العباس ، حتى أخذ على كثرة اشتغاله بالحروب والغزوات ، يشيد صروح العلم ، ويقيم معالم المعارف ، فبينما كانت جنوده الظافرة تخترق بلاد تركستان ، وشمالي بحر قزوين[1] وشرقيه ، وأسطوله المؤلف من (٧٥٨) سفينة يضرب في بحار الصين ، يفتح بلاد كنتون[2] ، والجهل ضارب أطنابه على أقطار الأرض ، تراه صارفاً همّه في توطيد دعائم ملكه ، يجمع اليه العلماء من كل قطر وناد ، ويجلّهم ويجري عليهم الوظائف ، فيستخرجون الى العربية ، ماكاد يطمس عليه الزمان من كتب الأقدمين ، حتى صارت داره دار الملك ، ودار العلم والفنون والشعر والصناعة ، فضاهت أثينا اليونان ورومة الرومان[3] .

مات المنصور عن دولة شاسعة الأرجاء ، متسعة الأنحاء ، تاركاً إدارة ذلك لخلفاء ربّاهم تربية صالحة ، فكانوا خير خلف لخير سلف ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

النسك : العبادة ، والراح : الخمر .

(٤٨) حلّ منه ابن جعفر في نداما ه محلا إذ كان يبلو اعتشاره

ابن جعفر :

هو محمد بن جعفر بن عبدالله بن العباس ؛ كان المنصور رحمه الله يأنس به خالياً ، ويلتذ بمحادثته .

(١) بحر قزوين : قزوين مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً ، يقال أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف .
(٢) كنتون : ذكرت في الصفحة ١١٣ فليرجع اليها .
(٣) ورد هذا المقطع في الصفحة ١١٣ حين تحدث المؤلف عن عظمة بني العباس .

قوله : (محلاً) أي محلاً رفيعاً أو عظيماً على حذف الصفة .

ويبلو : أي يختبر ، واعتشاره من اعتشر القوم إذا تخالطوا وتصاحبوا .

(٤٩) فـيراه فيهم ظريفـاً أديبـاً لَسِناً حاذِقاً لطيف الإشارة

قوله : (ظريفاً) الظريف ذو الظَرف ، والظرف الكياسة .

وقيل إنما الظرف في اللسان ، وقيل هو حسن الوجه والهيئة أو يكون في الوجه واللسان ، وقيل البراعة وذكاء القلب ، وقيل الحذق ، وقيل لا يوصف به والا الفتيان والفتيات الزولات[1] لا الشيوخ ولا السادة .

والظريف البليغ الجيد الكلام ، ومنه « إذا كان اللص ظريفاً لم يقطع » لأنه يسقط الحد بحجته .

وقوله : (أديباً) من أدب الرجل إذا ظرف وحسن تناوله .

وقوله : (لَسِناً) أي فصيحاً بليغاً ، وقوله : (حاذقاً) الماهر في صناعته .

(٥٠) ثم كان المهديُ يجلس للأُنس فيُصـغي لشَـرْبه[2] أوطاره

المهدي :

هو محمد أبو عبدالله بن المنصور ، ثالث الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة بعد

(١) مفردها : زَوْلة : المرأة الظريفة الفطنة الداهية .
(٢) الشرب بالفتح : الندماء .

وفاة أبيه سنة (١٥٨) هجرية وتوفي سنة (١٦٩) هـ ، وهو ابن ثلاثة وأربعين سنة ، وكان أبيض ، طويلاً ، وقيل أسمر باحدى عينيه نكتة بياض ، وقد كان رحمه الله جواداً سموحاً ، مليح الشكل ، محبباً الى الرعية ، قصّاماً[1] للزنادقة[2] .

ومن شعره :

أرى ماء وبي عطشٌ شـديد ولكنْ لا سبيـل الى الورود
أما يكفيكِ أنَّك تملكيني وأنَّ الناس كلهم عبيدي
فإنك لو قطعتِ يدي ورجلي لقلت من الرضا أحسنت زيدي

قوله : (للأنس) الأُنس بالضم ضد الوحشة ، وقوله : (أوطاره) الأوطار جمع وَطر ، والوطر الحاجة أو حاجة لك فيها هم وعناية ولا يُبنى منه فعل .

(٥١) وفليح العـوراء يشـدو لديه فيسـني حنينـه وادكاره

فليح :

رجل من أهل مكة ، مولى لبني مخزوم ، وهو أحد مغني الدولة العباسية ، له محل كبير من صناعته ، وموضع جليل وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة صوت للرشيد .

(١) القصّام : من قصم الشيء كسره .
(٢) الزنادقة : جمع زنديق ، معرب زنده أي من يعتقد بالزند وهو كتاب المجوس وأطلق الأسم على كل من يبطن الكفر .

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه ، وأحد من كان يحكي الأوائل ، فيصيب ويحسن ؛ قيل كان المهدي يسمع المغنين جميعاً ، ويحضرون مجلسه ، فيغنونه من وراء الستارة ، لا يرون له وجهاً الا فليح بن أبي العوراء .

قوله (يشدو) من شدا شعراً إذا غنّى به وترنم .

قوله (لديه) أي عنده ، قوله (فيسنى) بالتشديد من سنّاه تسنيةً أي سهله وفتحه ويسره . قوله (حنينه) الحنين الشوق وشدة البكاء والطرب ، وقيل صوت الطرب عن حزن وفرح وقوله : (ادّكاره) الادكار مصدر ادكر بمعنى ذكر .

(٥٢) ولديه ترب الغناء أبو إسـ ـحاق يشدو بصنعة ومهارة

لديه أي عنده والضمير راجع للمهدي ، أي وعند المهدي .

قوله : (ترب) الترب ما ولد معك ، قوله أبو إسحق .

أبو اسحق :

هو ابراهيم بن ميمون ، وكان اسم ميمون ماهان ، فقلبوه الى ميمون بن بهمن ابن نسك التميمي بالولاء المعروف بالنديم الموصلي.

ولم يكن من الموصل ، وإنما سافر اليها ، وأقام بها مدة فنسب اليهـا ، وهو من بيت كبير في العجم ، انتقل والده الى الكوفة ، فولد له بها ابراهيم المذكور

سنة (١٢٥) هجرية ، ولم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع الألحان .

قال إسحق بن إبراهيم : صنع أبي تسعماية صوت ، وقال إبراهيم : أول من تعلمت منه الغناء مجنون ، كان إذا صيح به يا مضر ، يهيج ويرجم ، فبلغني أنه يغني أصواتاً فيجيدها ، أخذها عن قدماء الحجاز ، فكنت أدخله إليّ وأطعمه وأسقيه وأخدعه ، حتى آخذ عنه ، وكان حاذقاً ، خصوصاً إذا عاد إليه عقله ، ثم غاب عني فما أعرف خبره .

وسأل الرشيد يوماً إبراهيم : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الألحان ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخرج الهمّ من فكري وأمثل الطرب بين عيني فيسرع لي مسالك الألحان فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مصيباً ظافراً بما أريد .

وأول من سمع إبراهيم من الخلفاء المهدي رحمه الله .

قال عليّ بن عبدالكريم : زار ابن جامع المغني ، إبراهيم فأخرج إليه ثلاثين جارية فضربن جميعاً طريقة واحدة ، وغنين ، فقال ابن جامع[1] في الأوتار وتر غير مستو ، فقال إبراهيم : يا فلانة شدي مثناك . فشدته فاستوى ، فعجبت من فطنة ابن جامع لوترٍ غيرَ مستوٍ في ماية وعشرين وتراً ، ثم إزداد عجبي من فطنة إبراهيم له بعينه .

ولإبراهيم في الغناء نوادر عجيبة وله أخبار يضيق بها المقام .

(١) ابن جامع : هو اسماعيل بن جامع من حفظة القرآن ومن كبار المغنين في عصره .

توفي إبراهيم ببغداد سنة (١٨٨) هجرية بداء القولنج ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، ومات يوم وفاته الكسائي[1] النحوي ، والعبـــاس[2] بن الأحنف الشاعر ، وهشيمة الحمارة ، ورثاه كثير من الشعراء ، وكان يحزن لذكره كل من عرفه . قال بعضهم فيه :

أصبح اللهو تحت عفر[3] التراب ... ثاوياً في محـــلة الأحبـاب
إذ ثوى الموصلي[4] فانقرض اللهـ ... ـو بخير الإخوان والأصحاب
بكت المسمعات حزناً عليـــه ... وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آلة المجالس حـــتى ... رحم العـــود دمعة المضراب

وقوله : (يشدو) من شدا الرجل شعراً ، إذا غنّى به وترنم ، ويقال للمغني الشادي . وقوله : (بصنعة) أي بصنعة جيدة على حذف الموصوف . وقوله : (ومهارة) من مهر الرجل بصنعته مهارة فهو ماهر ، إذا حذق يقال : (مهر في العلم وغيره) ، إذا كان حاذقاً ، عالماً به ، ومهر في صناعته أتقنها معرفة .

(٥٣) ثم كان الهادي إذا حاول الشر ... ب وغنّى ابن جامع مختـــاره

قوله : (ثم) بضم أوله ، حرف عطف يدل على الترتيب والتراخي .

(١) الكسائي : من أئمة اللغة المشهود لهم بسعة الرواية وكان مؤدباً لمحمد الأمين بن هرون الرشيد .
(٢) العباس بن احنف : شاعر عباسي غزل عفّ اللسان قصر شعره على الغزل .
(٣) العفر : وجه الأرض .
(٤) الموصلي : هو ابراهيم الموصلي المغني المشهور .

الهادي :

هو موسى الهادي بن المهدي بن المنصور ؛ بويع له بالخلافة سنة (١٦٩) هجرية بعد وفاة أبيه المهدي ، وتوفي ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة هجرية وهو ابن ست وعشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون سنة .

كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً ، ودفن بعيسا باذ[1] الكبرى في بستانه ، وكان يكنى أبا محمـــد ، وكان طويلاً جسيماً أبيض ، مشرباً حمرةً ، وكان بشفته العليا نقص وتقلص .

قيل مات لإبراهيم بن مسلم بن قتيبة ولد ، فأتاه الهـــادي يعزّيه فقال له : « يا إبراهيم سرّك وهو عدو وفتنة ، وحزنك وهو صلاة ورحمة » . فقال : يا أمير المؤمنين ما بقي مني جزء فيه حزن إلاّ قد امتلأ عزاء .

قوله : (إذا) هنا ظرف للمستقبل ، متضمنة ، معنى الشرط ، وجوابها كلمة يتولى التي ستأتي في أول البيت الآتي .

وقوله : (حاول) أي أراد ، وفي الأساس (حاولت : طلبته بحيلة) .

وقوله : (الشُرب) بالضم مصدر شرب الرجل الماء وغيره ، يشرب شرباً .

ابن جامع :

هو اسماعيل بن جامع بن اسماعيل بن عبدالله بن المطلب بن أبي وداعـــة بن

(١) عيسا باذ : محلة كانت بشرقي بغداد ، منسوبة الى عيسى بن المهدي وكانت اقطاعا له .

صبيرة بن سعد بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب . كان أحفظ خلق الله للقرآن ، حسن السمت ، كثير الصلاة ، للسجود آثار بجبهته ، وكان من أشهر المغنين في أيامه من طبقة إبراهيم الموصلي المتقدم ذكره ؛ خبيراً بالألحان ، فطناً بكل أنواع الأنغام ، وكان يُعدُّ صيحة الصوت ، قبل أن يصنع عمود اللحن ، وكان أحسن ما يكون غناء إذا حزن صوته ، وهو مكيٌّ ، وأخباره كثيرة ، وقد حاز عند الرشيد رتبة عظيمة .

وقوله : (مختاره) أي المائة الصوت التي اختارها هو وإبراهيم الموصلي وفليح ابن العوراء ، بأمر الرشيد رحمه الله .

وهنا خطأ يقتضي التنبيه عليه ، فإن اختيار الأصوات كان بزمن الرشيد لا بزمن الهادي ، فسبحان المعصوم عن الخطأ .

(٥٤) يتـــولى النِدام عيسى بنُ دابٍ عنده والطـــلا لديه مداره

قوله : (يتولى) هي جواب إذا التي في البيت السابق ، أي يتقلد ، تولى الأمر تولياً تقلده وقام به .

وقوله : (النِدام) وبكسر النون ، جمع نديم ، والنديم المنادم على الشرب ، وربما تُوسع فيه ، فاستعمل لكل رفيق ومصاحب .

عيسى بن دأب :

هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب وهو من كنانة من بني الشُدّاخ وله عقب بالبصرة .

قيل كان عيسى بن دأب من أكثر أهل الحجاز أدباً ، وأعذبهم ألفاظاً ، وكان قد حظي عند الهادي حظوة ، لم تكن لأحد قبله ، وكان يدعو له بما يتكىء عليه في مجلسه ، وما كان يفعل ذلك بغيره ، وكان يقول له ما استطلت بك يوماً ولا ليلاً ، ولا غبت عن عيني الا تمنيت أن لا أرى غيرك .

وأمر له بثلاثين ألف دينار في دفعة واحدة ، فلما أصبح ابن دأب أرسل قهرمانه[1] الى الحاجب في قبضها ، فقال الحاجب : هذا ليس إليّ ، فانطلق إلى صاحب التوقيع والى الديوان . فعاد إلى ابن دأب فأخبره ، فقال : اتركها ، فبينما الهادي في مستشرف له ببغداد رأى ابن دأب ، وليس معه الا غلام واحد ، فقال للحرّاني : ألا ترى ابن دأب ؟ ما غيّر حاله وقد وصلناه ليرى أثرنا عليه ؛ فقال : إن أمرتني عرّضت له بالحال ، فقال : لا ، هو أعلم بحاله .

ودخل ابن دأب وأخذ في حديثه فعرّض له الهادي بشيء وقال : أرى ثوبك غسيلاً ، وهذا شتاء يحتاج فيه إلى الجديد ، فقال : باعي قصير . فقال : وكيف؟ وقد صرفنا ما فيه صلاح شأنك . فقال : ما وصل إليّ .

فدعا الهادي صاحب بيت مال الخاصة فقال : عجل الساعة ثلاثين ألف دينار فأحضرت وحملت بين يديه .

قوله : (الطِلا) بكسر الطاء والمد ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ،

(١) قهرمانه : القهرمان الوكيل ، أمين بيت المال .

وبعض العرب يسمى الخمر الطلاء يريد بذلك تحسين اسمها لا انها الطلاء بعينها ، وحذف الهمزة هنا للضرورة الشعرية .

وقوله : (مُداره) من دار الشيء يدور دوراً ودواناً ، إذا تحرك وعاد الى ماكان عليه .

(٥٥) وكذاك ابن مُصْعَب والعزيزيُّ أناخا يدانيان اختيـــاره

(كذاك) الكاف الأولى للتشبيه ، وذا أسم يشار به إلى المتـــوسط ، والكاف الثانية للخطاب .

وقوله : (ابن مصعب) .

ابن مصعب :

هو عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، شاعر فصيح ، خطيب ذو عارضة ، وبيان ، واعتبار ، وقد نادم أوائل الخلفاء من بني العباس وتولى لهم أعمالاً ، وكان يلقب عائد الكلب لقوله :

مالي مرضت فلم يعدني عائد[1] منكم ويمرض كلبكم فأعود
وأشدُّ من مرضي عليَّ صدودكم وصدود عبدكم عليَّ شديد

قوله : (والعزيزي) لم أوفق للإطلاع على ترجمة صاحب هذا الاسم مفصلاً

(١) العائد : من يزور المريض .

بعد البحث والتدقيق بما بين يديَّ من كتب الأدب والتاريخ والمعاجم اللغوية والتاريخية ، غير أني وجدت في تاج العروس بمادة (عزز) ما نصه :

« ... ويحيى بن زيد بن حمران بن عزيز الكلابي من صحابة المنصور » .

فلعله هو أو لعل بالبيت تحريفاً غير صيغة الاسم .

وقوله : (أناخا) أي أقاما ، والضمير راجع لابن مصعب والعزيزي .

وقوله : (يدانيان) من دانى الرجل بين الأمرين اذا قارب .

وقوله : (اختياره) مصدر من اختار الشيء أي انتقاه واصطفاه والضمير راجع الى الهادي .

(٥٦) وتحسّى الرشيـــد في دير مرّا ن على كل تلعـــة وقراره

تحسّى أي شرب ، والرشيد :

الرشيد :

هو أمير المؤمنين هرون الرشيد بن المهدي بن المنصـــور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم ، وُلد بالري في آخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وماية وقيل ولد مستهل المحرم سنة تسع وأربعين وماية ، وبويع له بالخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي سنة سبعين وماية ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتوفي رحمه الله ، وهو سائر الى خراسان بطوس[1] ليلة السبت لثلاث خلون من

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لاحداهما الطابران وللاخرى نوقان .

جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وهو ابن سبع وأربعين سنة وخمسة أشهر ، وخمسة أيام ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً ، وقيل ثلاثاً وعشرين سنة وشهر وستة عشر يوماً . وكان قد حجّ تسع حجج وثماني غزوات .

قيل لما أيس من نفسه أمر بقبره فحفر في موضع من الدار التي كان فيها ، وأنزل اليه قوماً فقرؤا القرآن حتى ختموا وهو في محفة[1] على شفير[2] القبر يقول: ابن آدم تصير الى هذا ، وكان يقول في تلك الحال واسوأتاه من رسول الله ﷺ.

قال ابن الأثير في تاريخه ما نصه : وقال الهيثم بن عدي :

لما حضرت الرشيدَ الوفاةُ غُشي عليه ، ففتح عينيه منها فرأى الفضل بن الربيع على رأسه ، فقال يا فضل :

أحين دنا ما كنت أرجو دنوّه ... رمتني عيونُ الناس من كل جانب
فأصبحت مرحوماً وكنت محسّداً ... فصبراً على مكروه أمن العواقب
سأبكي على الوصل الذي كان بيننا ... وأندب أيام السرور الذواهب

قيل كان الرشيد يصلي كل يوم مائة ركعة إلى أنْ فارق الدنيا إلاّ من مرض ، وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ، بعد زكاته ، وكان إذا حجّ حجّ

(١) محفة : مركب من مراكب النساء كالهودج .
(٢) شفير : ناحية كل شيء .

معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، فإذا لم يحج أحجّ ثلاثمائة رجل بالنفقة السالفة ، والكسوة الطاهرة ؛ وكان يطلب العمل بآثار المنصور إلا في بذل المال فإنه لم ير خليفة قبله كان أعطى منه للمال ، وكان لا يَضيع عنده إحسانُ محسن ، ولا يؤخر ذلك .

وكان من أهل العلم والأدب ، يحبُّ الشعر والشعراء ، ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، ويكره المِراء في الدين ، وكان يحبُّ المديح لا سيّما من شاعر فصيح ، ويجزل العطاء عليه . ولما مدحه مروان بن ابي حفصة[1] بقصيدته التي منها

وسُدّت بهرون الثغور فأحكمت ... به من أمور المسلمين المرائرُ[2]

أعطاه خمسة آلاف دينار وخلعة ، وعشرة من الرقيق الرومي وبرذوناً من خاص مركبه .

وقيل حج الرشيد مرةً فدخل الكعبة فرآه بعض الحجبة وهو واقف على أصابعه يقول: يامن يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، فإن لكل مسألة منك رداً حاضراً ، وجواباً عتيداً ؛ ولكل صامت منك علمٌ محيطٌ ناطق بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ، ورحمتك الواسعة ، صل على محمد وعلى آل محمد ،

(١) مروان بن ابي حفصة : هو مروان بن سليمان بن يحيى بن ابي حفصة شاعر من فحول الشعراء نشأ باليمامة في العهد الأموي ، وادرك العصر العباسي ومدح المهدي والرشيد وكان مقرباً من العباسيين وجمع ثروة كبيرة من هبات الخلفاء له .
(٢) المرائر : هو ما اشتد فتله من الحبال ومفردها مِرّة بالكسر .

واغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا ؛ يا من لا تضره الذنوب ، ولا تخفى عليه الغيوب ، ولا تنقصه مغفرة الخطايا ، يا من كبس الأرض على الماء ، وسدّ الهواء بالسماء ، واختار لنفسه أحسن الأسماء ، صل على محمد وعلى آل محمد ؛ وخِرْ لي في جميع أموري ، يا من خشعت له الأصوات بانواع اللغات يسألونه الحاجات . إن من حاجتي اليك أن تغفر لي ذنوبي إذا توفيتني ، وصرت في لحدي ، وتفرق عني أهلي وولدي اللهم لك الحمد حمداً يفضل كل حمد ، كفضلك على جميع الخلق ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضا ؛ وصل عليه صلاة تكون له ذخراً ، وأجزه عنا الجزاء الأوفى اللهم أحينا سعداء وتوفنا شهداء ، واجعلنا سعداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء محرومين .

وكان رحمه الله جميلاً ، وسيماً أبيض ، جعداً[1] قد وخطه الشيب[2] ، وكان في بيت المال ، لما توفي تسعماية الف الف ونيف .

ومن شعره رحمه الله في الثلاث الجواري اللواتي كان يهواهن ، وهن سحر وضياء وخنث المعروفة بذات الخال لخالٍ كان فوق شفتها العليا : وهو :

إن سحراً وضياء وخنث ... هنّ سحرٌ وضياء وخنث
اخذت سحراً ولا ذنب لها ... ثلثي قلبي وترباها الثلث

(١) الجعد : الجعد من الشعر ما فيه التواء وتقبض .
(٢) وخط : خالط ، وفشا .

وله أيضاً فيهن :

ملكَ الثلاثُ الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البريةُ كلُّها ... وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطاني

وله أيضاً يتشوق لجاريته ماردة :

سلام على النازح المغترب ... تحية صب به مكتئب
غزال مراتعه بالبليخ ... الى دير ذكى بقصر الخشب
أيا منْ أعان على نفسه ... بتخليفه طائعاً من أحب
سأستر والستر من شيمتي ... هوى من أحب بمن لا أحب

ووجه رحمه الله الي جاريته سحر لتصير اليه ، فاعتلت عليه ذلك اليوم بعلة ، ثم جاءته من الغد فقال :

أيا من ردّ ودي أمس ... لا أعطيكه اليوما
ولا والله لا أعطيـ ... ـك إلا الصدّ واللوما
وان كان بقلبي منـ ... ـك حب يمنع النوما
أيا من سمتَه[1] الوصل ... فأغلى المهر[2] والسوما

(١) سام : عرض وذكر الثمن .
(٢) المهر : الصداق وهو ما يقدمه الرجل الى الإمرأة من المال حين الزواج .

واجتمع عنده رحمـــه الله ، مغنون كثيرون ، منهم ابراهيم الموصلي[1] وابن جامع[2] وفليح[3]، وزبير بن دحمان[4]، والمعلى بن طريف[5]، وحسين بن محمد[6]، وسليم بن سلام ، ويحيى المكي وابنه ، واسحق ، وأبو زكار الأعمى ، وعمرو بن أبي الكنات ، وإبراهيم بن المهدي ، وابن سريج ، ومخارق ، وعمر الغزال ، وخضر ابن جبريل ، وبحر ، ومحمد بن داود ، وعلية بنت المهدي ، وعريب ، وعلوية ، وغيرهم كثيرون .

ومثل ذلك من العلماء والفقهاء والمحدثين والأطبـاء ، والكتّاب والشعراء وغيرهم ، ما يضيق عن سرد اسمائهم المقام ويخرج بنا عن الصدد ، ممـــا دل على عظمة الرشيد .

وأخبار الرشيد أحسن الله إليـــه كثيرة ، لو أردنا استقصاءها لاحتجنا لمجلدات ، لا سيما ما صارت إليه الدولة بأيامه على سعة الأرجاء ، والثروة ، وتوطيد أركان العدل والحضارة ، وتعميم العلم ، وبلوغ العز والمجد ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له وأحسن إليه .

وقوله : (في دير مرّان) هو دير بالقرب من دمشـــق على تل مشرف على مزارع الزعفران ، ورياضه حسنة وبناؤه بالجص ، وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن ، وفيه رهبان كثيرة : كما في معجم البلدان .

---

(١)(٢)(٣)(٤)(٥)(٦) مغنون مشهورون وردت تراجمهم في هذا الكتاب .

وقوله : (على كلّ تلعة) التلعة قيل ما علا من الأرض ، وما سفل وقيل أرض غليظة يتردد فيها السيل ثم يندفع إلى تلعة أسفل منها . وقيل ما اتسع من فوهة الوادي ، وقيل القطعة المرتفعة من الأرض .

وقوله : (وقراره) القرارة المطمئن من الأرض والمستقر الثابت منها ، والقاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر .

(٥٧) من مدام حكت رهابنة الدير بها في بهـــارة جلّنـــاره

قوله : (على مدام) المدام الخمر .

وقوله : (حكت) من حكى فلاناً أي شابهه وفعل فعله ، وحكى الشيء أتى بمثله على الصفة التي أتى بها غيره فهو كالناقل ، وحكى صنعته أتى بمثلها .

وقوله : (رهابنة) جمع رهبان وهو المبالغ في الخوف .

وقوله : (الدير) هو مقام الرهبان والراهبات .

وقوله : (بهارة) البهارة واحدة البهار ، وهو نبت طيب الريح جعد ، له فقاحة صفراء .

وقوله : (جلّناره) واحدة الجلّنار وهو زهر الرمان معرب كلنار بالفارسية ومعناه ورد الرمان .

(٥٨) وعلى ضرب زلزل كان برصو ما لديه مواصـــلاً مزماره

زلزل :

هو منصور زلزل ، الضارب الذي أحدث العيدان الشبابيط ، وكانت قبله من عمل الفرس ، فجاءت عجباً من العجب، وهو من الطبقة الأولى ، وكان يضرب المثل بضربه العود يقال : (أطرب من عود زلزل) .

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : كان برصوما الزامر (الآتي ذكره) زلزل الضارب من سواد أهل الكوفة ، من أهل الخشنة[1] والبذاذة[2] والدناءة ، فقدم بهما أبي معه سنة حجّ ، ووقفهما على الغناء العربي وأراهما وجوه النغم ، وثقفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبع أهل دهرهما في صناعتهما .

وقال اسحق أيضاً : أخذ مني منصور زلزل إلى أن تعلمت مثل ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من الخلفاء ، ومن أبي ، وكانت في زلزل قبل أنْ يعرف الصوت ويفهمه ، بلادة أول ما يسمعه حتى لو ضرب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبل ، لكان غلامه أقوى منه ؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق به أحد البتة ، وكان اسحق يقدم زلزلاً على جميع الضراب ، ولزلزل مجالس مع الرشيد لا محل لاستيفائها .

---

(١) الخشنة : ضد النعومة .

(٢) البذاذة : الهيئة الرثة .

برصوما :

كان زامراً في الطبقة الثانية ، فطرب منه الرشيد يوماً فرفعه إلى الطبقة الأولى[1] وكانت فيه لكنة ، ولقد ذكرنا كيفية تعلمه من إبراهيم الموصلي عند ذكر زلزل حتى صار أطبع أهل دهره في صنعته ، وبلغ المبلغ الذي بلغه من خدمة الخليفة ولما مات أستاذه إبراهيم أسف عليه أسفاً شديداً في خبر يطول ذكره ، وكان يجتمع عند الرشيد هو وزلزل وأستاذهما إبراهيم الموصلي ، فيأتون بالعجب العجاب ؛ إبراهيم بصوته ، وزلزل بعوده ، وبرصوما بمزماره .

وله مجالس مع الرشيد أضربنا عنها خشية التطويل .

قوله : (لديه) أي عنده .

وقوله : (مواصلاً) من واصل الرجل الشيء أي داومه من غير انقطاع .

وقوله : (مزماره) المزمار الآلة التي يزمر فيها ، قال الشاعر :

فدفنّاه بين أزرار ورد ثم نحنا عليه بالمزمار

والضمير فيه راجع إلى برصوما :

وحاصل معنى البيت أنّ برصوما كان يواصل النفخ بمزماره على ضرب عرد زلزل .

---

(١) هذا يدل على أنه كان هنـــاك تصنيف لأصحاب الغناء يضعهم على طبقات ودرجات بحسب عبقرية كل منهم .

(٥٩) ثم كان الأمير يمرح في اللـ ـذات ما شاء ساحباً أوزاره

قوله : (الأمير) كذا بالأصل ولعله الأمين لحفظ سلسلة الخلفاء وهـو الأصح على ما أرى .

الأمين :

هو أمير المؤمنين محمد الأمين بن الرشيد بن المهدي ، ولد بالرصافة في شوال سنة (١٧٠) هجرية ، وأدبه الكسائي[١] ، وعقد له أبوه الرشيد بولاية العهد سنة (١٧٥) ، ولقبه الأمين ، وبويع له بالخلافة بعد موت الرشيد في الرابع من جمادى الآخرة سنة (١٩٣) هـ .

وفي هذه السنة وقع الخلاف بينه وبين أخيه المأمون ، وكان السبب أن الرشيد ، كان قد جدد البيعة بطوس[٢] بولاية العهد لابنه المأمون بعد الأمين ، فسعى الفضل بن الربيع في إغراء الأمين وحثه على خلع المأمون ، والبيعة لابنه موسى بولاية العهد ، فكتب الأمين إلى العمال بالدعاء على المنابر لابنه موسى ، فوقعت الحرب بين الأخوين وكثرت الوقائع ، وجرت امور كثيرة ، فغلب حزب المأمون حزب الأمين ، وخلـــع الأمين أول مرة في (١١) رجب سنة (١٩٦) هـ .

(١) الكسائي : ابو الحسين علي بن حمزة بن فيروز الاسدي بالولاء ، كان اماماً في النحو واللغة والقراءات ، وكان يؤدب محمد الامين بن هرون الرشيد ويعلمه الادب .
(٢) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ .

ثم أعاده الناس في نفس السنة ، ثم غلب أصحاب المأمون ، وكان منهم القائدان المشهوران طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وحصروا الأمين في بغداد سنة (١٩٧) هـ . وجرت وقائع يطول ذكرها ، انتهت بقتل الأمين ليلة السبت لست بقين من المحرم سنة (١٩٨) هـ . وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام ، وكان عمره (٢٨) سنة ، وهو ثالث خليفة ، أبواه هاشميان ، ولم يكن قبله كذلك إلا علي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما .

وكان الأمين سَبطاً[١] ، أنزع[٢] صغير العينين ، أقنى[٣] ، جميلاً طويلاً ، عظيم الكراديس[٤] ، بعيد المنكبين ، وكان مغرماً بالملاهي والملاعب .

قيل لما ولي الخلافة جمع أصحاب اللهو من جميع الآفاق ، وأجرى عليهم الأرزاق ، واحتجب عن أخويه ، وأهل بيته . واستخف بهم وبقواده ، وقسم ما في بيوت الأموال ، وما بحضرته من الجواهر في خصيانه ، وجلسائه ، ومحدثيه ، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلواته ولعبه ولهوه ، وعمل خمس حرّاقات في دجلة على صورة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق في عملها مالاً عظيماً .

(١) البسط : نقيض الجعد .
(٢) الانزع : المنحسر الشعر من جانبي الجبهة .
(٣) أقنى : مابه قنىً وهو الاحديداب .
(٤) الكراديس : جمع كردوسة ، كل عظمين التقيا في مفصل .

وكان من أحسن الشباب صورة ، أبيض ، طويلاً ، ذا قوة مفرطة ، وبطش وشجاعة وفصاحة وأدب وبلاغة ، ولكنه كان سيء الرأي ، كثير التبذير .

قوله : (يمرح) من مرح الرجل اشتد فرحه ونشاطه حتى جاوز القدر .

وقوله : (ساحباً أوزاره) الأوزار جمع وزر وهو الأثم ، والضمير راجع للأمين .

(٦٠) وترامى بحب كوثر حتى سكن الحبُّ قلبه واستخاره

قوله : (وترامى) من ترامى الأمر تراخى ، وترامى أيضاً تمّ ، وترامى بمعنى انضم بعضه إلى بعض .

وقول : (بحب) الحب بالكسر والضم ، مصدره حبَّ الرجل فلاناً أي ودّه وقوله : (كوثر) .

كوثر :

خادم الأمين ، وكان يحبه حباً شديداً ، حتى أنه خرج ليرى الحرب ، فأصابته رجمة[1] في وجهه ، فجلس يبكي ، فوجد الأمين[2] لما جاءه يبكي ، وجعل يمسح الدم عن وجهه وقال :

ضربوا قرّة عيني ومن أجلي ضربوه

(١) الرجمة : حجارة .
(٢) وجد : أحب .

أخذ الله لقلبي من أناس أحرقوه

وأراد الأمينُ زياداً في الأبيات فلم يواته ، فقال للفضل بن الربيع : من ههنا من الشعراء ؟ فقال : الساعة رأيت عبدالله بن أيوب التيمي ، فقال عليّ به فلما أدخل أنشده الأمين هذين البيتين وقال : أجزهما ، فقال :

ما لمن أهوى شبيه فيه الدنيا تتيه
وصله حلوٌ ولكنْ هجره مرٌّ كريه
من رأى الناسُ له الفضل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا ثمَ بالملك أخوه

فقال الأمين : أحسنت ، هذا والله خير ما أردنا . بحياتي عليك يا عباس ، الا نظرت ، فإن جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم ، وان جاء في زورق ملأته ، فأوقرت له ثلاثة أبغل دراهم .

أقول : يظهر أن هذه القصة جرت حين محاربة الأمين مع المأمون والأمين إذ ذاك بأشد الضيق .

ومن شعر الأمين بكوثر قوله :

ما يريد الناس من صـ ـب بمن يهوى كثيب
كوثر ديني ودنيـ ـاي وسقمي وطبيبي
أحمق الناس الذي يلـ ـحى محباً في حبيب

قوله : (حتى سكن الحب قلبه واستخاره) ، استخاره أي طلب الخيرة ، والضمير راجع لقلب الأمين ، وحاصل معنى البيت أن الأمين ما زال يرخي عنان نفسه في حب خادمه كوثر حتى تمكن حب كوثر من قلبه واختاره له مقاماً .

(٦١) ولديه مخـــارق في المغنيـ ـن وبـذل الكبيرة المهتارة

قوله : (ولديه) أي عنده والضمير راجع الى الأمين .

وقوله : (مخارق) :

مخارق :

هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، ويكنى أبا المهنأ ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، احدى المغنيات المحسنات علمته طرفاً من الغناء ، ثم أرادت بيعه ، فاشتراه إبراهيم الموصلي وعلّمه الغناء ، فـــبرع فيه وأجاد كل الاجادة ، وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ، ثم أعتقه ؛ وكان إبراهيم الموصلي يقول له : أنت والله بعدي صاحب اللواء في هذا الشأن ، وكان يفضله على إبراهيم بن المهدي .

وكان أمير المؤمنين الواثق يقول : خطأ مخارق كصواب علوية ، وما غناني مخارق قط إلا قدرت أنه من قلبي خلق ، وقد قيل كان مخارق ممن لو تنفس لأطرب من يسمعه استماع نفسه ؛ وكان أبو العتاهية يقول له يا حسان هذا الأقليم ، ياحكيم

أرض بابل[1] ، أصبب في أذني شيئاً يفرح به قلبي ، وتنعم به نفسي ، يادواء المجانين لقد رققت حتى كدت أحسوك ، فلو كان الغناء طعاماً ، لكان غناؤك أدماً ، ولو كان شراباً ، لكان ماء الحياة .

وكان أبو العتاهية آخر ما اشتهاه ، وقد حضرته الوفاة غناء مخـــارق ، وقيل خرج مخارق مع بعض أصحابه إلى بعض المتنزهات فنظر إلى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه ، فسأله إيّاها ، فكأن المسؤول ضنّ بها ؛ وسنحت ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القوس : أرأيت إن تغنيت صوتاً فعطفت عليك به خدود هذه الظباء أتدفع إليّ هذه القوس ؟ قال : نعم ، فاندفع يغني :

ماذا تقـول الظبـاء أفرقةٌ أم لقـــاء
أم عهـدها بسـليمى وفي البيان شفاء
مرّت بنا سانحـــات وقد دنـــا الإمساء
فما أحارت جـوابـا وطـال فيهـا العنـاء

فعطفت الظباء راجعة إليـــه حتى وقفت بالقرب منـــه مستشرفةً تنظر إليه ، مصغية إلى صوته ، فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها ، وناوله الرجل القوس فأخذها ، وقطع الغناء ، فعاودت الظباء نفارها ومضت راجعة على سننها .

وقد ورد ذكر مخارق بشعر البحتري في قوله :

(١) بابل : أسم ناحية في العراق منها الكوفة والحلة ، ينسب اليها السحر والخمر .

رضينا من مخارق وابن خير بصوت الأثل[1] إذ متع[2] النهار

ولمخارق مجالس مع الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، يطول ذكرها، وكانت وفاته في أوائل خلافة المتوكل رحمه الله.

وقوله: (بذل)

بَـذْل:

بفتح الباء وسكون الذال، هي مغنية من مولدات المدينة ربيت بالبصرة، وهي إحدى المحسنات المتقدمات، الموصوفات بكثرة الرواية للأغاني، يقال إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت، ولها كتاب في الأغاني يشتمل على إثني عشر ألف صوت، وكانت حلوة الوجه، لطيفة المحاضرة، ظريفة، متقدمة، أخذت عن أبي سعيد مولى قائد ودحمان وفليح وابن جامع وإبراهيم الموصلي، وطبقتهم، وقرأت على جحظة البرمكي، عن أبي حشيشة في كتابة الذي جمعه من أخباره، وما شاهده. وكانت من أحسن الناس غناء في دهرها، أستاذة كل محسن ومحسنة، أروى خلق الله تعالى للغناء.

اشتراها جعفر بن موسى الهادي، فوصفت لأمير المؤمنين محمد الأمين بن أمير المؤمنين الرشيد، فبعث إلى جعفر يسأله أن يريه إياها، فأبى، فزاره الأمين

(١) الأثل: شجر عظيم لا ثمر له، الواحدة أثلة.
(٢) متع: طال وارتفع.

في بيته، فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فقال لجعفر: يا اخي بعني هذه الجارية! فقال: يا سيدي مثلي لا يبيع جارية. قال: فهبها لي. قال. هي مدبرة. فاحتال الأمين حتى أسكره وأمر ببذل فحملت معه إلى الحراقه وانصرف بها، فلما انتبه جعفر سأل عنها، فأخبر بخبرها فسكت.

فبعث إليه الأمين من الغد فجاءه وبذل جالسة، فلم يقل شيئاً، فلما أراد جعفر أن ينصرف، قال الأمين أوقروا حرّاقة ابن عمي فأوقرت[1]، قيل كان مبلغ ذلك المال ألف ألف درهم، وبقيت بَذْل في دار الأمين إلى أن قُتل، ثم خرجت، فكان ولد جعفر وولد الأمين يدّعون ولاءها، فلما ماتت ورثها ولد عبدالله بن محمد الأمين.

وقيل: وهب لها الأمين من الجوهر شيئاً لم يملك أحد مثله، فكانت تُخرج منه الشيء بعد الشيء، فتبيعه بالمال العظيم، فكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء، إلى أنْ ماتت وعندها منه بقية عظيمة. ولم تقبل أن تتزوج، وقد رغبت إليها وجوه القواد، والكتاب، والهاشميين؛ وكان يهواها علي بن هشام، ويكتم ذلك، وهجرته مدة فاسترضاها، وكان إبراهيم بن المهدي يعظمها ويتوافى لها، ثم تغير بعد ذلك استغناء عند نفسه عنها، فصارت إليه، فدعت بعود وغنت في طريقة واحدة، وايقاع واحد، واصبع واحدة مائة صوت، لم يعرف إبراهيم

(١) أوقر: حمّل.

منها صوتاً واحداً ، ثم وضعت العود وانصرفت فلم تدخل داره بعد ذلك حتى طال طلبه لها ، وتضرعه إليها في الرجوع إليه .

وقيل إن اسحق بن إبراهيم الموصلي خالف بَذْلاً المذكورة في نسبة صوت غنته بحضرة أمير المؤمنين المأمون ، فأمسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات ، وسألت إسحق عن صانعها ، فلم يعرفه ، فقالت والله يا أمير المؤمنين هي لأبيه ، أخذتها من فيه ، فإذا كان هذا لا يعرف غناء أبيه ، فكيف يعرف غناء غيره؟ فاشتد ذلك على اسحق حتى رئي فيه .

وقوله : (الكبيرة المهتارة[1]) صفة لبذل المغنية.

(٦٢) والحسين الخليع كان يعاطيـ ـه مداماً كالعقد تنوي انتثاره

قوله : (الخليع)

الحسين الخليع :

هو الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي ، المشهور بالخليع الشاعر ، وهو بصري المولد والمنشأ ، من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء خلفائها ؛ ويقال إنه أول من جالس منهم محمد الأمين .

وشعره مطبوع رقيق ، وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس.

(١) المهتارة : أهتر الرجل فقد عقله من الكبر والضعف فهو مُهتر .

وله في صفة الخمر معان أبدع فيها ، وسبق إليها ، فاستعارها ابو نواس وأخباره في هذا المعنى كثيرة ، وكان يلقب الخليع والأشقر ؛ وهاجى مسلم بن الوليد ، فانتصف[2] منه ، وله غزل جيد ، وأشعاره بالإجماع تخلو من التكلف، وعمر عمراً طويلاً حتى قارب المائة سنة .

وكان هو وأبو نواس تربيين نشآ في مكان واحد ، وتأدبا بالبصرة ، واتصل بالأمين في أيام أبيه الرشيد ، واتصلت خدمته له في أيام خلافته .

ولما ولي الخلافة المأمون أغفل الخليع لما كان يعرّض به من شعره في ذمه عند مدح الأمين ، لكنه لم يعاقبه ، وانتقل الخليع الى البصرة ، فأقام بها سائر أيام المأمون .

وللخليع في الأمين مراث كلها جيدة ، لأنه كان كثير الفضل عليه ، والتقريب له ، وقيل إنه جزع عليه جزعاً شديداً حتى خلط ، ولم يصدق أنه مات وقال إنه مستتر .

ولما ولي المعتصم الخلافة بعد المأمون ، سأل عن الخليع وأمر بقدومه عليه ، فقدم ، ودخل وسلم عليه بالخلافة وأنشده قصيدة من جملتها :

خير الوفود مبشر بخلافة ... خصت ببهجتها أبا إسحق

وافته في الشهر الحرام سليمة ... من كل مشكلة وكل شقاق

(٢) انتصف : طلب النصفة .

أعطته صفقها الضمائر طاعة قبل الأكف بأوكد الميثاق

فلما أتمها أدناه المعتصم وملأ فمه جوهراً ، وكان هذا الشعر أحسن ما مدح به يومئذ .

ولما ولي الواثقُ الخلافةَ مدحه الخليع بقصيدة ، فأمر له لكل بيت بألف درهم ، وقال إن الحسين ينطق عن حسن طوية ، ويمدح بخلوص نية .

ولما ولي المتوكلُ الخلافةَ أحب أنْ ينادمه الخليع ، وقد شغف بشعره ، وكان الخليع قد هرم وضعف ، فاستحضره ، وسقاه حتى سكر وأنشده شعراً لطيفاً ، ونادمه منادمة حسنة ، فأمر له بمال كثير .

وأخبار الخليع كثيرة جداً أوردها صاحب الأغاني رحمه الله في أكثر من عشرين ورقة مع جملة صالحة من شعره .

وكانت وفاته سنة خمسين ومايتين هجرية .

وقوله : (كان يعاطيه) أي يناوله والضمير راجع إلى الأمين .

وقوله : (مداما) أي خمراً .

وقوله : (كالعقد) أي القلادة .

وقوله : (تنوي) أي تقصد وتعزم .

(٦٣) ثم يجلو أبو نواس على السمـ ـع كؤوساً من الهوى مستعاره

قوله : (ثم) بضم أوله ، حرف عطف ، يدل على الترتيب ، والتراخي ، وبالفتح اسم يشار به الى المكان البعيد .

وقوله : (يجلو) اي يعرض .

وقوله : (أبو نواس)

أبو نواس :

هو أبو علي الحسن بن هانىء بن عبدالأول بن الصباح المعروف بأبي نواس، الحكمي الشاعر المشهور ، كان جده مولى الجراح بن عبدالله الحكمي والي خراسان ، ونسبته إليه .

قيل إنه ولد بالبصرة[1] ، ونشأ بها ، ثم خرج إلى الكوفة[2] مع والبة[3] بن الحبّاب ، ثم صار إلى بغداد ، وقيل إنه ولد بالأهواز[4] ، وقيل بكورة من كورخوزستان[5] ، وأمه أهوازية اسمها جلبان .

وكان أبوه من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بدمشق الشام ، وكان

(١) البصرة : اسم ناحية في العراق كانت في العهد العباسي مركزاً هاماً لتدريس اللغة والنحو .

(٢) الكوفة : اسم ناحية في العراق كانت تنافس البصرة في الزعامة الأدبية .

(٣) والبة بن الحبّاب : هو ابو أسامة والبة بن الحبّاب الأسدي ، شاعر ماجن ، وصّاف للخمر ، تخرّج عليه ابو نواس في قرض الشعر .

(٤) الأهواز : كورة بين البصرة وفارس وسوق الاهواز من مدنها .

(٥) خوزستان : اسم لجميع بلاد الخوز من خراسان .

من أهل دمشق ، وانتقل إلى الأهواز للرياط ، فتزوج جلبان ، فولد له منها عدة أولاد ، منهم ابو نواس سنة إحدى وأربعين ومائة هجرية .

ونُقل إلى البصرة ، فنشأ بها ، ثم انتقل إلى بغداد ، وقد زادت سنه على الثلاثين ، ولم يلحق بأحد من الخلفاء قبل الرشيد ، وكان أول ما قاله من الشعر قوله :

حامل الهوى تعب يستخفُّه الطربُ
إن بكى يحق له ليس ما به لعبُ
تضحكين لاهية والمحب ينتحب
كلما انقضى سبب منك عادني سببُ
تعجبين من سقمي صحتي هي العجبُ

وروي أنّ الخصيب صاحب مصر ، سأل أبا نواس عن نسبه ، فقال : أغناني أدبي عن نسبي ؛ وما زال العلماء والأشراف ، يروون شعره ويتفكهون به ، ويفضلونه على أشعار القدماء .

قال محمد بن داود الجراح : كان أبو نواس من أجود الناس بديهة ، وأرقهم حاشية ، لَسِناً بالشعر ، يقوله في كل حال .

والردي من شعره ما حفظ عنه في سكره ؛ وقال الجاحظ : لا أعرف

بعد بشار[1] مولّداً أشعر من أبي نواس .

وقال الأصمعي[2] : ما أروي لأحد من أهل الزمان ما أرويه لأبي نواس ،

وقال أبو عبيدة[3] : أبو نواس للمحدثين كامرىء القيس[4] للأولين ، لأنه الذي فتح لهم باب هذه الفطن ، ودلهم على هذه المعاني .

ووصفه ابو عبدالله الجمّاز ، فقال : كان أظرف الناس منطقاً ، وأغزرهم أدباً ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جواباً ، وأكثرهم حياء .

وكان أبيض ، مليح النغمة والاشارة ، ملتف الأعضاء ، بين الطويل والقصير مسنون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ، وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلو الشمائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية للأشعار ، علاّمة بالأخبار ، كأن كلامه شعر موزون .

---

(١) بشار بن برد : هو ابو معاذ ، أشعر المولدين ، اصله من طخارستان ، نشأ في البصرة وكان ضريراً ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، كان شاعراً راجزاً خطيباً وصاحب منثور ، اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط .

(٢) الأصمعي : ابو سعيد عبدالملك بن علي الباهلي ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر ، شهد له أئمة اللغة بعلو كعبه وتمكنه من اسرار اللغة ورواية الشعر .

(٣) ابو عبيدة : احد أئمة اللغة في عصره مشهود له بصدق الرواية وسعة العلم .

(٤) امرؤ القيس : اختلف المؤرخون في اسمه فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي بن حجر بن الحارث الكندي ، شاعر جاهلي من اشهر اصحاب المعلقات .

ومن شعر أبي نواس الفائق المشهور قصيدته الميمية التي حسده عليها أبو تمام حبيب وموازنها بقوله :

دِمَن ألمّ بها فقال سلام كم حلّ عقدة صبره الالمام

وأول قصيدة أبي نواس المشار إليها وهي مما مدح به أمير المؤمنين محمد الأمين بن أمير المؤمنين الرشيد :

يا دار ما صنعت بك الأيام لم يبق فيك بشاشة تستام

يقول من جملتها في صفة ناقته :

وتجشّمت بي هول كل تنوفة هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطيّ وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي إمام
وإذا المطيّ بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

ولأبي نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات ، يطول شرحها .

وكان أبو نواس يحب جنان[1] جارية عبدالوهاب الثقفي حباً شديداً ، ويقال إنه لم يصدق بحبه إمرأة غيرها ، وكانت حسناء أديبة ، عاقلة ظريفة تعرف الأخبار وتروي الأشعار ، رآها أبو نواس بالبصرة عند مولاها المذكور ، فاستحلاها ، وقال فيها أشعاراً كثيرة ، وقيل له يوماً إنّ جنان قد عزمت على الحج ، فكان هذا سبب حجه ، فقال : أما والله لا يفوتني المسير معها ، والحج عامي هذا ،

(١) جنان : جارية مشهورة بالظرف والجمال وسعة روايتها للشعر تعشقها ابو نواس الشاعر

إن أقامت على عزيمتها ؛ فلما علم أنها خارجة سبقها ، وما كان قد نوى الحج ، ولا أحدث عزمه إلا خروجها ، وقال لما عاد من حجه :

ألم تر أنني أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً[1] اليها يقربني وأعيتني[2] الأمور
حججت وقلت قد حجّت جنان فيجمعني وإياها المسير

وله مع جنان أخبار ونوادر ، يطول ذكرها . وشعره كثير ، وأكثره حسن ، وكانت وفاته سنة خمس وتسعين ومائة هجرية ، وقيل سنة ست وتسعين ومائة وقيل سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن في الشونيزي ببغداد رحمه الله .

(٦٤) وأدار المأمون للراح كأسا شعشع البيت نورها واستناره

قوله : (وأدار) من أدار الرجل الشيء ، جعله يدور ، وأدار أيضاً بمعنى تعاطى .

وقوله : (المأمون)

المأمون :

هو أمير المؤمنين أبو العباس ، عبدالله المأمون بن أمير المؤمنين هرون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

(١) السبب : الحبل ، ما يتوصل به الى غيره .
(٢) أعيا : اتعب وأجهد .

ولد المأمون رحمه الله في النصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة هجرية، وقرأ العلم في صغره على رجاله، وبرع في الفقه والعربية، وأيام الناس.

وروى عنه يحيى بن اكثم وأضرابه من رجالات العلم، ولما كبر عُنيَ بعلوم الأوائل، ومهر في الفلسفة، وكان من رجال بني العباس حزماً، وعزماً، وحكماً وعلماً، ورأياً ودهاء، وشجاعة، وسؤدداً، وسماحة.

قال ابن العديم[1] في كتابه الفهرست، بعد أن ذكر سلسلة آبائه: «المأمون أعلم الخلفاء بالفقه والكلام، وكان دون أخيه محمد بن زبيدة[2] في الفصاحة، ونحن نستغني بشهرة أخباره عن استقصاء ذكره، وله من الكتب: كتاب جواب عن أمور في الإسلام والتوحيد. رسالة في حجج مناقب الخلفاء بعد النبي ﷺ. رسالة في أعلام النبوة».

كان أبيض، ربعة، حسن الوجه، تعلوه صفرة، وقد وخطه الشيب، أعين طويل اللحية، وأمه أم ولد اسمها مراجل ماتت أيام نفاسها به.

ولما خلعه أخوه الأمين، غضب وادعى الخلافة، ودعا إلى نفسه بخراسان، فبايعه الناس، وأخوه حيٌّ وذلك في آخر سنة خمس وتسعين ومائة هجرية، إلى أن قتل الأمين فاجتمع الناس عليه ببغداد في أول سنة ثمان وتسعين ومائة هجرية.

(١) هو ابو الفرج محمد بن اسحق، كان شيعياً معتزلاً، واسع الاطلاع، ثقة، صادق النحري، ومن مؤلفاته كتاب الفهرست وهو من اقدم كتب التراجم.
(٢) هو محمد الأمين بن هرون الرشيد.

وكان فصيحاً مفوهاً، وكان يقول: معاوية بِعَمره[1]، وعبدالملك بحجاجه[2] وأنا بنفسي.

وكان يختم كل شهر من شهور رمضان ثلاثين ختمة، روى محمد بن عوف عن ابن عيينة أن المأمون جلس فجاءته امرأة، فقالت: يا أمير المؤمنين مات أخي وخلّف ستماية دينار، فأعطوني دينارا وقالوا هذا نصيبك وقال المأمون: هذا خلّف أربع بنات، قالت: نعم، قال: لهن أربعماية دينار، وخلّف والدة. قالت: نعم. قال لها: ماية دينار، وخلّف زوجة لها خمس وسبعون ديناراً. ألك اثنا عشر أخاً؟ قالت نعم. قال: لكل واحد ديناران ولك دينار واحد.

وقال عمارة بن عقيل أنشدت المأمون قصيدة ماية بيت، فأبتدىء بصدر البيت فيبادرني إلى قافيته كما قفيته، فقلت والله يا أمير المؤمنين، ما سمعها مني أحد قط، فقال هكذا ينبغي أن يكون؛ ثم قال لي: أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة أنشد عبدالله بن عباس قصيدته التي يقول فيها: «يشط غداً دار جيراننا»

«وللدار بعد غد أبعد»

فقال ابن عباس:

حتى أنشد القصيدة يقفيها ابن عباس، ثم قال: أنا ابن ذاك

(١) بعمره: يعني عمرو بن العاص وهو ابو عبدالله عمرو بن العاص بن وائل القرشي، احد دهاة العرب وعظمائهم، كان من أمراء الجيوش في الجهاد زمن عمر رضي الله عنه، وهو الذي فتح قنسرين ومصر.
(٢) بحجّاجه: يعني الحجاج بن يوسف الثقفي احد ولاة العراق زمن عبدالملك بن مروان، وكان من الولاة المهنكين والخطباء البلغاء.

وكان يقول المأمون : لو عرف الناس حبي للعفو لتقرّبوا إليّ بالجرائم .

وكان ميّالاً للعلويين ، حتى أنه بايع بخراسان بالعهد لعلي بن موسى الرضا ونوّه باسمه وغيّر لبس آبائه من لبس السواد وأبدله بالخضرة .

تغضب بنو العباس بالعراق لهذين الأمرين ، فخلعوه وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي ولقّبوه المبارك ، وحاربه الحسن بن سهل فهزمه إبراهيم وألحقه بواسط ، وأقام إبراهيم بالمدائن ، ثم سار جيش الحسن وعليه حميد الطوسي ، وعلي بن هشام فهزموا إبراهيم ، فاختفى ولم يظهر خبره إلا في وسط خلافة المأمون فعفى عنه .

وتقدم إلى المأمون رجل غريب بيده محبرة ، وقال : يا أمير المؤمنين : رجل من أهل الحديث ، منقطع به ، فقال : ما تحفظ من باب كذا وكذا ؟ فلم يذكر به شيئاً ، فما زال المأمون يقول حدثنا هيثم [1] وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج حتى ذكر الباب ؛ ثم سأله عن باب آخر ، فلم يذكر فيه شيئاً . فقال المأمون حدثنا فلان وحدثنا فلان ، ثم قال لأصحابه ، يطلب أحدهم ثلاثة أيام ، ثم يقول : أعطوني أنا من أهل الحديث . أعطوه ثلاثة دراهم ، ومع ذلك ، فكان مسرف الكرم ، جواداً ، مُمدَّحاً ، فرّق في ساعة ستة وعشرين ألف ألف درهم .

أقولُ : إنما فعل ذلك المأمون رحمه الله تأديباً لذلك الرجل وزجراً له عن

(١) هيثم : هو ابو معاوية هيثم بن بشر بن ابي حازم السلمي ، مفسر من ثقاة المحدّثين . كان محدث بغداد ، ولزمه الإمام ابن حنبل أربع سنين ، قال الدورقي : كان عنده عشرون الف حديث .

أن يدّعي العلم ، وهو منه صفرٌ شأن رجالنا اليوم ، لا بخلاً ، فلو جاءه مستجدياً بفقره لأوفر له العطاء .

ومن شعر المأمون رحمه الله :

بعثتك مرتاداً ففزت بنظرة ... وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فناجيتَ من أهوى وكنتُ مباعَدا ... فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثراً منه بعينيك باقياً ... لقد سرقت عيناك من عينها حسنا

وله رحمه الله :

أصبح ديني الذي أدين به ... ولست منه الغداة معتذرا
حبُّ عليّ بعد النبيِّ ولا ... أشتم صدّيقه ولا عمرا
وابن عفّانَ في الجنان مع الأبـ ... ـرار ذاك القتيل مصطبرا
وعائشُ الأم لست أشتمها ... من يفترِيها فنحن منه برا

ومن لطيف قول المأمون رحمه الله أنه لما طلب الدخول على بوران بنت الحسن بن سهل ، فدافعوه لعذر بها ، فلم يندفع ، فلما زُفّت إليه وجدها حائضاً ، فتركها ، فلما قعد للناس من الغد ، دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب وقال : يا أمير المؤمنين ، هنأك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر بالمعركة ، فأنشد المأمون :

فارسٌ ماضٍ بحربته ... صادق بالطعن في الظلم

رام أن يدمي فريسته فاتقتـــه من دم بدم

وهو من لطيف الكنايات .

أقول : إن المأمون رحمه الله من أكبر خلفاء بني العباس إن لم نقل أكبرهم . اجتمعت به خصال قل أن تجتمع بغيره من الخلفاء ، فقد كان رحمه الله عالماً عاملاً ديناً حازماً ، حليماً عادلاً ، رحيماً شجاعاً ، فطناً سياسياً ، أديباً فصيحاً شاعراً ؛ نهض بالدولة أسمى درجات الحضارة ، فكان عصره عصر العلم والنور والسعادة .

أمر بترجمة العلوم ، ونشر حرية المذاهب ، فكان بلاطه مجمع العلماء والفقهاء والمحدثين ، والمناظرين والمترجمين والشعراء ، وغيرهم من حملة العلم .

ولو أردنا جمع مناقبه الميمونة ، وأخباره النقية البيضاء ، وما آلت إليه بأيام الدولة من العز والمجد ، لطال بنا الشرح ، ولخرجنا عن الموضوع .

وكانت وفاته رحمه الله سنة ثماني عشر ومايتين بالبدنون ، فحمـــل إلى طرسوس[1] ودفن بها في دار خاقان ، خادم أبيه ، فكانت مدة خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، سوى سنين ، كان دعي له بمكة وأخوه الأمين محصوراً ببغداد .

وقوله : (للراح) أي للخمر .

وقوله : (كأساً) الكأس الإناء يشرب فيه ، وقيل ما دام الشراب فيه وإلا فهي زجاجة وإناء وقدح مؤنثة .

(١) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم .

وقوله : (شعشع) تقول شعشع الشراب إذا مزج بالماء ، وشعشع الضوء إذا انتشر .

(٦٥) حيث عـــلوية المغني واسحا ق يزفان في الدجى أقماره

قوله : (حيث) ظرف مكان مبني على الضم مبتدأ وما بعدها خبر[1] .

وقوله : (علوية)

علوية :

هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن سيف المغني ، كان مغنيـــاً حاذقاً ، ومؤدباً محسناً ، وضارباً متقدماً ، مع خفة روح ، وطيب مجالسة ، وملاحة نوادر ، وكان إبراهيم الموصلي علّمه وخرّجه ، وعني به ، فبرع وغنّى للرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق .

عاش إلى أيام المتوكل ومات بعد اسحق الموصلي الآتي ذكره بمديدة يسيرة وكان الواثق يقول : غناء علويه مثـــل نقر الطست ، يبقى ساعة في السمع بعد سكوته .

وقال عبدالله بن طاهر : سمعت أبي يقول لو خيّرت لوناً من الطعام لأزيد عليه غيره لاخترت الدراجة[2] لاني إن زدت في خلها صارت سكباجة[3] وإن زدت في مائها صارت اسفيدباجة[4] ، وإن زدت في تصبيرها بل في تشييطها صارت

(١) وقد يكون ما بعد « حيث » مبتدأ وخبره محذوف وتقدير الجملة حيث علوية موجود .

(٢) و (٣) و (٤) ضرب من اطعمة الفرس فيه لحم .

مطجنة ، ولو اقتصرت على رجل واحد لما اخترت سوى علوية لأنه إن حدثني ألهاني ، وإن غنّاني أشجاني ، وإن رجعت إلى رأيه كفاني .

وغنّى علوية بحضرة المأمون في بيتين من شعر أبي العتاهية فهما :

وإني لمشتاقٌ إلى ظلّ صاحبٍ يروقُ ويصفو إن كدرت عليه

فقال المأمون : خذ الخلافة وأعطني هذا الصاحب .

وكان علوية يقول : أحسن أغني أكثر من خمسة آلاف صوت .

وقوله : (اسحق)

اسحق :

هو أبو محمد اسحق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولاء ، الأرجاني[1] الأصل المعروف بابن النديم ، وكان الرشيد يولع به فيكنيه أبا صفوان ، وموضعه من العلم ومكانه من الأدب ، ومحله من الرواية ، وتقدمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن ، أشهر من أن يدل عليه فيها بوصف .

وأما الغناء فكان أصغر علومه ، وأدنى مايوسم به ، وإن كان الغالب عليه وعلى ماكان يحسنه ، فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء ، ولم يكن له في هذا نظير ، فإنه لحق بمن مضى فيه ، وسبق من بقي ، والحب للناس جميعاً طريقة ، فأوضحها ، وسهّل عليهم سبيله ، وأنارها ، فهو إمام أهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ، ومعلمهم ،

(١) الأرّجاني ، نسبة الى ارّجان ، وأرّجان بلدة في فارس بينها وبين شيراز ستون فرسخاً

يعرف ذلك منه الخاص والعام ، ويشهد به الموافق ، والمفارق ، على أنه كان أكره الناس للغناء ، وأشدهم بغضاً لأن يدّعى أو يسمى به .

وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على ألسنة الناس ، وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي ، فإنه أولى به ، وأعف ، وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة .

وقد روى الحديث ، ولقي أهله ، وكان مع كراهته الغناء ، أضنّ خلق الله وأشدهم بخلاً به على كل أحد ، حتى على جواريه ، وغلمانه ، وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقه وميّزه تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله ولا تعلق به أحد بعده ، ولم يكن قديماً مميزاً على هذا الجنس .

وألف في ذلك كتاباً كان يحتاج إليه كل من ألف في هذه الصناعة . وقد جمع في كتابه كل أجناس الغناء ، واستخرج بتمييزه كل ما سبق إليه الأوائل مثل اقليدس ومن قبله ومن بعده من أهل العلم بالموسيقى ووافقهم بطبعه ، وذهنه في كل ما قد أفنوا فيه الدهور ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه .

قال اسحق : بقيت دهراً من دهري أغلس[1] كل يوم إلى هشيم فأسمع منه ثم أصير إلى الكسائي ، والفرّاء أو ابن غزالة ، فأقرأ عليه جزءاً من القرآن . ثم آتي زلزلاً فيضارب بي طرفين أو ثلاثة ثم آتي عاتكة بنت شهد ، فآخذ منها صوتاً ، أو

(١) غلس : سار في ظلمة آخر الليل .

صوتين ، ثم آتي الأصمعي وأبا عبيدة ، فأناشدهما وأحدثهما وأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبي ، فأعلمه ما صنعت وما لقيت ، وما أخذت ، وأتغدى معه ، فإذا كان العشاء ، رحت إلى أمير المؤمنين الرشيد .

قال ابن النديم في كتابه الفهرست : وكان إسحق راوية للشعر ، والمآثر . لقي فصحاء الأعراب من الرجال والنساء ، وكانوا إذا قدموا حضرة السلطان ، قصدوه ونزلوا عليه ، وكان مع ذلك شاعراً . حاذقاً بصناعة الغناء ، مصنفاً في علوم كثيرة ، يرتزق من السلطان في عدة أعطية ، لكماله ، وفضله ؛ وله من الكتب المصنفة التي تولى بنفسه تصنيفها سوى كتاب الأغاني الكبير ، فقد اختلف في أمره ، ونحن نذكرها : كتاب أغانيه التي غنى بها ؛ كتاب أخبار عزة الميلاء ؛ كتاب أغاني معبد ؛ كتاب أخبار حماد وعجرد ؛ كتاب أخبار حنين الحيري ؛ كتاب أخبار ذي الرمة ؛ كتاب أخبار طويس ؛ كتاب أخبار المكسن ؛ كتاب أخبار سعيد بن مسجح ؛ كتاب أخبار الدلال ؛ كتاب أخبار محمد بن عايشة ؛ كتاب أخبار الأبجر ؛ كتاب أخبار ابن صاحب الضوء ؛ كتاب الاختيار من الأغاني للوائق ؛ كتاب اللحظ والإرشادات ؛ كتاب الشراب ، يروي فيه عن العباس بن معن بن الجصاص وحماد بن مسرة .

كتاب مواريث الحكماء ؛ كتاب جواهر الكلام ؛ كتاب الرقص والزفن[1] ؛ كتاب الندماء ؛ كتاب المنادمات ؛ كتاب النغم والإيقاع .

(١) الزفن : ضرب من الرقص .

وله كتاب الهزليين ؛ كتاب قيان الحجاز ، كتاب الرسالة إلى علي بن هشام ؛ كتاب منادمة الإخوان وتسامر الخلان ؛ كتاب القيان ؛ كتاب النوادر المتخيرة كتاب الاختيار في النوادر ؛ كتاب أخبار معبد وابن سريج وأغانيهما ، كتاب أخبار الغريض ؛ كتاب تفضيل الشعر والرد على من يحرمه وينقصه ؛ كتاب الأغاني الكبيرة .

وقال أيضاً : وقد ألف إسحق أخبار جماعة من الشعراء ، فمن ذلك : أخبار حسان ، كتاب أخبار ذي الرمة ، كتاب أخبار نصيب ، كتاب أخبار عقيل بن علفة ، كتاب أخبار ابن هرمة ، (انتهى ما قاله ابن النديم) .

قيل هوى إسحق جارية فقال فيها :

هل إلى أنْ تنام عيني سبيلُ ... إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويل

غاب عني من لا أسمي ، فعيني ... كل يومٍ وجداً عليه تسيل

ثم تملكها ، فكان مشغوفاً بها ، حتى كبر واعتلت عيناه ، وكان كلما غنى بهذين البيتين يبكي أمرّ البكاء ، ذاكراً به ما سلف من أيامه .

وأخباره كثيرة أوردها صاحب الأغاني في ثمان وثلاثين ورقة ؛ وقال في الختام : وقد بقيت من أخبار إسحق بقايا مثل أخباره مع بني هاشم ، وأخباره مع إبراهيم المهدي وغيرها فإنها كثيرة ، ولها مواضع ، ذكرت فيها ، وحسن ذكرها هنالك .

كان مولده في سنة خمسين ومائة ، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الذرب[1] رحمه الله .

قوله : (يزفان) من زف الرجل العروس إلى زوجها أي أهداها والضمير بقوله يزفان راجع إلى علوية وإسحق .

وقوله : (في الدجى) الدجى الظلمة أو سواد الليل مع غيم لا ترى نجماً ولا قمراً .

وقوله : (أقماره) جمع قمر ، والقمر كوكب يستمد نوره من الشمس فينكسر على الأرض ، فيرفع ظلمة الليل ، وتشبّه به وجوه الحسان ، وهو قمر بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر ، وأما قبل ذلك فهو هلال ، والضمير راجع إلى المأمون .

(١٦) حيث يحيى بن اكثم يتولى بسطه وابن طاهر أسماره

قوله : (حيث) ظرف مكان مبني على الضم ، وتلزم الإضافة إلى الجملة ، ومن ادعى إضافتها إلى المفرد واستدل بقول الراجز :

« أما ترى حيث سهيل طالعاً »

إلا أن الجمهور ، أنكروا رواية الجر ، وقالوا سهيلٌ مبتدأ ، والخبر محذوف ، وإذا لحقتها ما الكافة ضمنت معنى الشرط وجزمت فعلين كقوله :

حيثما تستقم يقدر لك اللـ ـه نجاحاً في غابر الأزمان

(١) الذرب : داء يكون في الكبد ، شيء يكون في عنق الإنسان او الدابة مثل الحصاة .

وترد للزمان ، كما في هذا البيت ، إذ المعنى متى استقام سعيك قدر لك الخ .

وقوله :

يحيى بن اكثم :

هو ابو محمد يحيى بن اكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشبح التميمي الأسيدي ، المروزي ، من ولد اكثم بن صيفي التميمي ، حكيم العرب . كان فقيهاً عالماً بالفقه ، بصيراً بالأحكام ، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي رضي الله عنه ، وقال الخطيب في تاريخ بغداد : كان يحيى بن اكثم ، سليماً من البدعة ، ينتحل مذهب أهل السنة ، سمع عبدالله[1] بن المبارك ، وسفيان[2] بن عيينة وغيرهما وروى عنه ابو عيسى الترمذي[3] وغيره ، وقال طاحة بن محمد بن جعفر في حقه : يحيى بن اكثم أحد أعلام الدنيا ، وقد اشتهر أمره ، وعرف خبره ، ولم يستتر عن الكبير والصغير من الناس فضله ، وعلمه ، ورياسته ، وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه ، من الخلفاء والملوك ، واسع العلم بالفقه ، كثير الأدب ، حسن المعارضة ، قائم بكل معضلة ، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً ، وكان المأمون ممن برع في العلوم ، فعرف من حال يحيى بن اكثم ، ما هو عليه من العلم والعقل ، ما أخذ بمجامع قلبه ، حتى قلده قضاء القضاة ، وتدبير أهل مملكته ،

(١) و (٢) محدثان مشهود لهما بصدق الحديث وعما من الثقاة الثقاة .
(٣) ابو عيسى : محمد بن عيسى بن موسى الضحاك السلمي الترمذي ، احد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، صنف كتاب الجامع والعلل ، وكان يُضرب به المثل .

فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن اكثم ، ولا نعلم أحداً غلب على سلطانه في زمانه إلا يحيى بن اكثم وأحمد بن أبي داود .

وولي يحيى قضاء البصرة ، وهو ابن عشرين سنة ، وكانت كتبه في الفقه ، أجلّ كتب ، وتركها الناس لطولها .

وله كتب في الأصول ، وله كتاب أورده على العراقيين أسماه : كتاب التنبيه ولقيه رجل وهو يومئذ على القضاء ، فقال : أصلح الله القاضي كم آكل ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع . فقال : فكم أضحك ؟ قال : حتى يسفر وجهك ، ولا يعلو صوتك . قال : فكم أبكي ؟ قال : لا تمل البكاء من خشية الله تعالى . قال : فكم أخفي عملي ؟ قال : ما استطعت . قال : فكم أظهر منه ؟ قال : مقدار ما يقتدى بك البر الخير ، وتؤمن عليك قول الناس . قال الرجل : سبحان الله ، قول قاطن ، وعمل ظاعن .

ولم يكن فيه رحمه الله ما يعاب به سوى ماكان يتهم به من الهنات المنسوبة إليه ، الشائعة عنه ، والله أعلم بحاله فيها .

وذكر الخطيب في تاريخه ، أنه ذكر لأحمد بن حنبل رضي الله عنه ما يرميه الناس به ، فقال : سبحان الله ! من يقول هذا ؟ وأنكر ذلك انكاراً شديداً .

وقيل إن المأمون قال ليحيى من الذي يقول :

(١) احمد بن حنبل الشيباني : هو امام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الاربعة ، صنّف المسند في ستة مجلدات يحتوي على ثلاثين الف حديث .

قاضٍ يرى الحدّ في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس

قال : أوما يعرف أمير المؤمنين من القائل ؟ قال : لا . قال : يقوله الفاجر ، أحمد بن أبي نعيم الذي يقول :

لا أحسب الجو ينقضي وعلى الأمـ ـة والٍ من آل عبـاس

قال فأفحم المأمون خجلاً ، وقال : ينبغي أنْ يُنفى أحمد بن ابي نعيم الى السند . ولما توجه المأمون الى مصر سنة خمس عشرة ومايتين هجرية ، كان معه القاضي يحيى بن اكثم ، فولاّه قضاء مصر ، وحكم بها ثلاثة أيام ثم خرج مع المأمون ، ولم تزل الأحوال تختلف عليه ، وتنقلب به الى أيام المتوكل على الله ، فلما عزل القاضي محمد بن القاضي احمد بن ابي داود عن القضاء فوّض الولايه الى القاضي يحيى ، وخلع عليه خمس خلع ، ثم عزله في سنة أربعين ومايتين هجرية ، وأخذ أمواله ، وولى في رتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي ، فجاء كاتبه الى القاضي يحيى ، فقال له سلم الديوان ؛ فأبى ، فقال : شاهدان عدلان على امير المؤمنين أنه أمرني بذلك ، فأخذ منه الديوان قهراً :

وغضب عليه المتوكل ، فأمر بقبض املاكه وألزم منزله ، ثم حجّ ، وحمل اخته معه ، وعزم على أنْ يجاور ، فلما اتصل به رجوع المتوكل له ، بدا له في المجاورة ورجع يريد العراق ، فلما وصل الى الربذة[1] ، توفي بها يوم الجمعة ، منتصف ذي

(١) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة اميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز .

الحجة سنة اثنين واربعين ومايتين هجرية ودفن هناك رحمه الله تعالى وعمره ثلاث وثمانون سنة .

وقوله (يتولى) اي يتقلد .

وقوله (بسطه) اي سروره ، والضمير راجع الى المأمون ، أي أنّ يحيى بن اكثم يتولى سرور المأمون .

وقوله :

ابن طاهر :

هو ابو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي بالولاء ، كان سيداً نبيلاً ، عاليَ الهمة ، شهماً ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه ، حسن الالتفات اليه لذاته ، ورعاية لحق والده ، وما أسلفه من الطاعات في خدمته .

ذكر الطبري[1] في تاريخه : أن طلحة بن طاهر المذكور في ترجمة أبيه ، لما مات سنة ثلاث عشرة ومايتين هجرية . وعبدالله يوم ذاك بالدِّينَوَر[2] ، أرسل المأمون اليه القاضي يحيى بن اكثم ، يعزيه في أخيه طلحة ، ويهنئه بولاية خراسان ، وذكر بعد هذا في ولاية طلحة شيئاً آخر ، فقال : إنّ المامون ، لما مات طاهر ، كان ولده عبدالله بالرقة على محاربة نصر بن شبث ، ولاّه عمل أبيه كلّه ، وجمع مع ذلك الشام ،

(١) ابن جرير الطبري من مشاهير المؤرخين قضى حياته بالاسفار والدرس من اشهر كتبه تاريخ الأمم والملوك وهو من اهم التواريخ .

(٢) الدينور : مدينة من اعمال الجبل قرب قرميسين بينها وبين همذان عشرون فرسخاً .

فوجه عبدالله أخيه طلحة إلى خراسان ، والله أعلم .

وذكر الطبري أيضاً في سنة ثلاث عشرة ومايتين : أن المأمون ولّى أخاه المعتصم الشام ، ومصر ، وابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، وأعطى كلّ واحد منهما ، ومن عبد الله بن طاهر خمسماية ألف دينار .

وقيل إنه لم يفرق في يوم واحد من المال مثل ذلك .

وكان عبد الله بن طاهر ، اديباً ، ظريفاً ، جيد الغناء ، نسب اليه صاحب الأغاني ، أصواتاً كثيرة ، وأحسن فيها ونقلها أهل الصنعة عنه ، وله شعر مليح ، ورسائل ظريفة ، فمن شعره قوله :

نحن قومٌ تليننا الحدق النجـ ـل على أننا نلين الحديدا
طوع أيدي الظباء تقتادنا العيـ ـنُ ونقتاد بالطعان الأسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ـض المصونات أعيناً وخدودا
نتقي سخطنا الأسود ونخشى سخط الخشف[1] حين تبدي الصدودا
فترانا يوم الكريهة احرا رأ وفي السلم للغواني عبيدا

وله مجموع رسائل .

وكان تولى الشام مدة والديار المصرية مدة ، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومايتين بمرو ؛ وقيل سنة ثلاثين ، وهو الأصح .

وقال الطبري مات بنيسابور[2] يوم الاثنين ، لاحدى عشرة ليلة خلت من

(١) الخشف : ولد الظبية :

(٢) نيسابور : دهليز المشرق بينها وبين الري ماية وستون فرسخاً وهي مدينة عظيمة .

شهر ربيع الأول من سنة ثلاثين ومايتين ، وعاش مثل أبيه طاهر ثماني وأربعين سنة رحمها الله تعالى .

(٦٧) وعريب مع القيان تغنيـ ـه بصوتٍ تخيّرت أشعاره

عريب :

مغنية محسنة ، وشاعرة صالحة ، كانت مليحة الخط ، والمذهب في الكلام ، ونهاية في الحسن ، والجمال ، والظرف ، وحسن الصوت ، وجودة الضرب ، وإتقان الصنعة ، والمعرفة بالنغم ، والأوتار ، والرواية للشعر والأدب . لم يتعلق بها أحد من نظرائها ، جمعت غناءها الذي صنعته في دفاتر وصحف لها ، فكان الف صوت ؛ وألّف ابن المعتز في أخبارها كتاباً . قيل إن عريب هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي ؛ وان البرامكة لما انتهبوا سُرقت وهي صغيرة .

وكانت عريب لعبد الله بن اسماعيل المراكبي ، صاحب مراكب الرشيد ، فأخذها الأمين منه ، ثم لما قتل الأمين ، هربت الى المراكبي ، ثم هربت منه ، ثم بعد ذلك اشتراها المأمون بخمسين ألف درهم ؛ وقيل بأكثر من ذلك ، في خبر يطول ذكره ، فذهبت به كل مذهب ، ميلاً اليها ، ومحبة لهـــا ؛ فلما مات المأمون اشتراها المعتصم بماية ألف درهم ، وأعتقها فهي مولاته ، وكان لها ولع شديد بمحمد ابن حامد ، تجتمع به ، وهي عند المأمون ، فلما وقف المأمون على خبرها ، أمر بالباسها جبة صوف ، وختم زيقها ، وحبسها في كنيف مظلم ، لا ترى الضوء ، يدخل اليها خبز وملح وماء ، من تحت الباب في كل يوم ؛ ثم ذكرت له فرق لها ،

وأمر بإخراجها ، فلما فتح عنها وأخرجت ، لم تتكلم بكلمة ، حتى اندفعت تغني :

حجبوه عن بصري فمثّل شخصه في القلب فهو محجب لايحجب

فبلغ ذلك المأمون ، فعجب منها ، وقال : لن تصلح هذه أبداً ؛ فزوجها إياه .

قوله (مع القيان) القيان جمع قينة ، والقينة الأمة المغنية وحاصل معنى البيت ، ان عريب المذكورة التي علت طبقتها في الغناء والأدب والشعر والحسن والجمال ، كانت تغني المأمون مع رفيقاتها المغنيات بأصوات اختارت أشعارها : أي بأحسن الغناء صنعة ومعنى ؛ وذاك جمال الغناء .

(٦٨) وابن هرون كان يألف ابرا هيم شوقاً ويستلذُّ اعتشاره

قوله (وابن هرون) يعني المعتصم .

المعتصم :

هو أمير المؤمنين المعتصم ، ابو إسحق ، محمد بن هرون الرشيد ولد سنة ثمانين وماية هجرية وأمه أم ولد إسمها ماردة ، وبويع له بالخلافة ، بعد أخيه المأمون بعهد منه سنة ثماني عشرة ومايتين هجرية .

وكان يقال له المثمن ، لأنه ثامن خلفاء بني العباس ؛ وثامن ولد العباس ، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر ، وفتح ثمان فتوحات ، وقتل ثمانية أعداء ، وخلّف من الذهب ثمانية آلاف الف دينار ، ومن الدراهم مثلها ، ومن الخيل ثمانين الف فرس ، وثمانية آلاف مملوك ، وثمانية آلاف جارية ؛ وبنى ثمانية قصور .

كان أبيض ، أصهب اللحية ، طويلها ، مربوعاً ، مشرّب اللون حمرة ، حسن العينين ، وكان ذا قوة عظيمة ، ومن أهيب الخلفاء .

وله شعر ، منه قوله في غلامه عجيب :

إني هويت عجيباً هوى أراه عجيبا
طبيب ما بي من الحـ ـب لا عدمت الطبيبا
الوجه منه كبدر والقد يحكي القضيبا

وكانت وفاته سنة (٢٢٧) هجرية . ولما احتضر قال : ذهبت الحيلة ، ولم يزل يكررها حتى صمت ودفن بسامرّاء[1] ، وكان عمره اذ ذاك سبعاً واربعين سنة وسبعة أشهر رحمه الله تعالى .

وقوله (يألف) أي يأنس به ويحب . وقوله (ابراهيم) هو ابو اسحق ابراهيم بن المهدي .

ابو اسحق ابراهيم :

هو اسحق ابراهيم بن المهدي بن المنصور ، اخو هرون الرشيد .

كانت له اليد الطولى في الغناء ، والضرب بالملاهي ، وحسن المنادمة ، وكان أسود اللون ، لأن أمه كانت جارية سوداء ، واسمها شكلة ، وكان مع سواده عظيم الجثة ، ولهذا قيل له التنين ؛ وكان وافر الفضل ، غزير الأدب ، واسع النفس ،

(١) سامرّاء : لغة في سُرّ من رأى مدينة بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة استحدثها الخليفة المعتصم .

سخي النفس ، ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً ، ولا أحسن منه شعراً .

قال ابن النديم في كتابه الفهرست : ص (١١٦) وله من الكتب : كتاب الغناء ، كتاب أدب ابراهيم و كتاب الطبيخ .

ولقد ذكرنا في ترجمة المأمون كيف بويع لابراهيم بالخلافة ، ولماذا ، وكيف خلع ، فارجع له إن شئت .

وأخبار ابراهيم طويلة ، قد استوفاها الطبري في تاريخه ، وصاحب الأغاني . كانت ولادته في غرة ذي القعدة سنة (١٦٢) هجرية وتوفي يوم الجمعة لتسع خلون من رمضان سنة اربع وعشرين ومايتين هجرية بسامرّا وصلى عليه المعتصم رحمه الله .

وقوله (يستلذ) من استلذ الرجل الشيء إذا وجده ، وعدّه لذيذاً .

وقوله (اعتشاره) من اعتشر القوم أي تخالطوا وتصاحبوا ؛ وحاصل معنى البيت أن أمير المؤمنين المعتصم ، كان يألف عمه ابراهيم بن المهدي ، المشهور بغنائه ، وضربه ، وأدبه ، وحسن منادمته ، ويسر به ويتشوق اليه ، ويجد في معاشرته ومخالطته لذة .

(٦٩) واغتدى الواثق المقدم في الشعـ ـر على الكأس معملاً ادواره

قوله (اغتدى) بمعنى غدا أي ذهب غدوة ، وهو نقيض راح ، هذا أصله ، ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق ، في أي وقت كان ، وربما استعمل بمعنى صار ، فرفع المبتدأ ونصب الخبر .

وقوله (الواثق).

الواثق :

هو أمير المؤمنين، الواثق بالله هرون بن المعتصم بن هرون الرشيد، بويع له يوم توفي أبوه، وذلك يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيـــع الأول سنة (٢٢٧) هجرية.

وكان يكنى أبا جعفر، وأمه أم ولد رومية تسمى قراطيس، كان أعلم الخلفاء بالغناء، وبلغت صنعته ماية صوت، ما فيها صوت ساقط، وكان أحذق من غنّى بضرب العود.

قال اسحق: ماكان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بالغناء.

وله شعر، منه قوله في خادم له، أهدى اليه من مصر، كان يحبه فغاضبه يوماً وهجره، فسمع الخادم يحدث صاحباً له بحديث أغضبه عليه، الى أن قال: والله إنه ليجهد منذ أمس على أنْ أصالحه فما أفعل. وهو:

ياذا الذي بعذابي ظلّ مفتخراً ... هل أنت الا مليك جار إذ قدرا

لولا الهوى لتجارينا على قدر ... وإن أفق مرة منه فسوف ترى

ولما تولّى الواثق الخلافة، أحسن الى الناس، واشتمل على العلويين، وبالغ في إكرامهم، والإحسان اليهم، والتعهد لهم بالأموال؛ وفرّق في أهل الحرمين اموالاً لا تحصى، حتى أنه لم يوجد في أيامه بالحرمين سائل.

ولما توفي الواثق، كان نساء أهل المدينة، تخرجن كل ليلة الى البقيع، فيبكين عليه، ويندبنه، حزناً عليه لما كان يكثر من الإحسان.

وكانت وفاته في ذي الحجه، لست بقين منه، سنة (٢٣٢) هـ. قيل: لما حضرته الوفاة جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الناس مشترك ... لا سوقة منهم تبقى ولا ملك

ماضرّ أهل قليل في تفارقهم ... وليس يغني عن الملاك ما ملكوا

وأمر بالبسط فطويت، وألصق خدّه بالأرض، وجعل يقول:

يا من لا يزول ملكه أرحم من زال ملكه.

وكان رحمه الله، أبيض مشرّباً بحمرة، جميلاً، ربعة، حسن الجسم، قائم العين اليسرى، فيها نكتة بياض، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر؛ وكان عمره اثنين وثلاثين سنة، وقيل ستاً وثلاثين سنة.

وقوله (المقدم في الشعر)، المقدم ضد المؤخر، أي المبرز في الشعر.

وقوله (على الكأس) الكأس الإناء يُشرب فيه، وقيل ما دام الشراب فيه؛ والكأس أيضاً الخمر.

وقوله (معملاً) من أعمل فلان آلته ورأيه، إذا عمل به.

وقوله (أوتاره) جمع وتر، وهنا أوتار العود بقرنيه ان كان يضرب على العـــود.

(٧٠) إذ تولى بأمره مهج الخا دم عند اصطباحه وابتكاره

قوله (إذ) ظرف للزمان الماضي .

قوله (تولى بأمره) أي تقلده وقام به ؛ والأمر الشأن .

وقوله (مهج الخادم) .

مهـــج :

خادم الخليفة الواثق ، الذي كان يأنس به ويهواه ، وله فيه أشعار كثيرة حسنة.

وقوله (عند) بكسر العين ، هنا اسم لزمان الحضور ، ولا تقع الا ظرفاً أو مجرورة بمن .

وقوله (اصطباحه) أي عند شربه الصبوح ، والصبوح كل ماشرب غدوة.

وقوله (ابتكاره) من ابتكر على فلان إذا أتاه بكرة .

(٧١) واغتدى احمد النديم على شر ط بني الهوى ناشراً أخباره

قوله (واغتدى) بمعنى غدا أي ذهب غدوة وهو نقيض راح : هذا وربما استعمل بمعنى صار فرفع المبتدأ ونصب الخبر .

وقوله (احمد النديم) .

احمد النديم :

لعله ابو العباس ، احمد بن حمدون ، الذي كان متقرباً من (المتوكل) هو والفتح بن خاقان .

قال ابن النديم في كتابه الفهرست : احمد بن حمدون راوية ، اخباري روى عن العدوي ، وله من الكتب كتاب الندماء والجلساء .

وقوله (على شرط) الشرط الزام الشيء ، والتزامـــه في البيع ، ونحوه ، جمعه شروط .

وقوله (بني اللهو) اللهـــو ، ما لهوت به ، وشغلك من هوى وطرب ونحوهما . وقال في التعريفـــات : « اللهو وهو الشيء الذي يتلذذ به الانسان ، فيلهيه ثم ينقضي » .

وقال الطرطوسي : اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة .

وقوله : (ناشراً) إما أن يكون حالاً من اغتدى أو خبر اغتدى وهو اسم فاعل من نشر الخبر أي أذاعه .

وقوله : (أخباره) جمع خبر محركة ، والخبر ما يُنقل ويُتحدث به والضمير راجع إلى أحمد المذكور .

(٧٢) واثنى الفتـح يمتحي من أحاديـ ـث الهوى ممتعاته وقصاره[1]

قوله : (اثنى) أي انعطف والفتح :

الفتح بن خاقان :

هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوح ، كان شاعراً ، فصيحاً ، مفوّهاً ،

(١) الضمير راجع الى الهوى وكان المقدر ان يرجع الى احاديث وهي جمع مؤنث .

موصوفاً بالشجاعة، والكرم، والرياسة، والسؤدد، في نهاية الذكاء والفطنة، وحسن الأدب من أولاد الملوك، اتخذه المتوكل أخاً، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله، وكان لا يصبر عنه قدر ساعة؛ قدّمه، واستوزره، وأمّره على الشام وأمره أن يستنيب عنه.

وكان يلزم المادح أن يذكر الفتح عند ذكر الممدوح المتوكل.

والممدوح أخبار في الجود، والوفاء، والمكارم، والظرف؛ قتل هو والمتوكل معاً، في مجلس أنس سنة سبع وأربعين ومايتين هجرية.

وكانت له خزانة كتب، جمعها علي بن يحيى المنجم، ولم ير أعظم منها كثرة، وحسناً.

وكان يحضر داره فصحاء العرب وعلماء البصرة والكوفة؛ قال ابو هفان ثلاثة لم أرَ قط، ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم، منهم الجاحظ، والفتح ابن خاقان، واسماعيل بن إسحق القاضي.

فأما الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، كائناً ما كان حتى أنه كان يكتري دكاكين الورّاقين، ويثبت فيها للنظر.

والفتح بن خاقان، كان يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام، لحاجة أخرج كتابه من كمه أو جيبه وقرأه في مجلس المتوكل إلى عوده، حتى في الخلاء. وأما اسماعيل بن إسحق فإني ما دخلت إليه إلا ورأيته ينظر في كتاب أو يقلب كتباً أو ينفضها.

وللفتح من التصانيف: كتاب البستان؛ (قال ابن النديم في الفهرست الجزء الأول ص ١١٧ منسوب إليه، والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبدربه ويلقب برأس البغل). وكتاب اختلاف الملوك. وكتاب الصيد والجارح. وكتاب الروضة والزهر.

ومن شعر الفتح رحمه الله:

وإني وإياها لكالخمر والفتى ... متى يستطع منها الزيادة يزدد
إذا إزددت منها ازددت وجداً بقربها ... فكيف احتراسي من هوى متجدد

وقوله أيضاً:

أيها العاشق المعذب صبراً ... فخطايا أخي الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب ... من غزاة وحجة مبروره

ومن مستحسن كلامه الذي سرقت معناه الشعراء، ما قاله لابن حمدون: «يا أبا عبدالله إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما دخلت منزلي، استقبلتني فلانة، يعني جاريته، فلم أتمالك أن قبلتها، فوجدت ما بين شفتيها هواء، لو رقد المخمور فيه لصحا».

قوله: (ينتحي) من انتحى في الأمر انتحاء جدّ.

وقوله: (من أحاديث) جمع حديث وهو الجديد، والخبر يأتي على القليل والكثير.

وقوله : (الهوى) مصدر هَوِيَ ، وهو العشق يكون فيه الخير والشر ، والهوى أيضاً ارادة النفس .

وقوله : (وقصاره) جمع قصير ، والقصير خلاف الطويل ، والضمير راجع إلى أحاديث الهوى.

(٧٣) فتنتـــه فريدة وعلى قـــد ر الهـوى يخلع المحب وقاره

قوله : (فتنته) أي أعجبته واستمالته وولهته ، والمفتون هو الواثق .

وقوله : (فريدة) :

فريدة :

هي جارية الواثق ، أهداها له عمرو بن بانه ، كانت من الموصوفات المحسنات حسنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادة الفطنة والفهم ، لها تقدم على المغنيات من حيث الإجادة وأحكام الغناء ، ولها لحن مختار من المائة الصوت التي اختارها إسحـــق للواثق ، ومن غريب ما ثبت عنها مما يدل على وفائها ، أنه لما تزوجها المتوكل بعد الواثق أرادها على الغناء ، فأبت أن تغني وفاء للواثق ، فأقام على رأسها خادماً ، وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغني ، فاندفعت وغنت :

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغـــادي

ثم ضربت بالعود الأرض ، ثم رمت بنفسها عن السرير ، ومرت تعـــدو وهي تصيح : وا سيداه .

قوله : (وعلى قَدرْ) القدر مبلغ الشيء .

وقوله : (الهوى) أي العشق .

وقوله : (يخلع) أي ينزع ، لأن الخلع كالنزع إلا أن في الخلع مهلة .

وقوله : (المحب وقاره) الوقار بالفتح الرزانة ، والحلم ، والعظمة .

(٧٤) وأبو الفضل كان يغدو الى الرا ح مبيـــداً لجينـــه ونضاره

قوله :

ابو الفضل :

هو جعفر بن محمد المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ، بويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق ، وذلك في ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومايتين هجرية ، وقتل سنة سبع وأربعين ومايتين ، وكان أسمر ، مليح العينين ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، ولما استخلف ، أظهر السنة ، وتكلم في مجلسه ، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة ، واظها السنّة ، وبسط أهلها ونصرهم .

وقال ابراهيم [1] بن محمد التميمي ، قاضي البصرة : الخلفاء ثلاثة : ابو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه ، قاتل أهل الردّة حتى استجابوا ، وعمرو بن عبدالعزيز ردّ مظالم بني أمية ، والمتوكل محا البدع وأظهر السنّة .

وقال يزيد [2] المهلبي : قال المتوكل يوماً : يا مهلبي إن الخلفاء كانت تغضب على

(١) ابراهيم بن محمد التميمي : من الفقهاء المشهود له بسعة الاطلاع تولى قضاء البصرة .

(٢) يزيد المهلبي : من الامراء المرموقين والمقربين من المتوكل .

الرعية لتطيعها ، وأنا ألين لهم ليحبوني ، ويطيعوني ، وكان جواداً ، ممدّحا ؛ يقال ما اعطى خليفة ، ما أعطى المتوكل ، وبايع لولاية العهد لولده المنتصر ، ثم أراد عزله ، وتولية أخيه المعتز لمحبته لأمه ؛ وكان يتهدده ، ويشتمه ، ويحط منزلته ، لأنه سأله النزول فأبى ، واتفق ان الترك انحرفوا على المتوكل لأنه صادر وصيفاً وبُغا ، فاتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه ، فدخلوا عليه في مجلس لهوه فقتلوه .

وقيل كان له أربعة آلاف سرية ، وطأ الجميع . دخل دمشق ، وعزم على المقام بها ، لأنها أعجبته ونقل دواوين الملك اليها ، وأمر بالبناء بها ، فغلت الأسعار ، وحال الثلج بين السابلة والميرة ، فأقام بها شهرين وأياماً ، ثم رحل الى سامرا ، وكان قد بنى بأرض داريا[1] قصراً عظيماً ، ووقعت محبته في قلبه بالموافقة .

وكان المتوكل قد أمر في سنة ست وثلاثين هجرية ، بهدم قبر الحسين رضي الله عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وان يعمل مزارع ، ويحرث ومنع الناس عن زيارته ، ويبقي صحراء ، وكان معروفاً بالنصب ، فتألم منهم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وهجاه الشعراء دعبل وغيره ، وفي ذلك يقول يعقوب بن السكيت وقيل هي للبسامي :

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتلَ ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا[2] شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

(١) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة .
(٢) كذا ، ونرجح ان تكون « لم يكونوا » .

وقوله (كان يغدو) أي يذهب غدوة ، وهو نقيض راح ، هذا أصله ثم كثر استعماله في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان .

وقوله (الى الراح) أي الخمر .

وقوله (مبيداً) من اباد أي أهلك .

وقوله (لجينه) أي اللجين مصغراً الفضة ، ولا مكبر له .

وقوله (ونضاره) النضار الذهب والفضة وقد غلب على الذهب ، والنضار الجوهو الخالص من التبر ، والضمير بها راجع للمتوكل .

(٧٥) حيث كان الكشحي يأخذ عرض الـ ... ـقول فيما أحبه واختاره

قوله (حيث) ظرف مكان مبني على الضم وترد للزمان .

وقوله (كان) هنا ناقصة تدخل على المبتدأ والخبر ، فترفع المبتدأ وتنصب الخبر

قال الجوهري : (كان) إذا جعلته عبارة عما مضي من الزمان احتاج الى خبر ، لأنه دلّ على الزمان فقط ، وإذا جعلته عبارة عن حدوث الشيء ووقوعه استغنى عن الخبر ، لأنه دلّ على معنى وزمان ، تقول كان الأمر ، وأنا أعرفه مذ كان ، أي مذ خلق .

قوله : (الكشحي) :

الكشحي :

هو أبو بحر ، كان من أطيب الناس ، وأكثرهم نوادر ، وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه ولا يكون له مجلس إلا به .

(٧٦) وزُنام بالدُّف يعزِف طوراً وبنان بالعود يضرب تارة

قوله (زنام)

زنـام :

أحد الزامرين المشهورين ، كما في صهاريج اللؤلؤ للسيد البكرى[1] ، وجاء في الموارد للشرتوني : « زنام زمّار حاذق » .

وورد في المخلاة[2] : قال زنام الزامر : قال لي المتوكل تأهب معي الى الشام، فقلت يا أمير المؤمنين : الناي في يدي والريح في فمي فاعزم وتوكل .

واليه ينسب الزلامي ، وهو نوع من المزمار ، وهو شكل القصبة ؛ منحوته الجانبين من الخشب، جوفاء من غير تدوير، لأجل ائتلامها من قطعتين منفردتين، كذلك بأبخاش معدودة ، ينفخ فيها بقصبة صغيرة ، توصل ، فينفذ النفخ بواسطتها اليها ، وتصوّت بنغمة حادة ، يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الأبخاش بالأصابع ، مثل مايجري في الشبابة .

والزلامي تصحيف الزنامي نسبة الى زنام المذكور ، وكان زنام يضرب به المثل ، في حسن صناعته .

---

(١) السيد البكري : هو محمد توفيق البكري نقيب السادة الاشراف وشيخ المشايخ الصوفية في مصر ، كان شاعراً أديباً ألف كتاب صهاريج اللؤلؤ .

(٢) المخلاة : كتاب أدب ألفه وجمعه محمد بهاء الدين العاملي واتبعه بكتاب الكشكول .

قال الشريشي : (زنام هو الذي استنبط الناي ، وهو المزمار ، الذي تدعوه عامتنا في المغرب الزلامي ، صحفوه بابدال نونه لاما ؛ وإنما هو زنامي) .

وقوله (بالدّف) بالضم وقد يفتح ، آلة طرب يضرب بها ، والكبير المدور يقال له المزهر ، والجمع دفوف .

وقوله (يعزف) العزف صوت الدف ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه (إنه مرّ بعزف دف ، فقال ما هذا ، فقالوا ختان فسكت).

وقوله (طوراً) أي تارة . وقوله (بنان) :

بنـان :

هو بنان بن عمرو ، كان مغنياً ، يضرب بالعود ، وله أخبار مـع المنتصر ، والمعتز ، ولم نطلع له على أخبار مع المتوكل ؛ إنما اطلعنا على أخبار لبنان الشاعرة مغنية محمد بن حماد مع المتوكل ، وهي :

قال صاحب الأغاني : أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني يحيى بن علي المنجم ، قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي ، قال : حدثتني بنان الشاعرة : أنّ المتوكل اتكأ على يدها ويد فضل الشاعرة وجعل يمشي بينهما ، ثم قال اجيزا لي قـول الشاعر :

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبها وعلّمها حبي لها كيف تغضب

فقالت له فضل :

تصُدّ وأدنو بالمـــودة جاهداً وتبعد عني بالوصال وأقرب

فقالت بنان :

وعندي لها العتبى على كل حالة فامنه لى بدٌّ ولا عنه مذهب

ولعل الشاعر ابن النقيب رحمـــه الله قصد بنان الشاعرة لا بنان بن عمرو وحينئذ يتحتم بان يكون بدلاً من يضرب ، تضرب .

وقوله (بالعود) هو ذو الأوتار الذي يضرب به ، وهو معروف ومن أطرب آلات الغناء ، قال صاحب (حلبة الكميت[1]) .

« وأما الآلات التي اتخذت للغناء ، فكثيرة ؛ وأنواعها عند أرباب الفنون شهيرة ، والعود أجلها خطراً ، وأوقعها في القلوب أثراً ، وقال ما قدّم أحدٌ من الأمم الماضية ، شيئاً على العـــود من أنواع الملاهي ، لما جمع من الفضائل ، التي استبدّ بها وقصر سواه عن لحاقها ؛ والحاذق به في الغناء ، مقدم على كل حاذق .

قالوذكر أن عبد الملك بن مروان أتي في الليل بشابٍ ثمل ومعه عود ، فقال له ما هذا ؟ وكان عنده قوم ، ولأي شيء يصلح ؟ وما يصنع به ؟ فسكت جلساؤه .

فقال عبد الله بن مسعدة الفزاري : هذا عود تؤخـــذ خشبة ، فتشقق ، وترقق ، وتلصق ، ثم يعلق عليه هذه الأوتار ، وتحركها الجارية الحسناء ، فينطق

(١) صاحب حلبة الكميت هو شمس الدين محمد بن الحسن النواجي .

أحسن من وقع القطر ؛ في البلد القفر ، وامرأتي (كذا) إن لم يكن كل من في هذا المجلس يعلم منه مثل ما علمت ، وأولهم أنت يا أمير المؤمنين ، فضحك عبد الملك وأمر باطلاق الشاب .

وقوله (يضرب تارة) تقدم معناها .

(٧٧) ويغني عمرو بن بانـة والطبـ ـل عليه سليمان يبدي اقتداره

قوله (ويغني) تقدم معنى الغناء غير مرة .

وقوله (عمرو بن بانة) :

عمرو بن بانة :

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، مولى يوسف بن عمر الثقفي ؛ وكان ابوه صاحب ديوان ، ووجهاً من وجوه الكتاب ، ونسب الى أمه بانة أبنة روح القحطبة .

كان مغنياً محسناً ، وشاعراً صالح الشعر ؛ وكتابه الذي يسمى (كتاب مجرد الأغاني) ، أصل من الأصول .

وهو معدود من ندماء الخلفاء ، ومغنيهم على ما كان به من الوضح ، وكان خصيصاً بالمتوكل ، أنيساً به ؛ وله صنعة في الغناء ، وعاش الى أيام المعتضد ، وكان منزله ببغـــداد ، وكان تارة يمضي الى سرّ من رأى وتوفي سنة ثمـــان وسبعين ومايتين هجرية .

وقوله (والطبل) هو الذي يضرب به ، ويكون ذا وجه ، وذا وجهين جمعه أطبال وطبول .

وسليمان :

طبّال ماهر ، كان يتردد على المتوكل مع المغني عمرو بن بانة .

قوله (يبدي) يظهر . و(اقتداره) من اقتدر فلان على فلان قوي عليه وتمكن منه ، والضمير راجع الى سلمان .

(٧٨) وأبو جعفر أزال اغتناماً مَعْ يزيد المهلبي استتاره

ابو جعفر :

هو المنتصر محمد بن المتوكل ، وكنيته ابو جعفر ، بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه ، سنة سبع وأربعين ومايتين هجرية ، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومايتين ، وكان عظيم الحلم ، راجح العقل ، غزير المصروف ، راغباً في الخير ، جواداً ، كثير الإنصاف ، حسن العشرة ، وأمر الناس بزيارة قبر علي والحسين عليهما السلام ، وآمنَ العلويين ، وكانوا خائفين أيام أبيه ، وأطلق وقوفهم [1] وأمر برد (فدك[2]) الى ولد الحسين والحسن ابني علي عليهم السلام .

(١) جمع وقف .

(٢) قرية في الحجاز كانت من أوقاف النبي (ص) لآل البيت انتزعت منهم مراراً واعيدت وتلفظ بفتح الفاء والدال .

ومن كلامه « والله ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه ولا ذلّ ذو حق ولو اتفق العالم عليه » .

وكان حسن العلم بالغناء ، فلما ولي الخلافة قطع ذلك .

ومن شعره الذي غُني فيه :

متى ترفع الايام من قد وضعته وينقاد لي دهرٌ علي جموح
أعلل نفسي بالرجاء وانني لأغدو علي ماساءني وأروح

وقوله (يزيد المهلبي) :

يزيد المهلبي :

هو يزيد بن محمد المهلبي الشاعر ، صاحب كتاب المهلب ، وأخباره ، وأخبار ولده .

كان أخص الناس بالمنتصر ، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل ، فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة ، فسمع كلامه فاستحسنه ، فأخذه اليه ، وجعله في جلسائه .

وكان المنتصر يريد منه أنْ يلازمه ، كما كان فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه ، فعتب عليه لتأخره عنه ، على ثقة بمودةٍ وأنس به . فلما أفضت اليه الخلافة ، أستأذن عليه ، فحجبه ، وأمر بأن يعتقل في الدار ، فحبسه اكثر يومه ، ثم أذن له ، فدخل

وسلم وقبّل الأرض بين يديه ثم قبل يده ، فأمره بالجلوس ، ثم التفت الى بنان بن عمرو وقال : غنّ : وكان العود في يده .

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن ورمت بديلاً بي ولم أتبدل

والشعر للمنتصر فغنّاه بنان ، وعلم يزيد أنه أراده بذلك ؛ فقام وقال : والله ما اخترت خدمةً غير لك ، ولا صرت اليها الا بعد إذنك .

فقال المنتصر صدقت ، إنما قلت هذا مازحاً . اتراني أتجاوز بك حكم الله عز وجل إذ يقول « وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيما » . ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده قصيدة مدحه بها أولها :

ألا يا قوم قد برح الجفاء وبان الصبر مني والعزاء

فقال له المنتصر : والله إنك لمن ذوي ثقتي ، وموضع اختياري ، ولك عندي الزلفى ، فطب نفساً ، ووصله بثلاثة آلاف دينار .

(٧٩) وغدا المستعين يحرق للند مان بالمنّ ندّه وصواره

قوله (غدا) سبق تفسيرها

وقوله (المستعين) :

المستعين :

هو أحمد بن محمد بن المعتصم ويكنى ابا العباس ، بويع له بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومايتين هجرية ، وقتل في السنة نفسها ، وله لما خلع :

أستعين الله في امـ ـري على كل العباد

وبـــه أدفع عني كيد باغ ومعادي

وفي خلعه يقول بعض الشعراء :

خلع الخليفة أحمد بن محمد وسيقتل التالي له أو يخلع

ويزيل ملك بني أبيه ولا ترى أحـــداً بملك منهم يتمتع

إيهاً بني العباس إن سبيلكم في قتل أعبدكم سبيل مهيع

رقعتمُ دنيـــاكمُ فتمزقت بـــكمُ الحياه تمزقاً لا يرقع

وكان يلثغ بالسين يجعلها ثاءً ، وكان لطيف الأخلاق ، مسرفاً مبذراً .

وقوله (المن) كيل ، أو ميزان ، أو رطلان .

وقوله (نده وصواره) الند بالفتح عود يتبخر به ، وقيل العنبر والصُوار بالضم ويكسر القليل من المسك .

(٨٠) ثم هام المعتز بابن بغـــاء عندما شام وجهه وعذاره

قوله (ثم) حرف عطف يدل على الترتيب والتراخي .

وقوله (هام) يقال هام بها يهيم وهيوماً وهياماً وهياناً وتهياما أي أحبها ؛ وهام على وجهه من العشق أو غيره لا يدري أين يتوجه .

وقـــوله :

المعتز :

هو أمير المؤمنين ، محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم ؛ ولد سنة أثنتين

وثلاثين ومايتين هجرية ، وبويع له بالخلافة سنة أثنتين وخمسين ومايتين ، وهو ابن تسع عشرة سنة ، وقيل ابن سبع عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ، وخلع سنة خمس وخمسين ومايتين ، ومات في السنة نفسها ، وكان أبيض ، جميل الوجه ، على خده الأيسر خال أسود ؛ وأمه رومية .

قال الزبير بن بكار ، دخلت على المعتز ، فقال لي : يا أبا عبد الله قد قلت أبياتاً في مرضي هذا ، وقد أعيا على إجازة بعضها وأنشدني :

إني عرفت علاج القلب من وجعي ... وما عرفت علاج الحب والهلعِ
جزعت للحب ، والحمى صبرت لها ... فليس يشغلني عن حبكم وجعي
وما أملُّ مبيتي ليلتي أبداً ... مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

وله صنعة في الغناء ، فمما ذكر أنه غُنِّيَ فيه :

لعمري لقد أصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمصعب
فمن يك منا يبتْ آمناً ... ومن يك من غيرنا يهرب

وله أشعار رقيقة نذكر بعضها في أخبار ابن بغاء الآتي ذكره .

وقوله :

ابن بغاء :

هو يونس بن بغاء ، كان المعتز يحبه حباً شديداً ، قيل ما رؤي قط وجهان

اجتمعا أحسن من وجه المعتز وابن بغاء ، وقيل كان المعتز يشرب على بستان مملوء من النمام ، وبين النمام شقائق النعمان ، فدخل عليه يونس بن بغاء ، وعليه قباء أخضر فقال المعتز :

شبهت حمرة خده في ثوبه ... بشقائق النعمان في النمام

ثم قال : اجيزوا ، فابتدر بنان المغني ، فقال :

والقد منه إذ بدا في قرطق ... كالغصن في لين وحسن قوام

فقال له المعتز : فغن فيه الآن ، فعمل فيه لحناً .

وأخبار ابن بغاء مع المعتز كثيرة ، نكتفي بما أوردناه .

وقوله (عندما شام) أي حينما نظر .

وقوله (وجهه وعذاره) العذار ، جانب اللحية أي الشعر الذي يحاذي الأذن ، وبينه وبين الأذن بياض ، وهو من الوجه ، ما ينبت عليه الشعر المستطيل المحاذي لشحمة الأذن الى أصل اللحى .

(٨١) وانثنى ابن القصّار طوراً يغنيه ... بطنبوره فيوقد ناره

قوله (انثنى) أي انعطف وقوله :

ابن القصار :

هو أبو الفضل بن برد الخيار ، سليمان بن علي ، كان مع أبيه قصّار وتعلم الغناء فبرع فيه ، وكان من أشهر الطنبوريين .

وذكره جحظة في كتاب الطنبوريين، ومدح صنعته، وقال : ما احسن فيه قوله:

أرقت لبرقٍ لاح في فحمة الدجى فاذكرني الأحباب والمنزل الرحبا

ومما أحسن فيه قوله :

تعالَ نجدد عهد الصبا ونصفح للحب عما مضي

وله أخبار مع المعتز وابن بغاء .

وقوله (طوراً) أي تارة ؛

وقوله (يغنيه بطنبوره) . الطنبور والطنابر ، من آلات الطرب ، ذو عنق طويل ، وستة أوتار من نحاس ، معرب جمعه طنابير .

(٨٢) وبدا المهتدي فكان اصطناع الـ ـعرف والجود سمته وشعاره

قوله (وبدا) أي ظهر ؛ وقوله :

المهتدي :

هو أمير المؤمنين محمد الواثق بن المعتصم بن الرشيد ، الخليفة الصالح المهتدي، ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومايتين وبويع له بالخلافة سنة خمس وخمسين ومايتين ، وله من العمر بضع وثلاثون سنة ، وخلع سنة ست وخمسين ومايتين ، ومات في السنة نفسها .

كان أسمر ، رقيقاً ، مليح الوجه ، ورعاً ، متعبداً ، عادلاً ، قوياً في أمر الله ، بطلاً شجاعاً ، لكنه لم يجد ناصراً ، ولا معيناً على الخير ، وكان يلبس في الليل جبة صوف ، وكساء ، ويصلي فيهما ، ويفطر في رمضان من خبز وملح وزيت وخل .

ويقول : فكرت أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز ، وكان من التقلل والتقشف على ما بلغنا . فغرتُ على بني هاشم ، وأخذت نفسي بذلك .

وكان قد طرح الملاهي ، وحرّم الغناء ، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم ، وكان شديداً على الدواوين ، وجلس يوماً للمظالم ، فاستعدى رجل على ابن له ، فأحضره وحكم عليه ورد الحق للرجل ، فقال الرجل : أنت والله يا أمير المؤمنين كما قال الأعشى :

حكمتموه فقضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر

لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر

فقال المهتدي : أما أنت فجزاك الله خيراً ؟ وأما أنا ، فإني والله ما جلست ، حتى قرأت قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين) .

وقوله (فكان اصطناع العُرف) أي اتخاذ العرف ، والعرف بالضم المعروف.

وقوله (الجود) من جاد جوداً أي تكرم .

وقوله (سمته) أي طريقه ومحجته .

وقوله (شعاره) ، الشعار ما تحت الدثار من اللباس ، وهو ما يلي شعر الجسد ، وهو هنا من المجاز .

(٨٣) وأناخ ابن جعفر في مدار الـ عزف والقصف نافياً اكداره

قوله (أناخ) أي أقام ، وقوله :

ابن جعفر :

هو أمير المؤمنين المعتمد على الله ، احمد بن جعفر المتوكل ، المعروف بابن فتيان ، والمكنى بأبي العباس ، بويع له بالخلافة ، بعد خلع المهتدي سنة ست وخمسين ومايتين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومايتين ، وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر .

كان في خلافته محكوماً عليه ، قد تحكم عليه أخوه أبو احمد الموفق ، وضيق عليه حتى أنه احتاج في بعض الأوقات الى ثلاث ماية دينار ، فلم يجدها ذلك الوقت ، فقال :

أليس من العجائب أنّ مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
اليه تحمل الأموال طرّاً ويمنع بعض ما يجبى إليه

وكان أول من انتقل من الخلفاء من سُرّ من رأي[1] ، منذ بُنيت ، ثم لم يعد إليها أحد منهم .

قال صاحب الأغاني : حدثني جحظة[2] ، قال كنت عند المعتمد يوماً ، فغنته شادية بشعر مولاها ابراهيم بن المهدي ولحنه :

(١) سرّ من رأى مدينة استحدثها الخليفة المعتصم وهي بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة
(٢) جحظة : وردت ترجمته .

يا طولَ عـلة قلبيَ المعتادِ ألف الكرام وصحبة الأمجاد

فقال لها : أحسنت والله ، فقالت : هذا غنائي وانا عارية ، فكيف لو كنت كاسية !. فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصة تحمل اليها .

وقوله (في مدار العزف والقصف) مدار الأمر ما يجري عليه غالباً ، والعزف صوت الدف ، والقصف اللهو واللعب وقيل إنها مولدة .

(٨٤) ومناه في الشدو شعر عريب كلما اعتاده الهوى واستثاره

قوله (مناه) أي قصده . والشدو من شدا الشعر شدواً غنى به ، وقوله :

عريب :

مغنية من ارقى مغنيات الخلافاء ، وسبق الكلام عنها في البيت (٦٧) ومن أخبارها مع المعتمد ما ورد في الأغاني . أنها غنت المعتمد يوم فطر :

طالت عليّ ليالي الصوم واتصلت حتى لقد خلتها زادت على الأبد
شوقاً الى مجلس يزهى بصاحبه أعيذه بجلال الواحد الصمد

فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

وقوله : (كلما) كل اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر ، والمعرف المجموع ، واجزاء المفرد المعرف ، وقد تستعمل للتكثير ، والمبالغة ولا تستعمل الا مضافة لفظاً وتقديراً ، وتفيد التكرار بدخول ما المصدرية الظرفية عليها ، كما هي واقعة هنا .

وقوله (اعتاده) أي انتابه ؛

وقوله (الهوى) العشق ، و (استثاره) هاجه .

(٨٥) واحتسى درة الكروم أبو العبا س والدجن يستدر قطاره

قوله (احتسى درة الكروم) : أحتسي شرب ، ودرة الكروم يعني بها الخمر.

وقـــوله :

ابو العباس :

هو امـــير المؤمنين ابو العباس ، المعتضد بالله ، أحمد بن الموفق ابي أحمد طلحة بن المتوكل :

ولد سنة اثنتين وأربعين ومايتين ، وبويع له بالخلافة ، سنة تسع وسبعين ومايتين ، بعد وفاة المعتمد ، وتوفي سنة تسع وثمانين ومايتين .

كان أسمر ، نحيف الجسم ، معتدل الخلق ، قد وخطه الشيب ، وكان شهماً ، شجاعاً ، مقداماً ، ذا عزم ، وكان فيه شح ، وكان عفيفاً .

حكى القاضي إسماعيل بن إسحق ، قـال : دخلت على المعتضد وعلى رأسه روم ، صباح الوجه ، فأطلقت النظر اليهم ، فلما قمت أمرني بالقعود ، فجلست ؛ فلما تفرق الناس ، قال يا قاضي : والله ما حللت سراويلي على غير حلال قط .

وكان مهيباً عند أصحابه ، يتقون سطوته ، ويكفون عن الظلم خوفاً منه .

وفي أيامه سكنت الفتن لعظمة هيبته ، وكان يُسمى السفّاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس ، وكانت أيامه طيبة ، كثيرة الأمن والرخاء ، وأسقط المكوس، ونشر العدل ، ورفع المظالم عن الرعية ، ومن شعره :

غلب الشوق اصطبـــاري لتبـــــاريح الفـراق
إنّ جسمي حيث مـا سر ت وقلبي بالعـــراق
أملك الأرض ولا أمـ ـلك رفـــع الاشتياق

روى صاحب الأغاني رحمه الله أن أحمد بن ابي العلاء المغني ، قال : غنيت المعتضد صوتاً في شعر له ثم اتبعته بشعر الوليد بن يزيد :

كللاني ، توجـــاني وبشعري غنيـــاني

فقال أحسن والله، هكذا تقول الملوك المترفون، وهكذا يطربون، وبمثل هذا يشيرون ، واليه يرتاحون ، احسنت يا أحمد الأختيار ، لما شاكل الحال ، وأحسنت الغناء ، أعدْ ، فأعدته . فأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وشرب رطلا ، ثم استعاده ست مرات ، وشرب ستة أرطال ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم .

وقوله (والدجن) هو الباس الغيم الأرض وأقطار السماء ، والدجن أيضاً المطر الكثير .

وقوله (ليستدر) أي يستحلب .

وقوله (قُطار) بالضم السحاب العظيم القطر .

(٨٦) نادمته أبناء حمدون واستهـ ـواه بدرٌ حين اجتلى ابداره

قوله (نادمته) من نادمه على الشراب منادمة و نِدما جالسه عليه .

وقـــوله :

ابناء حمدون :

جماعة نادموا الخلفاء ، وأول من نادم الخلفاء منهم ، حمدون بن اسماعيل كما في الفهرست لابن النديم ، وورد في الأغاني أن ممن بدّل الأغاني القديمة جماعة منهم ، بنو حمدون .

وقوله (واستهواه) أي ذهب بهواه وعقله .

وقوله :

بدر :

هو غلام المعتضد ، ويقال له بدر المعتضدي ، ويكنى أبا النجم ، قتله المكتفي سنة تسع وثمانين ومايتين في خبر يطول شرحه ، مذكور في الكامل لابن الأثير في حوادث سنة تسع وثمانين ومايتين هجرية :

وقوله (حين) بالكسر ، وقت مبهم ، يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر ، ربما أدخلو عليه التاء ، قال أبو وجزة السعدي :

العاطفون تحين[1] ما من عاطف والمطعمون زمان أين المطعم

(١) قال بعض المحققين في التاء الداخلة على « حين » انها مقطوعة من « لات » وليست هنا زائدة . والاصل لات حين عاطف ، فحذف لا وزاد ما النافية ، كما في البيت ، عوضاً عن لا المحذوفة ثم زاد « من » لتأكيد النص .

جمعه أحيان وأحيايين .

وقوله (أجتلى) أي نظر .

وقوله : (إبداره) من أبدر الرجل ، أي طلع عليه البدر .

(٨٧) ورذاذ موقِـــــع بغنـــاء ليس يخلو من صنعة مختاره

قـــوله :

رذاذ :

مغن ، لم نقف على شيء من أخباره ، إلا ما رواه صاحب الأغاني ، رحمه الله تعالى من أنه فتن الناس بلحن صنعه في هذين البيتين :

فلو كان للشكر شخص يبين إذا ما تـــأمله النـــاظر
لمثلتـــــه لك حـــتى تراه لتعـــلم أني امرؤٌ شـاكر

وقوله (موقِع بغناء) يقال وقع الكاتب في الكتاب أي أجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ، وحذف الفضول ، ولا بأس باستعمالها هنا .

وقوله (ليس يخلو من صنعة مختاره) لا حـــاجة للتطويل في تفسير هذه الكلمات لظهور معناها .

(٨٨) وغدا المكتفيُّ يمرح والصو لِيُّ يروي مُحاضِراً أشعاره

قوله (وغدا) سبق تفسيرها غير مرة .

وقـــوله :

المكتفي :

هو أمير المؤمنين ، ابو محمد المكتفي بالله ، علي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل ؛ ولد سنة أربع وستين ومايتين ، وبويع له بالخلافة عند موت والده سنة تسع وثمانين ومايتين ، وتوفي سنة خمس وتسعين ومايتين .

كانت أيامه ست سنين ونصفاً ، ومات شاباً ، وكان معتدل القامة ، دريء اللون ، أسود الشعر ، حسن الوجه .

خلّف بعد موته ماية ألف ألف دينار عيناً وعقاراً وأواني بمثلها ، وثلاثة وستين الف ثوب ، وكان يلقب المترف ، لنعمة جسمه ، وكان نقش خاتمه ، اعتمادي على الذي خلقني .

ومن شعره :

من لي بأنْ تعلم ما ألقى ... فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لي عبداً وحبي له ... صيّرني عبداً له حقا
أعتق من رقّ[1] ولكنني ... من حبه لا آمن العتقا[2]

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

(١) الرّق : العبودية .
(٢) العتق : الإخراج من العبودية .

تلطفْ في رسولك يا أمير ... فاني من رسولك في غرورِ
أحمّلُه رسالاتي فينسى ... ويبلغك القليل من الكثير
وأرسل من اذا لحظته عيني ... حكى لي طرفه ما في ضميري
إذا كان الرسول كذا بليدا ... تقطّعتِ الجوانحُ في الصدور

وفي المكتفي هذا يقول ابن المعتز رحمه الله :

قاسيت بين جمالهـــا وفعالها ... فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي
والله لا كلمتها ولو انهـــا ... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

وقوله (يمرح) من مرح الرجل مرحا : اشتد فرحه ونشاطه ، حتى جاوز القدر ، وتبختر واختال ، ومنه « لاتمش في الأرض مرحا » فهو مَرِح .

وقـــوله :

الصولى :

هو ابو بكر محمـــد بن يحيى بن العبـــاس الصولي ، كان أحد الأدباء الفضلاء المشـاهـــير ، روى عن ابي داود السجستاني[1] وثعلـــب[2] ،

(١) ابو داود السجستاني : سليمان بن الأشعث بن اسحق بن بشر الازدي احد حفاظ الحديث كان فى الدرجة العالية من النسك والصلاح جمع كتاب السنن وعرضه على الامام ابن حنبل فاستجاده .
(٢) ثعلب : هو ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ولاءً والمعروف بثعلب امام الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر مشهوراً بالحفظ ، ثقةً حجةً .

وابي العبـــاس المبرد[1] ، وغيرهم .

وروى عنه ابو العباس الدارقطني ، وابو عبد الله المرزباني . نادم الراضي وكان أولاً يعلمه ، ونادم المكتفي ، ثم المقتدر ، وكان أغلب فنون أخبار الناس ، وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة ، وكان حسن الإعتقاد ، جميل الطريقة ، مقبول القول ، وكان أوحد وقته في لعب الشطرنج . لم يكن في عصره مثله في معرفته ، حتى أن خلقاً كثيراً يعتقدون أن الصولي المذكور هـــو الذي وضع الشطرنج كما في ابن خلكان[2] .

وله من الكتب : كتاب الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء ولم يتمه ، والذي خرج منه أخبار الخلفاء بأسرها ، وأشعار أولاد الخلفـــاء ، وأيامهم من السفاح الى أيام ابن المعتز . أشعار من بقي من بني العباس ، ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه وأول ذلك عبد الله بن علي وآخر شعراء أبي احمد محمد بن أحمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عيسى بن المنصور ، ويتلو ذلك أشعار الطالبين ، ولد الحسن والحسين ، وولد العباس بن علي ، وولد عمر بن علي ، وولد جعفر بن ابي طالب ،

(١) المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الاكبر من بني ثمالة ، وُلد بالبصرة ثم رحل الى بغداد وانتهى اليه علم العربية بعد الجرمي والمازني ، وكان فصيحاً بليغاً وكتابه الكامل من اجلّ الكتب ويُعد من أمهاتها .

(٢) ابن خلكان احمد بن محمد بن ابراهيم البرمكي الاربلي ، مؤرخ حجة واديب بليغ ، ولاه الملك الظاهر قضاء الشام ، ألف وفيات الاعيان وهو من اشهر كتب التراجم ؛ توفي في دمشق ودفن في سفح قاسيون .

تلي ذلك أشعار ولد الحارث بن عبد المطلب ، وبعده أخبار ابن هرمة[1] ، ومختار شعره ، أخبار السيد الحميري[2] ومختار شعره ، أخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره ، أخبار سديف[3] ومختار شعره ، وهـــذا الكتاب عول عند تأليفه على كتاب المريدي في الشعر والشعراء . بل نقله نقلاً ، وانتحله .

كتاب الوزراء ، كتاب العبادة ، كتاب أدب الكاتب على الحقيقة ، كتاب تفضيل السنان ، عمله لأبي الحسن علي بن الفرات[4] ، كتاب الأطعمة ولم يتمه ، كتاب سؤال وجواب رمضان لأبي النجم ، كتاب رمضان ، كتاب الشامل في علم القرآن ولم يتمه ، كتاب مناقب علي بن الفرات ، كتاب أخبار أبي تمام[5] ، كتاب أخبار الجُبائي ابي سعيد ، كتاب العباس بن الأحنف[6] ومختار شعره ،

(١) ابن هرمة ابراهيم بن علي سلمة بن هرمة الكناني القرشي ، شاعر غزل من سكان المدينة ومن مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية . قال الاصمعي ختم الشعر بابن هرمة .

(٢) السيد الحميري : هو اسماعيل بن محمد بن يزيد الحميرى ، شاعر امامي متقدم الطبقة ، كان يتعصب لبني هاشم وأكثر شعره في مدحهم .

(٣) سديف بن اسماعيل بن ميمون مولى بني هاشم ، شاعر حجازي ، كان اعرابياً حالك السواد ، شديد التحريض على بني امية ، عاش الى زمن المنصور العباسي .

(٤) علي بن الفرات : وزير من الدهاة الفصحاء الادباء وهو ممهد الدولة للمقتدر العباسي .

(٥) ابو تمام : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، ولد في جاسم من قرى حوران بالشام كان احد امراء الشعر العربي الثلاثة ، استقدمه الخليفة المعتصم الى بغداد ، وقدّمه على شعراء وقته ، وله تصانيف كثيرة منها ديوان الحماسة ، وفحول الشعراء والوحشيات .

(٦) هو ابو الفضل العباس بن الاسود الحنفي ، شاعر غزل ، قصر شعره على التشبب والنسيب ، قال فيه البحتري هو اغزل الناس .

كتاب أخبار ابي عمرو بن العلاء ، كتاب الغرر ، كتاب الشطرنج النسخة الأولى، كتاب الشطرنج النسخة الثانية ، وله رحمه الله تعالى غير ذلك من الكتب .

وقيل إن الامام الراضي بالله أتى في بعض منتزهاته بستانا مونقاً ، وزهراً رائقا فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه ، هل رأيتم أحسن من هذا ؟ فكلٌ أثنى ، وذهب فيه الى مدحه والى وصف محاسنه ، وانها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا ؛ فقال الراضي : لعب الصولي بالشطرنج أحسن من هذا ، ومن كل ما تصفون .

قال ابن النديم[1] وعاش الصولي الى سنة ثلاثين و ثلاثماية ، وتوفي مستتراً بالبصرة لأنه روى خبراً في علي عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لتقتله .

وقوله (يروي) أي الصولي من روى الحديث روايةً أي حمله ونقله ، فهو راوٍ ، والجمع رواة وراوون .

وقوله (محاضراً أشعاره) من حاضر محاضرة وحضاراً أي جاثاه عند السلطان وهو كالمغالبة والمكاثرة ؛ وحاضره الجواب جاء به حاضراً :

(٨٩) وأبو الفضل كان يرتع من رو ق صباه في جـــدة ونضاره

قـــوله :

---

(١) ابن النديم : هو ابو الفرج محمد بن اسحق ، كان شيعياً معتزلاً ، واسع الاطـــلاع صادق التحري ألف كتاب الفهرست وهو من اقدم كتب التراجم وافضلها .

ابو الفضل :

هو ابو الفضل المقتدر بالله بن جعفر بن المعتضد ، ولد سنة اثنتين وثمانين ومايتين ؛ وأمه أم ولد يقال لها شغب .

بويع له بالخلافـــة بعد وفاة أخيه المكتفي بوصية منه سنة خمس وتسعين ومايتين : وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وخلع سنة ست وتسعين ومايتين ، وتولى مكانه ابن المعتز الآتي ذكره ، يوماً وليلة ، ثم أعيد المقتدر وقتل سنة عشرين وثلاثماية.

وقوله (كان يرتع) أي ينعم ويلهو .

وقوله (من روق صباه) أي أول صباه ورونقه .

وقوله (في جدة ونضارة) الجدة بالكسر ضد البلى ، والنضـارة من نضر الرجل نضارة اذا نعم وحسن .

(٩٠) حرق الند والكبا الرطب والعنـ ـبر مستمتعـــاً بـه وأثاره

قوله (حرق الند والكبا الرطب والعنبر) الند بالفتح عود يتبخر به والكبا بالكسر والند عـــود البخور ، وقيل ضرب منه ، وقصره للضرورة ، والعنبر طيب ، وهو مادة أصلية ، لا طعم لها ولا ريـــح إلا إذا سحقت أو أحرقت فإنه ينبعث منها رائحة ذكية .

قيل العنبر روث دابة بحرية ، أو نبع عين في البحر ، أو نبت ينبت في البحر بمنزلة الحشيش في البر يذكر ويؤنث .

قوله (مستمتعاً به) من استمتع بكذا انتفع به زماناً طويلاً واستمتع بماله عاش به هنيئاً وتلذذ به .

وقوله (أثاره) هاجه .

(٩١) وأقام الراضي يفرق ما بيـ ـن الندامى في كل وقت نثاره

قوله (أقام) تقول أقام بالمكان إقامة وقامة أي دام واتخذه وطنا .

وقـــوله :

الراضي :

هو أمير المؤمنين ، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ؛ واحد دهره في الأدب والشعر .

أخذ الأدب والعربية عن المـــبرد وثعلب ، وعن مؤدبه احمد بن سعيد الدمشقي ، مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومايتين ، وقيل في ربيع الآخر ؛ وفي سنة ست وتسعين ومايتين قامت الدولة ، ووثبوا على المقتدر ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال بشرط ان لا يقتل بسببي مسلم ؛ ولقبوه بالمرتضى بالله ، وقيل المنصف بالله ، وقيل الغالب بالله ، وقيل الراضي بالله .

أقام يوماً وليلة ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا واجتمعوا وتحاربوا هم وأعوان ابن المعتز ، وشتتوهم ، وأعادوا المقتدر الى دسته واختفى ابن المعتز في دار ابن الجصاص الجوهري ، فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ، وسلمه الى

أهله ، ملفوفاً في كساء ، وقيل مات حتف أنفه وليس بصحيح ، بل خنقه مؤنس ودفن بخرابة بازاء داره ، وقصته مشهورة ، فيها طول ، وهذا خلاصتها .

كان شديد السمرة ، مسنون[1] الوجه ، يخضب بالسواد ، وكان يقصد فصحاء الاعراب ، ويأخذ عنهم ، غزير الرواية وأمره أشهر من أن يستقصى .

ألف كتباً كثيرة : منها كتاب الجوارح والصيد . كتاب السرقات . كتاب أشعار الملوك . كتاب الآداب . كتاب حلي الأخبار . كتاب طبقات الشعراء . كتاب الجامع في الغناء . كتاب ارجوزته في ذم الصبوح .

وهو أول من صنف في صنعة الشعر ، ووضع كتاب البديع وهو أشعر بني هاشم على الاطلاق ، وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات ؛ وكان يقول إذا قلت كأن ، ولم آت بعدها بالتشبيه ، فضّ الله فمي .

حدّث المعافي بن زكرياء الجريري ، قال لما خلع المقتدر ، وبويع ابن المعتز ؛ دخلوا على شيخنا محمد بن جرير ؛ فقال ما الخبر ؟ فقيل له بويع المعتز ؛ قال فمن رشح للوزارة ؟ فقيل محمد بن داود ؛ قال فمن ذكر للقضاء ؟ فقيل الحسن المثنى ؛ فأطرق ؛ ثم قال هذا الأمر لا يتم .

قيل وكيف ؟ قال : كل واحد ممن سميتم متقدمٌ في معناه ، عليٌّ الرتبة ، والدنيا مولية ، والزمان مدبر ؛ وما أرى هذا الأمر الا لاضمحلال ، ومـــا أرى لمدته طولاً .

---

(١) مسنون الوجه : اي طويل الوجه وحسنه .

قال صاحب فوات الوفيات[1]: وكان ابن المعتز حنفي المذهب لقوله من أبيات:

فهات عقاراً في قميص زجاجة كياقوتةٍ في درة تتوقد
وقنيَ من نار الجحيم بنفسها وذلك من احسانها ليس يجحد

قال صاحب الأغاني[2] رحمه الله: وكان عبد الله ابن المعتز، حسن العلم بصناعة الموسيقى، والكلام على النغم، وعللها، وله في ذلك، وفي غيره من الآداب كتب مشهورة، ومراسلات جرت بينه وبين عبد الله بن طاهر وبين حمدون، وغيرهم، تدل على فضله، وغزارة علمه، وأدبه.

وقال: فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره:

هل ترجعن ليالٍ قدمضين لنا والدار جامعة أزمان أزمانا

وله غير ذلك.

وقال حدثني جعفر بن قدامة، قال: كنا عند ابن المعتز يوماً، وعنده (نشر[3])، وكان يحبها ويهيم بها، فخرجت علينا من صدر البستان، في زمن الربيع، وعليها غلالة معصفرة، وفي يديها جنابي باكورة، فقالت له: يا سيدي تلعب معي جُنَابيَ؟ فالتفت الينا، وقال على بديهته غير متوقف ولا مفكر:

(١) هو محمد بن شاكر بن احمد الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هجرية.
(٢) هو ابو الفرج الأصبهاني وردت ترجمته فليرجع اليها.
(٣) جارية معروفة بالدل والظرف.
(٢) الجُنابي والجنابا، لعبة للصبيان.

فديت من مرّ يمشي في معصفرة عشيةً فسقاني ثم حيّاني
وقال تلعب جنابي فقلت له من جاد بالوصل يلعب لم بهجران

وأمر فغني به.

وروي أن عبد الله بن المعتز، قال كانت خزامى، جارية الضبط المغني، تنادمني وأنا حدث، ثم تركت النبيذ[1]، وكانت مغنية محسنة، شاعرة ظريفة، فراسلتها مراراً، فتأخرت عني فكتبت اليها:

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبة فقد سمجت من بعد توبتك الخمر
فأهديت ورداً كي يذكر عيشة لمن لم يتعنا ببهجتها الدهر

فأجابت:

أتاني قريض يا أمير محبر حكى ليَ نظم الدر فصّل بالشذرِ
أأكرمت يا ابن الأكرمين انابتي وقدأفصحت لي ألسن الدهر بالزجر
وآذنني شرخ الشباب ببينه فياليت شعري بعد ذلك ما عذري

وله في غلام كان يحبه جَدَر:

لي قمر جَدَر لما استوى فزاده حسناً فزادت همومي
أظنه غنيّ لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

(١) النبيذ: النبيذ شراب من عصيرٍ ونحوه وفي التاج يقال (للخمر المعتصر من العنب نبيذ).

وأشعاره الجيدة ، أكثر من أنْ يحاط بهـــا ، فمن أراد الوقوف عليها ، فليطلّع على ديوانه .

وقوله : (يفرق) أي يبدد ويوزع وهو يعني ابن المعتز .

وقوله : (ما بين الندامى) ، الندامى جمع منادم .

وقوله : (في كل وقت تثاره) النثار بالكسر ، ما ينثر في العرس للحاضرين من الكعك والحبيص .

(٩٢) ربَّ كأس له بقيـة نشوا ن وفي حجرة الرخام أداره[1]

لا حاجة لايضاح كلمات هذا البيت ، لكنه لا يخلو من التصحيف على ما أرى.

(٩٣) ونعيم والاه في حجرة الأتـ ـرج والمـاء قد أثار بخـاره

قوله : (النعيم) معطوف على كأس ، والنعيم الخفض ، والدعة ، والمال .

وقوله : (والاه) هنا أي غنمه ، يعني ابن المعتز .

وقوله : (في حجرة الأترج) الحجرة بالضم ، الغرفة ؛ والأُتْرُجُّ ، ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ، ناعم الورق والحطب . ولعل حجرة الأُترج ، حجرة كانت لابن المعتز ، تسمى بهذا الاسم .

(١) ورد هذا البيت هنا مصحفاً ، وصحيحه هو كما ورد في مخطوطة ديوان ابن النقيب المصورة الموجودة في مكتبة المجمع العلمي كما يلي :

رب كأس له بقية « شا ذكلا » وفي حجرة الرخـــام اداره

و (شاذكلا) اسم موضع وكذلك « حجرة الرخام ».

وقوله : (والماء قد أثار) أي هاج .

وقوله : (بخاره) بخار الماء ، ما يرتفع منه كالدخان ، ولعل في البيت نكتة بقوله (والماء قد أثار بخاره) غابت عنا .

(٩٤) ليت شعري اين استقلَّ بنو بر مك من بعد ما تولوا الوزاره

قوله : (ليت شعري) سبق الكلام عليها .

وقوله : (اين) ظرف ، مبني على الفتح يسأل به عن المكان ، الذي حلَّ فيه الشيء .

وقوله : (أستقلّ) أي ذهب وارتحل .

وقوله :

بنو برمك :

هم اسرة فارسية ، أصلها من خراسان ، وجدُّهم برمك ، كان طبيباً ، ومتولياً سدانة البوبهار ببلخ ؛ وهو البيت الرابع من البيوت المعظمة ؛ قيل بناه منوجهر بمدينة بلخ على اسم القمر .

وكان من يلي سدانته ، تعظّمه الملوك في ذلك الصقع ، وتنقاد الى أمره ، وترجع الى حكمه ، وتحمل اليه الأموال ؛ وكانت عليه الوقوف .

كان الموكل بسدانته يدعى البرموك ، وهو سمة عامة ، لكل سدنته ، ذكر ذلك المسعودي ؛ وقال ومن أجل ذلك سميت البرامكة لأن خالد بن برمك ، كان من ولَدِ من كان على هذا البيت .

اتصل البرامكة هؤلاء ، بالدولة العباسية ، وولوا فيها الوزارة الى أيام هارون الرشيد ، وكان أول من وليها خالد بن برمك في دولة السفاح أول الخلفاء العباسيين.

كان خالد أيام المنصور موكلاً ببيت المال ، ثم صار والياً على الموصل ، وكان ابنه يحيى والياً على أذربيجان ، وأرمينية .

وفي أيام المهدي جعل يحيى وزيراً ومؤدباً لهارون الرشيد ، وبمشوراته ، ودرايته ، ولي الرشيدُ الخلافة ، فاستوزره الرشيد ، وعلت عنده منزلته ، وكان بيده أمر بيت المال .

اعتزل يحيى الحكم وجعل الوزارة متداولة بين ولديه ، الفضل ، وجعفر ، ثم اختص بها جعفر ، وولج أولاد يحيى الآخرين ، مناصب عالية في الدولة ؛ غير ان جعفراً ، هو الذي كان صاحب الشهرة ، والسيادة ، والأمر في أيام الرشيد ، لأن الرشيد ، كان يحبه حباً شديدا ، حتى صار بمنزلة أخيه .

قيل : (وان كان في القول نظر) ، كان لا يدخل معه الحرم غيره ، فينادمه هناك ، ويعاقر الخمر معه ، ولا يحجبه البتة ، حتى آل الأمر الى أن زوجه العباسة أخته ، لكي يحل له النظر اليها فقط ، دون ان يقربها ، وذلك لأن الرشيد ، كان لا يصبر عن أخته العباسة ، ولا عن جعفر ، فاحتاج أن يجعلها معاً في مجلسه ، ولم يكن له سبيل الى ذلك ، إلا بهذه الواسطة .

لم يزل آل برمك في عز وجاه ، وتقدم في الدولة ، وتصرف في أمورها ؛

الى أن نكبهم الرشيد ، تلك النكبة العظمى ، التي لم يخل من ذكرها ، كتاب من كتب التاريخ

أما سبب هذه النكبة ، فقد اختلف فيه ، والأصح ما قرره ابن خلدون[1] رحمه الله تعالى ، قال : وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة ، واحتجارهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد ، يطلب اليسير من المال ، فلا يصل اليه ، فغلبوه على أمره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف ، في أمور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ؛ وعمروا مراتب الدولة ، وخططها بالرؤوساء من ولدهم ، وصنائعهم ، واجتازوهم عمن سواهم من وزارة ، وكتابة ، وقيادة وحجابة ، وسيف وقلم .

يقال إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً ، بين صاحب سيف ، وصاحب قلم ؛ زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ، ودفعوهم عنها بالراح ، لمكان ابيهم يحيى ، من كفالته هارون ولي عهد ، وخليفة ، حتى شب في حجره ، ودرج من عشه ، وغلب على أمره .

وكان يدعوه يا أبت ، فتوجه الإيثار من السلطان اليهم ، وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال ، وسيرت الى خزائنهم ، في سبيل التزلف ، والإستمالة ، أموال

(١) ابن خلدون : هو ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد من ولد وائل بن حجر ، كان فيلسوفاً مؤرخاً ، وعالماً اجتماعياً ، وُلد في تونس وتُعد مقدمة تاريخه من أصول علم الاجتماع.

الجباية، وأفاضوا في رجال الشيعة، وعظماء القرابة، العطاء وطوّقوهم المنن، وكسبوا من بيوتات الأشراف المعدم، وفكوا العاني، ومُدحوا بما لم يمدح به خليفتهم.

وأسنوا لعفاتهم[1] الجوائز، والصلات، واستولوا على القرى، والضياع من الضواحي، والأمصار في سائر الممالك، حتى آسفوا[2] البطانة[3] واحقدوا[4] الخاصة، وأغصوا[5] أهل الولاية، فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد، ودبت إلى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة، أخوال جعفر، من أعظم الساعين عليهم، ولم تعطفهم، لما وقر في نفوسهم من الحسد، عواطف الرحم، ولا وزعتهم أواصر القربى، وقارن ذلك عند مخدومهم نواشيء الغيرة، والاستنكاف من الحجر، والأنفة، وكامن الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة[6] وانتهى بها الإصرار على شأنهم كبائر المخالفة، كقصتهم في يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب أخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور.

(١) العفاة: جمع عافٍ وهو كل طالب عرف.
(٢) آسف: أغضب.
(٣) البطانة: الحاشية.
(٤) أحقد: صيّره حاقداً.
(٥) أغصّ: جعله يغص.
(٦) الدالة: الجرأة بسبب صداقة أو وجاهة.

ويحيى هذا، هو الذي استنزله الفضل بن يحيى، من بلاد الديلم، على أمان الرشيد بخطه، وبذل لهم فيه ألفَ ألفٍ درهم على ما ذكره الطبري (وقد أطلقه جعفر، فكان ذلك أول أسباب تغير الرشيد عليه) حتى ثلّ[1] عرشهم، وألقيت عليهم سماؤهم، وخُسفت الأرض بهم، وبدارهم، وذهبت سلفاً، ومثلاً للآخرين أيامهم.

ومن تأمل أخبارهم، واستقصى سير الدولة، وسيرهم، وجد ذلك، محقق الأثر، ممهد الأسباب.

وانظر ما نقله ابن عبدربه[2] في مفاوضة الرشيد، عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم، وما ذكره في كتاب الشعراء من كتاب العقد في محاورة الأصمعي[3] للرشيد، وللفضل بن يحيى، في سمرهم، تتفهم أنهم إنما قتلتهم الغيرة، والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه.

وكذلك ما تحيّل به أعداؤهم من البطانة فيما دسّوه للمغنين من الشعر احتيالاً على إسماعه للرشيد، وتحريك حفائظه[4] لهم، حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيرته،

(١) ثلّ: هدم.
(٢) ابن عبد ربه: احمد بن محمد بن عبدربه، الأديب الإمام صاحب كتاب العقد الفريد الذي يُعد من أمهات الكتب، كان ابن عبدربه شاعراً بارعاً وله شعر كثير، وكان المتنبي يطلق عليه اسم مليح الأندلس.
(٣) الأصمعي: ابو سعيد عبدالملك بن قريب بن علي الباهلي، كان راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة ورواية الشعر، شهد له أئمة اللغة بعلو كعبه في رواية الشعر وتمكنه باللغة.
(٤) الحفائظ: جمع حفيظة الحقد والضغينة.

وسلطوا عليهم بأس انتقامه ، فنعوذ بالله من علية الرجال وسوء الحال .

قيل : وكان يحيى إذا دخل على الرشيد،قام له الغلمان ؛ فقال الرشيدلمسرور: مُر الغلمان، لا يقوموا ليحيى ، إذا دخل الدار ؛ فدخلها ، فلم يقوموا .فتغير لونه فكانوا بعد ذلك ، إذا رأوه أعرضوا عنه ، فلما رجع الرشيد من الحج ، ونزل العمر الذي عند الأنبار[1]، سلخ المحرم ، أرسل مسروراً الخادم ومعه جماعة من الجند إلى جعفر ليلاً ، وعنده ابن بختيشوع ، وأبو زكار المغني ، وهو في لهوه ، وأبو زكار يغني :

فلا تبعد فكل فتى سيأتي ... عليه الموت يطرق أو يغادي

وكل ذخيرة لا بدّ يوماً ... وإن كرمت تصير إلى نفاد

قال مسرور : « فقلت ايا أبا الفضل : الذي جئت له ، هو والله ذاك قد طرقك ، أجب أمير المؤمنين ؛ فوقع على رجلي يقبلها ، وقال حتى أدخل فأوصي ؛ فقلت : أما الدخول فلا سبيل اليه ، وأما الوصية ، فاصنع ما شئت ؛ فأوصى بما أراد ، وأعتق مما يملكه ، وأتتني رسل الرشيد ، تستحثني[2] ، فمضيت به اليه ، فأعلمته وهو في فراشه . فقال : أتتني برأسه ؛ فأتيت جعفراً فأخبرته ، فقال الله الله ، والله ما أمرك الا وهو سكران ، فدافع حتى أصبح ، أو راجعه فيّ ثانية ، فرجعت ، فحذفني بعمود كان في يده ، وقال : نفيت من المهدي ، إن لم تأتني برأسه

(١) الأنبار : مدينة قرب بلخ وهي على الجبل وبها كان مقام السلطان .

(٢) استحث : استعجل .

لأقتلنك . قال : فخرجت فقتلته ، وحملت رأسه اليه ، وأمر بتوجيه من أحاط بيحيى ، وولده ، وجميع أسبابه ، وحوّل الفضل بن يحيى ليلاً ، فحبس في بعض منازل الرشيد ، وحبس يحيى في منزله ؛ وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ، ومتاع ، وغير ذلك ، وأرسل من ليلته الى سائر البلاد في قبض أموالهم ، ووكلائهم ، ورفيقهم ، وأسبابهم ، وكل مالهم ، فلما اصبح ، أرسل جعفراً الى بغداد وأمر أن ينصب رأسه على جسر ، ويقطع بدنه قطعتين ، تنصب كل قطعة على جسر .

ولم يعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك وولده ، وأسبابه ، لأنه علم براءته مما دخل فيه أهله ، وقيل كان يسعى بهم .

حبس الرشيد يحيى وبنيه ، الفضل ، ومحمداً ، وموسى محبساً سهلاً ، ولم يفرق بينهم و بين عدة من خدمهم ، ولا ما يحتاجون اليه من جارية ، وغيرها ، ولم تزل حالهم سهلة ، حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح ؛ فعمهم بسخطه ، وجدد له ، ولهم التهمة ، فضيّق عليهم ، ومات يحيى وأولاده في السجن .

ومما يُروى أنه لما قتل جعفر ، قيل ليحيى ، قتل الرشيد ابنك ؛ قال: كذلك يُقتل ابنه ؛ قيل : وقد خرب ديارك ؛ قال : كذلك تخرب دياره ؛ فلما بلغ ذلك الرشيد ، قال : قد خفت أن يكون ما قاله ، لأنه ما قال شيئاً ، الا رأيت تأويله .

قيل : قال يحيى لما نكب : « الدنيا دول ، والمال عارية ، لنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عبرة . » .

كانت هذه النكبة العظمى ، سنة سبع وثمانين ومائة هجرية ، ومات يحيى

وأولاده ستة ثمان وثمانين ومائة ، وكانت مدة وزارتهم ، سبع عشر سنة ، وفيهم يقول بعض الشعر :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا ... وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا[1] قد أمنت من السُرى[2] ... وطيّ الفيافي فدفداً[3] بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ... ولم تظفري من بعده بمسوَّد
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي ... وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً ... أصيب بسيفِ هاشميٍّ مهنّد

وللرقاشي[4] بهم من أبيات : وقيل لسليمان الأعمى أخي مسلم بن الوليد :

هدا الخالون من شجوي فناموا ... وعيني لا يلائمها منامُ
وما سهرت لأني مستهام ... إذا أرق المحب المستهام
ولكنّ الحوادث أرقتني ... فلي سهر إذا هجد النيام
أصيبت بسادة كانوا نجوماً ... بهم نُسقى إذا انقطع الغمام
على المعروف والدنيا جميعاً ... لدولة آل برمك السلام
فلم أر قبل قتلك يا ابن يحيى ... حساماً فلّه السيف الحسام

(١) المطايا : جمع مطية وهي الدابة تمطو في سيرها .
(٢) السُرى : السير في الليل .
(٣) الفدفد : الصحراء .
(٤) هو الفضل بن عبدالصمد الرقاشي شاعر مجيد من اهل البصرة ، انقطع الى البرامكة ورثاهم بعد نكبتهم .

أما والله لولا خوف واشٍ ... وعينٌ للخليفة لا تنام
لطفنا حول جزعك[1] واستلمنا ... كما للناس بالحجر[2] استلام

ولولا الإطالة لأوردنا كثيراً من أقوال الشعراء مديحاً ، ورثاء . وآثارهم في الكرم ، أشهر من أن تذكر ، حتى ضرب بها المثل ، في الآفاق ، وجُعل اسمهم صفة لكل كريم جواد ، رثتهم الشعراء بقصائد ، تضيق دونها المجلدات ، وأسفت عليهم الناس مدة طويلة ، لأن أفضالهم كانت عامة عامرة ، حتى أن الرشيد ضجر من كثرة ما بكى عليهم الناس ، ووضع عيوناً على من يصرح بذكرهم ، أو ينشد فيهم أشعاراً ؛ غير أن ذلك استمر في الخفاء ، ثم علانية الى ما بعد الرشيد .

وممن قتله الرشيد بسببهم ، ابراهيم بن عثمان بن نهيك ، لأنه كثيراً ما يذكر جعفراً ، وأسرته ، ويبكي عليهم ، حتى تجاوز به الأمر من البكاء ، الى طلب الثأر ، فكان إذا شرب ، ولعبت به الخمر ، أخذ سيفه ، ويقول : واجعفراه ، واسيداه ، لأقتلن قاتلك ، ولأثأرن بدمك ؛ فعلم الرشيد بذلك ، وكان سبباً لقتله .

ولقد طال بنا الشرح فلنرجع إلى شرح تتمة البيت .

وقوله : (من بعد ما تولوا الوزارة) أي بنو برمك والمعنى واضح .

(٩٥) حين كانت أيامهم غرر العيـ ... ـش وكانت أكفهم مدراره

(١) الجزع : ساق النخلة .
(٢) الحجر : هو الحجر الأسعد بُني في جدار الكعبة المشرفة وله احترام خاص في قلوب المسلمين .

قوله : (حين) . الحين بالكسر وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال ، أو قصر ، وقيل الدهر ، وقد تقدم الكلام عليها مفصلاً .

وقوله : (كانت أيامهم غرر العيش) أي خيار العيش .

وقوله : (كانت أكفهم مدراره) الأكف جمع كف أي أكف البرامكة ، ومدراره أي تدر بالعطاء لكرمهم وجودهم .

(٩٦) والوزير المهـــــلي وما نوّ ـــل وابن العميد ترب الصداره

قوله :

الوزير المهلبي :

هو يزيد بن محمد المهلبي وقد تقدم الكلام عليه ص (١٩٣) .

وقوله : (وما نوّل) أي ما أعطى وهو المهلبي .

وقوله :

ابن العميد[1] :

هو أبو الفضل ، محمد بن العميد أبي عبدالله الحسين بن محمد الكاتب ، المعروف بابن العميد ، والعميد لقب والده ، ولقّبوه بذلك ، على عادة أهل خراسان ، في اجرائه مجرى التعظيم .

(١) للشاعر خليل مردم بك رحمه الله دراسة وافية ممتعة عن ابن العميد ، لم يسبقه اليها باحث من حيث الاستقصاء والدقة في الدراسة ، نشرت في كتاب مستقل من مجموعة (أئمة الأدب) سنة ١٩٣٢ وعدد صفحات الكتاب ١٤٤ .

كان من الفضلاء الأدباء ، في الرتبة الكبرى من الكتابة ، تقلد ديوان الرسائل ، للملك نوح بن نصر الساماني .

وأما ولده أبو الفضل الذي ورد اسمه في البيت . فإنه كان وزير ركن الدولة أبي الحسن بن بويه الديلمي ، والد عضـــد الدولة . تولى وزارته ، عقيب موت وزيره أبي علي بن القمي سنة ثمان وعشرين وثلاثماية ، وكان متوسعاً في عـــلوم الفلسفة والنجوم ، وأما الأدب والترسل ، فلم يقاربه فيه أحد في زمانه ، وكان الجاحظ الثاني ، وكان كامل الرياسة ، جليل القدر ، من بعض أتباعه الصاحب بن عباد الآتي ذكره ، ولأجل صحبته قيل له الصاحب .

وكان لابن العميد في الرسائل اليد البيضاء

قال الثعالبي[1] في كتاب اليتيمة : كان يقال : بدأت الكتابة بعبدالحميـــد ، وختمت بابن العميد ، وما أحسن ما قال له الصاحب ، وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : « بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد » .

وكان يقال له الأستاذ ، وكان سائساً ، مدبراً للملك ، قائماً بحقوقه ، وقصده جماعة من مشاهير الشعراء من البلاد الشاسعة ، ومدحوه ، بأحسن المدائح ، فمنهم أبو الطيب المتنبي ، ورد عليه وهو بأرّجان ، ومدحه بقصائد احداها التي أولها :

(١) الثعالبي : هو ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، أديب كبير من أشهر تآليفه كتاب يتيمة الدهر .

بادهواك صبوت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

وفيها يقول :

من مبلغ الأعراب أني بعدها شاهدت رسطاليس[1] والاسكندرا[2]
ومللت نحر عشارها فأضافني من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس[3] دارس كتبه متملكاً متبـــدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا

فأعطاه ابن العميد ثلاثة آلاف دينار.

وممن مدحه أيضاً ابن نباتة السعدي[4]، ورد عليه وهو بالري وامتدحه بقصيدته التي أولها :

برح اشتيـــاق وادكار ولهيب أنفـــــاس حرار

فتأخرت صلته عنه ، فشفع هذه القصيدة بأخرى ، وأتبعها برقعة ، فلم يزده

(١) رسطاليس : فيلسوف يوناني من كبار مفكري البشرية كان يطلق عليـــه اسم المعلم الاول .

(٢) الاسكندر : احد عباقرة الفزاة الافذاذ تبوأ الحكم في مكدونيا بعد والده واستولى حرباً على اكثر بلدان العالم القديم ، حارب الفرس ، وانتصر عليهم في آسيا الصغرى وبنى الاسكندرية بعد فتحه لمصر .

(٣) بطليموس : من علماء الهيئة والتاريخ ، اشهر مؤلفاته المجسطي في هيئة الافلاك .

(٤) ابن نباتة السعدي : ابو النصر عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن احمد ينتهي نسبه الى تميم ابن مر السعدي ، كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، وله ديوان شعر كبير ، وتوفي في بغداد .

ابن العميد على الإهمال ، مع رقة حاله التي ورد عليها إلى بابه ، فتوصل إلى أن دخل عليه يوم الخميس ، وهو في مجلس ، حفل بأعيان الدولة ، ومقدمي أرباب الديوان ، فوقف بين يديه ، وأشار إليه بيده ، وقال : أيها الرئيس ، إني لزمتك ، لزوم الظل ، وذللت لك ذل النعل ، وأكلت النوى المحرق ، انتظاراً لصلتك ، والله ما بي من الحرمان ، ولكن شماتة الأعداء ، وهم قوم نصحـــوني فأغشتهم ، وصدقوني ، فأتهمتهم ، فبأي وجه ألقاهم ، وبأي حجة أقاومهم ؟ ولم أحصل من مديح بعد مديح ، ومن نثر بعد نظم ، إلا على ندم مؤلم ، ويأس مسقم ، فإن كان للنجاح علامة ، فأين هي ؟ وما هي ؟ الا أن الذين تحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتـــك ، وان الذين هجوا ، كانوا مثلك ، فزاحم بمنكبيك أعظمهم شأناً ، وأنورهم شعاعاً ، وأمدهم باعاً ، وأشرفهم يفاعاً .

فحار رشد ابن العميد ، ولم يدر ما يقول . فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقال : هذا وقت يضيق عن الإطالة منك ، في الاستزادة ، وعن الإطالة مني ، في المعذرة . وإذا تواهبنا ما دفعنا إليه استأنفنا ما نتحامد عليه .

فقال ابن نباتة : أيها الرئيس ، هذه نفثة مصدور من زمان ، وفضلة لسان قد خرس منذ دهر ، والغنيّ إذا مطل لئيم . فأستشاط[1] ابن العميد ، وقال : والله ما استوجبت هذا العتب ، من أحد من خلق الله تعالى ؛ ولقد نافرت ابن العميد من دون ذا حتى دفعنا الى قرا عائم ، ولجاج قائم ، ولست ولي نعمتي فأحتملك ،

(١) استشاط : غضب .

ولا صنيعتي ، فأغضي عليها ، وإن بعض ما أقررته في مسامعي ينغص مرة[1] الحليم ، ويبدد شمل الصبر ، هذا وما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ، ولا كلفتك تقريظي .

فقال ابن نباتة : صدقت أيها الرئيس ، ما استقدمتني بكتاب ، ولا استدعيتني برسول ، ولا سألتني مدحك ، ولا كلفتني تقريظك ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك ، وقلت : لا يخاطبني أحد ، إلا بالرياسة ، ولا ينازعني ، خلق في أحكام السياسة ، فإني كاتب ركن الدولة ، وزعيم الأولياء ، والحضرة ، والقيم بصالح المملكة ، فكأنك دعوتني بلسان الحال ، ولم تدعني بلسان المقال

فثار ابن العميد مغضباً ، وأسرع في صحن داره ، إلى أن دخل حجرته ، وتقوض المجلس ، وماج الناس ؛ وسُمع ابن نباتة وهو في صحن الدار ماراً يقول : والله إن سفّ التراب ، والمشي على الجمر ، أهون من هذا ، فلعن الله الأدب ، إذا كان بائعه مهيناً له ، ومشتريه مما كساً فيه .

ولما سكن غيظ ابن العميد ، وثاب[2] إليه حلمه التمسه من الغد ، ليعتذر إليه ، ويزيل آثار ما كان منه ، فكأنما غاص في سمع الأرض وبصرها ، فكانت حسرة في قلب ابن العميد إلى أن مات .

وتنسب هذه القصة إلى غير ابن نباتة .

(١) المرة : قوة الخلق وشدته .
(٢) ثاب : رجع .

وكان ابن العميد كثير الإعجاب بقول بعضهم :

وجاءت إلى ستر على الباب بيننا ... تخاف وقد قامت عليها الولائد
لتسمع شعري وهو يقرع قلبها ... بوحيٍ تؤديه اليه القصائد
إذا سمعت مني لطيفاً تنفست ... له نفساً تنقدُ[1] منه القلائد[2]

ومن نثره الجاري مجرى الأمثال قوله :

« متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى.

خير القول ما أغناك جدُّه ، وألهاك هزله . الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرب ، ولا تدرك الا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه .

المرء يبذل ماله في اصلاح أعدائه ، فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه.

هل السيد إلا من تهابه إذا حضر ، وتغتابه إذا أدبر .

اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل . المرح والهزل بابان إذا فتحا لم يُغلقا إلا بعد العسر ؛ وفحلان إذا أُلقحا لم ينتجا غير الشر ».

وله نثر كثير غير ذلك ، لا موضع لذكره هنا .

ومن جيد شعره في الحكم :

(١) تنقدُ : تتمزق .
(٢) القلائد : جمع قلادة ، ما جعل في العنق من الحلي .

آخ الرجال من الأبا عد والأقارب لا تقارب
انّ الأقارب كالعقا رب بل أضرّ من العقارب

وله من الكتب ، كما ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست ؛ كتاب ديوان رسائله ، كتاب المذهب في البلاغات .

قيل وكان يعتاده القولنج تارة ، والنِقرس أخرى ، فيسلمه هذا، الى هذا .

وسأله سائل ، أيهما أصعب عليك ، وأشقّ ؟ فقال إذا عارضني النقرس ، فكأنني بين فكيّ سبع يمضغني ، وإذا اعتراني القولنج ، وددت ولو استبدلت النقرس عنه .

وقيل إنه رأى أكّارا في بستان يأكل خبزاً ببصل ولبن ، وقد أمعن منه ، فقال : وددت لو كنت كهذا الأكّار آكل ما أشتهي .

وتوفي سنة ستين وثلاثماية عن أكثر من ستين سنة ؛ وكانت مدة وزارته أربعاً وعشرين سنة .

ولما مات رتب مخدومُه ركنُ الدولةِ ولدَه ذا الكفايتين أبا الفتح علياً مكانه في دست الوزارة . وكان جليلاً ، نبيلاً ، سرياً ذا فضائل ، وفواضل ؛ ولم يزل أبو الفتح المذكور في وزارة ركن الدولة ، الى أن توفي ركن الدولة ، وقام بالأمر ولده مؤيد الدولة ، فاستوزره أيضاً ، وأقام على ذلك مدة مديدة ، الى أن قتله مؤيد الدولة سنة ٣٦٦ ، بخبر يطول شرحه .

وفيه يقول بعض الشعراء :

آل العميد وآل برمك مالكم قلّ المعين لكم وذلّ الناصرُ
كان الزمان يحبكم فبدا له إن الزمان هو الخؤون الغادر

وتولى موضعه الصاحب بن عباد الآتي ذكره ، ولقد أرخينا لجواد البحث العنان فاسترسل ، فلنعد لشرح تتمة البيت .

قوله : (ترب) الترب بالكسر من ولد معك .

وقوله : (الصدارة) بالفتح التقدم .

(٩٧) وكذا الصاحب بن عَبّادَ حيّا ه وحيّا نظامه ونثاره

قوله :

الصاحب بن عباد[1] :

هو الصاحب ابو القاسم اسماعيل بن ابي الحسن ، عباد بن العباس بن عباد بن أحمد ابن ادريس الطالقاني ، نسبة الى طالقان من أعمال قزوين .

هو أول من لُقّب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن

(١) للشاعر خليل مردم بك رحمه الله دراسة طويلة عن الصاحب بن عباد ، فيها استقصاء وجهد ، ودراسة تحليلية تُعد نسيج وحدها ، نشرت في كتاب مستقل عدد صفحاته ٣٥٦ طبع سنة ١٩٣٢ ، وهذه الدراسة من سلسلة دراسات بقلمه ، ظهر منها خمسة كتب عن الادباء الآتية اسماؤهم : الجاحظ ، ابن المقفع ، ابن العميد ، الصاحب بن عباد ، والفرزدق .

العميد ، فقيل له صاحب ابن العميد ، ثم اطلق عليه هذا اللقب ، لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه .

وقيل إنما قيل له الصاحب ، لأنه صحب مؤيد الدولة ابن بويه منذ الصبا ، وسمّاه الصاحب ، فاستمر عليه هذا اللقب ، واشتهر به ، ثم سمّي به كل من ولّيَ الوزارة بعده .

كان نادرة الدهر ، وأعجوبة العصر في فضائله ، ومكارمه و كرمه .

أخذ الأدب عن أبي الحسين احمد بن فارس اللغوي ، صاحب كتاب المجمل في اللغة وأخذ عن ابي الفضل بن العميد ، وغيرهما .

وقال ابو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه : ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم ، والأدب ، وجلالة شأنه ، في الجود والكرم ، وتفرده بالغايات في المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر ، لأن همة قولي ، تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي ، يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ؛ ثم شرع في شرح بعض محاسنه ، وطرف من أحواله .

وقال ابو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودبّ ودرج من وكرها ، ورضع أفاويق درّها ، وورثها عن آبائه ، كما قال ابو سعيد الرستمي في حقه :

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد
يروي عن العباس عباد وزا رته واسماعيل عن عباد

وكان الصاحب أولاً ، وزير مؤيد الدولة ابي منصور بويه بن ركن الدولة ابن بويه الديلمي ؛ تولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة سنة ثلاث وسبعين وثلاثماية استولى على مملكته أخوه فخر الدولة ابو الحسن علي ، فأقرّ الصاحب على وزارته ، وكان مبجلاً عنده ، ومعظماً ، نافذ الأمر .

اجتمع عند الصاحب من الشعراء ، ما لم يجتمع عند غيره ، مدحوه بغرر المدائح ، ومن مآثره أنه كان ينفذ الى بغداد في السنة خمسة آلاف دينار ، تفرق على الفقهاء و لأدباء ؛ ومما يدل على أنه كان على جانب عظيم من سعة الصدر ودماثة الأخلاق ، أنه استدعى في بعض الأيام شراباً ، فأحضروا قدحاً ، فلما أراد أن يشربه ، قال له بعض خواصه ، لا تشربه ؛ فإنه مسموم .

وكان الغلام الذي ناوله القدح واقفاً ، فقال للمحذر : وما الشاهد على صحة قولك ؟

قال : تجربه في الذي ناولك إياه .

قال : لا استجيز ذلك ، ولا أستحله .

قال : فجربه في دجاجة .

قال : التمثيل في حيوان لا يجوز ، وردّ القدح ، وأمر بقلبه .

وقال للغلام : إنصرف عني ، ولا تدخل داري ، وأمر باقرار معاشه عليه .

وكان رحمه الله حسن الأجوبة . رفع الضرابون من دار الضرب[1] اليه رقعة في مظلمة مترجمة بالضرابين ، فوقّع تحتها في حديد بارد .

وكتب بعضهم اليه ورقة أغار فيها على رسائله ، وسرق جملة من ألفاظه ، فوقّع فيها ، هذه بضاعتنا ردّت الينا .

وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ، ثم صعد السطح يوماً ، فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته : فاطلع فرآه في سواء الجحيم ؛ فقال الصاحب : اخسئوا فيها ولا تكلمون .

ونوادره كثيرة ، وله من الكتب : كتاب في اللغة سمّاه المحيط ، وهو في سبع مجلدات رتبه على حروف المعجم ، كثّر فيه الألفاظ ، وقلل الشواهد ، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر .

وكتاب الكافي في الرسائل ؛ وكتاب الأعياد وفضائل النيروز .

وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، ويثبت إمامة من تقدمه . وكتاب الوزراء . وكتاب الكشف عن مساوىء شعراء المتنبي . وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته .

وزاد ابن النديم في كتابه الفهرست على ذلك : « أن له أيضاً كتاب ديوان الرسائل . وكتاب الزيدية » .

(١) دار تُسكّ فيها النقود .

وله رسائل بديعة ، ونظم جيد فمنه قوله :

وشادن جماله تقصر عنه صفتي
أهوى لتقبيل يدي فقلت قبل شفتي

وله في رقة الخمر :

رقّ الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وله يرثي كُثير بن أحمد الوزير وكنيته ابو علي :

يقولون لي أودى كُثير بن أحمد وذلك مرزوء عليّ جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً فمثل كثير في الرجال قليل

وحكى ابو الحسن محمد بن الحسين ، الفارسي ، النحوي ، أن نوح بن منصور ، أحد ملوك بني سامان ، كتب اليه ورقة في السر ، يستدعيه ليفوض إليه وزارته ، وتدبير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره اليه ما أنه يحتاج لنقل كتبه حمل اربعماية جمل ؛ وفي هذا القدر من أخباره كفاية .

كان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثماية هجرية باصطخر[1] ، وقيل بالطالقان[2] ، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من

(١) اصطخر : بلدة بفارس ، وهي من أعيان حصونها ومدنها ، وكان بها مسكن ملك فارس حتى تحول اردشير الى جور .
(٢) الطالقان : بلدتان احداهما بخراسان بين الروذ وبلخ والثانية كورة بين قزوين وأبهر وبها عدة قرى .

صفر سنة خمس وثمانين وثلاثماية بالري، ثم نقل الى اصبهان رحمه الله تعالى، ودفن في قبة، بمحلة تعرف بباب دزيه.

قال ابو القاسم بن ابي العلاء، الشاعر الاصبهاني، رأيت في المنام، قائلاً يقول لي: لِمَ لَمْ ترث الصاحب، مع فضلك، وشعرك؟ فقلت: أجحفتني كثرة محاسنه، فلم أدر بم أبدأ منها. وقد خفت، أن أقصر، فقال: أجز ما أقوله.

قلت: قل، فقال:

ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة

فقلت:

ليأنس كل منهما بأخيه

فقال: هما اصطحبا حيين ثم تعانقا

فقلت:

ضجيعين في لحد ببـاب دزيه

إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم

أقاما الى يوم القيـامة فيه

الكافي: لقب الصاحب بن عباد.

قيل إنه لم يسعد أحد بعد وفاته، كما كان في حياته، غير الصاحب، فإنه لما توفي؛ اغلقت له مدينة الري[1]، واجتمع الناس على باب قصره، ينتظرون خروج جنازته؛ وحضر مخدومه فخر الدولة، وسائر القواد، وقد غيّروا لباسهم، فلما

(١) الري: مدينة مشهورة من امهات البلاد بينها وبين نيسابور ماية وستون فرسخاً والى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً.

خرج نعشه من الباب، صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبّلوا الأرض، ومشي فخر الدولة أمام الجنازة، مع الناس، وقعد للعزاء أياماً.

ورثاه ابو سعيد الرستمي بقوله:

أبعد ابن عباد يُهش إلى السرى أخو أمل أو يُستماح جوادُ

أبى اللهُ إلا أن يموتا بموته فـــالهما حتى المماتِ معادُ

وتتمة بيت ابن النقيب رقم (٩٧).

حيّاه وحيّا نظامه ونثاره، حيّاه: أي قال له حيّاك الله، والنظام بالكسر، مصدر نظم فلان الشعر، والنثار بالكسر مصدر نثر فلان، أي أتى بالنثر.

(٩٨) بل وأين السراة من آل حمدا ن وما قد تخوّلوا في الإمارة

قوله: (بل) حرف إضراب، إذا تلته جملة كان حرف ابتداء ومعناه حينئذ الإبطال لمعنى ما قبله نحو: أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق فانه أبطل قولهم به جنة، وقرّر نقيضه.

وأما الانتقال من غرض إلى آخر، ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة، وهي، كما وردت في البيت السابق.

وقوله: (أين) تقدم الكلام عليها في البيت (٩٤).

وقوله: (السراة)، السراة أعلى كل شيء جمع سَرِيّ، وهو صاحب المروءة في شرف، أو السخاء في مروءة، والجيد من كل شيء، والسيّد الشريف السخي.

وقوله : (مِنْ) بكسر الميم وسكون النون ، حرف جر يأتي على خمسة عشر وجهاً وهنا للتبعيض .

وقوله :

آل حمدان :

ورد في دائرة المعارف ما نصه : بنو حمدان دولة من أمراء العرب ملكت الموصل ، والجزيرة ، والشام ، وتلك الأعمال ، واستبدوا بالدولة العباسية ، وهم ينتسبون إلى حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن أسد العدوي التغلبي .

كان حمدان هذا في عسكر الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي ، صاحب الموصل ، قصد مساور بن عبدالحميد الخارجي المستولي حينئذٍ على أكثر أعمال الموصل وذلك سنة أربع وخمسين ومايتين ، فانهزم واشتد أمر مساور .

وفي ابن خلدون أن حمدون والد حمدان ، كان في ذلك المعسكر ، والظاهر أنه وهم .

ولما حارب إسحق بن أيوب التغلبي أهل الموصل سنة احدى وستين ومايتين هجرية ، كان حمدان بن حمدون في عسكره ، وكان أيضاً في الفتنة التي انتشبت بين إسحق بن كنداج وعلي بن داود صاحب مَعْلَثايا[1] ، وإسحق بن أيوب المذكور ،

(١) مَعْلَثايا : بالفتح ثم بالسكون ، بثليد له ذكر في الاخبار المتأخرة قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل .

فتغلب عليهم ابن كنداج وذلك سنة ست وستين ومايتين ، وحضر وقعة ابن كنداج أيضاً سنة سبع وستين ومايتين ، وكان حمدان علا شأنه ، وارتفعت منزلته ، فلما استولى هرون بن عبدالله البجلي على الموصل سنة اثنتين وسبعين ومايتين ، وخرج عليه محمد بن خردان وهزمه ، استنجد هرون بحمدان ، فأتاه ، وردّه إلى الموصل ، ثم زحف بنو شيبان على الموصل لقتاله ، فاستنجد بحمدان أيضاً ، لكنه انهزم قبل وصوله . وكان معه أيضاً في حرب بني شيبان سنة تسع وسبعين ومايتين فانهزم بنو شيبان ، وتبعهم حمدان وملك بيوتهم ونهبها .

خرج الخليفة المعتضد سنة احدى وثمانين ومايتين قاصداً حرب حمدان هذا ، لأنه بلغه أنه مال إلى هرون الخارجي المذكور ، ودعا له ، فاجتمع العرب وقاتلوا المعتضد ، فاستظهر عليهم ، وسار إلى الموصل ، قاصداً قلعة ماردين[1] ، لأنها كانت لحمدان ، فهرب حمدان ، وخلّف فيها ابنه الحسين ، فقوي عليه المعتضد ، وفتح القلعة ، ونقل ما فيها ، وهدمها ، ثم أخذ أموال حمدان ، وشدّد الطلب عليه ، فتحصن حمدان بقلاعه ، فبعث المعتضد إليه ، بوصيف الخادم ، ونصر القشوري ، وكان حمدان بباسورين[2] ، فواقعه وصيف ، وقتل من أصحابه جماعة ، وانهزم حمدان في زورقٍ كان له في دجلة ، وحمل معه مالاً كثيراً ، وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة ، وصار في ديار ربيعة ، فقصده الجند حتى أدركوه ، فهرب منهم وترك

(١) قلعة ماردين : قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة ، مشرفة على دنيسر ونصيبين ودارا .
(٢) باسورين : ناحية من اعمال الموصل في شرقي دجلتها .

ماله ، فأخذوه وساروا في طلبه ، فضاقت عليه الأرض ، فقصد خيمة إسحق بن أيوب المار ذكره ، وهو مع المعتضد ، واستجار به ، فأحضره إسحق عند المعتضد فأمر بتقييده ، والإحتفاظ به ، وكان ذلك سنة اثنتين وثمانين ومايتين .

ولما ظفر المعتضد بهارون الخارجي على يد الحسين بن حمدان سنة ثلاث وثمانين ومايتين هجرية ، أطلق حمدان من قيوده ، ووسع عليه ، وأحسن إليه ، وخلع على أولاده ، وطوّق الحسين ابنه جزاءً عن جهاده .

ولما كانت خلافة المكتفي ولّى أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون على الموصل[1] وأعمالها سنة ثلاث وتسعين ومايتين ؛ فحارب الأكراد الهذبانية ، وبه كان ابتداء دولة بني حمدان .

ثم انقضى أبو الهيجاء سنة تسع وتسعين ومايتين ، وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة ، فطالبه الوزير عيسى[2] بن عيسى بحمل المال ، فامتنع ، فأمره بتسليم البلاد فأبى ؛ فجهز الوزير عيسى إليه جيشاً ، فهزمهم ، فكتب إلى مؤنس الخادم بمصر أن يسير إليه ، فسار سنة ثلاث وثلاثمائة ، فترك الحسين البلاد ، وسار إلى أرمينية[3] ، فسيّر مؤنس العساكر في أثره فأدركوه ، وقاتلوه ، وأُسِرَ هو وابنه عبدالوهاب ، وأهله ، وأصحابه ، وعاد به مؤنس إلى بغداد فأُدخل على جَمَلٍ ،

(١) الموصل : مدينة مشهورة وهي احدى قواعد بلاد الاسلام ، وهي باب العراق ومفتاح خراسان .

(٢) عيسى بن عيسى : من وزراء المعتضد والمقتدر المبرزين في الادارة وسياسة الملك .

(٣) أرمينية : اسم لصقع واسع في جهة الشمال .

وقبض المقتدر على أبي الهيجاء ، وسائر بني حمدان وحبسهم ثم أطلقهم سنة خمس وثلاثمائة .

وقتل المقتدر الحسين سنة ست وثلاثمائة ، وولّي إبراهيم بن حمدان سنة سبع وثلاثمائة على ديار ربيعة ، ثم ولّي داود بن حمدان وأعاد أبا الهيجاء إلى ولاية الموصل سنة أربع عشرة وثلاثمائة ، فبعث إليها ابنه ناصر الدولة الحسين ؛ ثم إن أبا العلاء سعيد بن حمدان ، ضمن الموصل وديار ربيعة ، وما بيد ناصر الدولة ، فولاّه الراضي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، فقتله ناصر الدولة ، ثم استأمن إلى الراضي فأقره على عمله ثم جُعل أمير الأمراء .

أظهر سيف الدولة (أخ الناصر) شجاعة عظيمة في قتال البريدي ببغداد ، ثم استولى على حلب وحمص ، واشتدت شوكته ، واشتهر كثيراً .

كانت لبني حمدان وقائع مع بني بويه وغيرهم ، وذكر ابن الأثير سنة عشرين وثلاثمائة حادثة حرب مؤنس لبني حمدان ، واستيلائه على الموصل ، وكان المقتدر قد ولاّه اياها بعد عزل الوزير الحسين بن القاسم . فكتب الوزير إلى سعيد وداود ابني حمدان وابن أخيهما ناصر الدولة أن يحاربوه ، فاجتمع بنو حمدان وأصحابهم على محاربته ، الا داود فإن مؤنساً كان ربّاه ، وأحسن إليه ، فلم يزل به إخوته حتى أجابهم ، فلما قاتلهم مؤنس ، قتل داود وانهزم سائر بني حمدان ، وكان داود يلقّب بالمجفجف ، وفيه يقول بعض الشعراء في هجو أحد الأمراء :

لو كنت في ألف ألف كلهم بطل ... مثل المجفجف داود بن حمدان

وذلك لأنه ، كان شجاعاً مقداماً . ثم استولى مؤنس على جميع أموال بني حمدان وديارهم ، ثم عاد إليه ناصر الدولة وصار معه .

انقرضت دولة بني حمدان - نة سنين وأربعماية أو نحوها ، بواسطة لؤلؤ ، غلام - يف الدولة ، الذي غلب على أبي الفضائل آخر الحمدانية .

كان منهم عدة أمراء مشهورين ، مثل سيف الدولة ، وناصر الدولة ، وأبي فراس الشاعر ، وأبي المعالي ، وأبي تغلب ، وغيرهم .

تتمة بيت ابن النقيب : (وما قد تخولوا في الإمارة).

(ما) هنا موصولة بمعنى الذي . و (قد) هنا حرف يفيـــد التكثير أو التحقيق . (تخولوا) من تخوّل فلاناً أي تعهده ، وفي الحديث : « كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة » . والضمير راجع في قوله تخولوا ، لبني حمدان . و (في) حرف جر له عشرة معان ، وهنا واقعة ظرفية .

(٩٩) أين من بات رافعـــاً لبني اللهـ ـو الملمين بالتحـــايا عماره

قوله : (أين) - بق الكلام عليها في البيت ص (٩٤) .

وقوله : (مَنْ) بفتح الميم وسكون النون تأتي على خمسة أوجـــه ، وهنا اسم موصول .

وقوله : (رافعاً لبني اللهو) تقدم معنى اللهو .

وقوله : (الملمين) جمع ملم بالكسر ، والرجل الملم من يجمع القوم وعشيرته .

وقوله (بالتحايا) جمع تحية وهي السلام والبقاء والسلامة من الآفات .

وقوله : (عماره) العماره بالفتح ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله عمرك الله .

(١٠٠) أين من راح والمجـــاسد تزدا ن عليه بأعين النظّـــاره

قوله : (أين من) سبق الكلام عليهما قريباً .

وقوله : (راح) خلاف غدا أي جاء ، وذهب في الرواح أي العشي وعمل فيه ، وقد يُستعمل لمطلق المضي والذهاب .

وقوله : (والمجاسد) جمع مجسد بالكسر ، وهو القميص الذي يلي البدن . وقال ابن الأعرابي : ولا تخرجن إلى المساجد بالمجاسد .

وقوله : (تزدان) ازدان مطاوع زيّن وزيّنه ، بمعنى زانه وهو ضد شانه .

(١٠١) طوقته لمخـــانق البرميّات فكانت بين الظراف شعاره

قوله : (طوّقته) يقال طوّقه الطوق ، ألبسه إياه .

وقوله : (المخانق البرميّات) المخانق جمع مخنقة ، وهي القلادة ، البرمة ثمرة العضاه والجمع البرَم ، وبرم العضاه ، كُلُّه أصفر الا برمة العرقط فانها بيضاء كأن هيادبها قطن ، وفي حديث خزيمة السلمي اينعت العَنَمَةُ وسقطت البرمة وهي زهرة الطلح ، والبرم حب العنب فوق الذر ، وقال الليث : البريم خيط ينظم فيه خرز فتشده المرأة على حقويها .

وقوله : (فكانت بين الظراف شعـــاره) ، (بين) ظرف بمعنى وسط . و(الظراف) جمع ظريف ، وهو ذو الظرف ، والبليغ الجيد الكلام ، و(الشعار) ما تحت الدثار من اللباس ، وهو مايلي شعر الجسد واستعماله هنا مجاز .

(١٠٢) وتردت منه العواتق بالمنـ ـديل مذ راح عاقداً زناره

قوله : (وتردت) كذا بالأصل ، ولعـــل الصواب وتردى لبس ، لمطابقة ما قبله من الضمائر المذكرة .

وقوله : (من العواتق) العواتق جمع عاتق ، وهو موضع نجاد السيف من الكتف وقيل ما بين المنكب والعنق .

وقوله : (بالمنديل) بكسر أوله نسيج يتمسح به من العرق وغيره .

وقوله : (مُذْ) أصل مذ منذ ، ومنذ هنا حرف جر بمعنى من .

وقوله : (راح) تقدم الكلام عنها .

وقوله : (عاقداً) من عقد ضد حلّ .

وقوله : (زنّاره) والزنار ما يشد على الوسط.

(١٠٣) وعلى رأسه أكاليـــل آس كلّلت أدمع الندى أقطاره

قوله : (وعلى رأسه أكاليل آس) ، الأكاليل جمع إكليل ، وهو التاج ، وشبه عصابة تزين بالجوهر ، والآس معروف واستعارة الإكليل للآس ، لطيفة لشبه حب الآس بالجوهر .

وقوله : (كلّلت أدمع الندى أقطاره) كلّلت أي أحاطت به من كل جانب ، والندى المطر ، والأقطار جمع قطر وهو الناحية والجانب .

(١٠٤) وعلى الأذن منه ريحانة من أذريون كمن يروم سراره

قوله : (أذريون) زهر أصفر في وسطه خمل أسود .

وقوله : (كمن يروم سراره) السرارة بالفتح الخلوص ، يقال هو سرّ بيّن السرارة أي خالص بيّن الخلوص ، ولا ينصرف منه فعل[1] .

(١٠٥) أين من كان جانب الزهر مينا ساً[2] لديه والعيش يندى غضاره

قوله : (أين) ظرف مبني على الفتح يُسأل به عن المكان الذي حلّ فيه الشيء.

وقوله : (مَنْ) بفتح الميم ، وسكون النون ، وتأتي على خمسة أوجه ، وهنا اسم موصول بمعنى الذي .

وقوله : (كان) هنا ناقصة ، تدخل على المبتدأ والخـــبر ، فترفع المبتدأ ، وتنصب الخبر .

قال الجوهري : إذا جعلته عبارة عما مضى من الزمن احتاج الى خبر ، لأنه

---

(١) ونرى جواز اعتبار كلمة « سرار » مصدراً للسارّة فيصبح المعنى ان الريحانة التي وضعت على الاذن تشبه من يريد ان يتحدث لانسان آخر بالسرّ كما قال بشار في بيته المشهور :

يروعه السرار بكل شيء مخافة ان يكون به السرار

والهاء مضاف اليه .

(٢) أي مئناسا ، وكانت الباء تحل محل الهمزة فيما مضى .

دلّ على الزمان فقط ، وإذا جعلته عبارة عن حدوث الشيء ووقوعه ، استغنى عن الخبر ، لأنه دلّ على معنى وزمان .

تقول : كان الأمر وأنا أعرفه مذ كان ، أي منذ خلق .

وقوله : (جانب الزهر) الجانب الناحية والجهة والطرف ، جمعه جوانب ، والزهر ويحرّك ، نور كل نبات ، الواحدة زهرة وزَهرة ، والجمع أزهار ، وجمع الجمع أزاهر .

وقوله : (ميناسا) خبر كان .

وقوله : (لديه والعيش يندى غضاره) تقدم الكلام على لدى ؛ ويندى أي يبتل . غضاره : النعمة والسعة والخصب وطيب العيش .

(١٠٦) ينتحى منتحى المروآت طلقاً في لذاذاته ويبدي افتراره

قوله : (ينتحي) أي يقصد .

وقوله : (منتحي المروآت) المروآت جمع مروءة وهي النخوة ، وكمال الرجولة ، وفي المصباح المروءة آداب نفسانية ، تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق ، وجميل العادات ، وقد تقلب الهمزة واواً ، وتدغم فيقال مُروّة .

وقوله : (طلقاً) أي بلا قيد ولا وثاق .

وقوله : (في لذاذاته) من لذّ الشيء لذاذا ، ولذاذة صار شهياً .

وقوله : (يُبدي) أي يظهر .

وقوله : (افتراره) من افترّ أي تبسم وضحك ضحكاً حسناً .

(١٠٧) وترى عنده مُزَمَّلة الما ء وخيش النسيم يعلو جداره

قوله : (وترى عنده مزملة الماء) المزملة جرة أو خابية خضراء ، في وسطها ثقب ، فيه قصبة من فضة أو الرصاص ، يشرب منها (عراقية) .

وقوله : (خيش النسيم) جاء في أقرب الموارد مروحة الخيش ، نسيج خشن من الكتان كشراع السفينة ، يعلقها أهل العراق ، في سقف البيت ، ويعملون لها حبلاً تُجرّ به مبلولة بالماء ، فاذا أراد الرجل أنْ ينام ، جذب حبلها ، فيهب منها نسيم بارد ، يذهب هوى الحر ، ويستطاب معه النوم .

(١٠٨) وسحاب البخور يهطل منه ماء ورد يزجي النسيم قطاره

وقوله : (وسحاب البخور) السحاب النعيم ، كان فيه ماء أو لم يكن ، ولهذا يقال السحاب الجهام سُمي بذلك لجر الريح له أو لأنجراره . والبخور ، ما يتدخن به من الصموغ العطرة ، جمعه أبخرة ، وبخورات .

وقوله : (يهطل منه) أي يمطر متتابعاً ، والضمير في قوله منه ، راجع لسحاب البخور .

وقوله : (ماء ورد يزجي النسيم قطارة) يزجي أي يسوق ، ويستحث ، ويدفع برفق ، والنسيم ابتداء كل ريح قبل أن تقوى . وفي الكليات : كل ريح لا تحرك شجرا ، ولا تعني اثراً فهي نسيم ، والجمع نسام .

وقوله : (القطار) بالضم السحاب العظيم القطر .

(١٠٩) أين من كان في فضاء من الغو طة يجلي من قبلنا أبصاره

قوله : (أين من كان) سبق الكلام على كل واحدة منها .

وقوله : (في فضاء) الساحة وما اتسع من الأرض .

وقوله : (من الغوطة)

الغوطة[1] :

قال ياقوت الحموي رحمه الله في كتابه معجم البلدان ما نصه : الغوطة بالضم، ثم السكون ، وطـــاء مهملة ، وهو من الغائط ، وهو المطمئن من الأرض ، وجمعه غيطان وأغواط .

---

(١) للشاعر خليل مردم بك رحمه الله في وصف الغوطة قصيـــدة من غرر الشعر العربي أولها :

كم في أزاهير الرياض لناظرٍ ... من مُقلةٍ وسنى وخد ناضر
ماست أماليد الغصون بوشيها ... معطارةً وازيّنت بجواهر
لله ما صنعت وما جادت به ... في الغوطتين يد الربيع الباكر
بسطت وثير قطيفه فوق الثرى ... خضراء فيها كل لون زاهر
من أحمر قانٍ وأصفر فاقع ... أو أزرق زاهٍ وأبيض سافر
وكست وحلّت سمحة أشجارها ... فجلت عرائسها بوشي فاخر
معقودة الإكليل زهراء الحلى ... خفاقة الأقراط ذات أساور
أرخت من الظل الظليل غصونها ... طرراً وأذيالاً وفضل مآزر

ليرجع اليها في الصفحة السادسة والسبعين من ديوان الشاعر مطبوعات المجمع العلمي سنة ١٩٦٠ .

وقال ابن الأعرابي : الغوطة مجتمع النبات .

وقال ابن شُميل : الغوطة الوهدة في الأرض المطمئنة .

والغوطة ، هي الكورة التي منها دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلاً ، يحيط بها جبال عالية ، على جميع جهاتها ، ولا سيّما من شمالها عالية جداً ، ومياهها خارجة ، من تلك الجبال تجري في الغوطة عدة أنهر ، تسقي بساتينها ، وزروعها ، ويصبّ باقيها في أجمة هناك وبحيرة .

والغوطة كلها أشجار متصلة ، قلّ أن يكون بها مزارع للمستغـــلات إلا في مواضع كثيرة ، وهي بالإجماع أنزه بلاد الله تعالى ، وأحسنها منظراً ، وهي إحدى جنان الأرض الأربع ؛ وهي : صغد سمرقند والأُبُلّة وشِعب بَوّان الآتي ذكرها ، والغوطة وهي أجلّها .

قال ابن قيس الرقيات[1] :

أجلك الله والخليفة بالغـو ... طة داراً بها بنو الحكم
المانع الجار أن يضام فما ... جار دعـــا فيهم بمهتضم

وقال أيضاً :

أقفرت منهم الفراديس (فالغو ... طة) ذات القرى وذات الظلال

---

(١) ابن قيس الرقيات : هو عبدالله بن قيس الرقيات قرشي من بني عامر بن لؤي كان هواه السياسي مع ابن الزبير لزم مصعب بن الزبير حتى قتل ، كان شاعراً رقيق اللفظ ، رقيق المعاني لا سيما حين يبكي أو يرثي .

فضمير[1] فالماطرن[2] فحورا ... ن قفار بسابس الأطلال

قوله : (يجلي) جلا السيف والمرآة أي صقلها .

وقوله : (من قبلنا أبصاره) الأبصار جمع بصر وهو حاسة الرؤية . فكأن الشاعر رحمه الله تعالى يريد أن يجلي بصره بنظره للغوطة .

(١١٠) أين من كان ناعماً في مغاني ... شِعب بوّان ناشقاً أزهاره

قوله : (أين من كان ناعماً) من نعم ينعم أي رفه .

وقوله : (في مغاني) جمع مغنى وهو المنزل الذي غني به أهله ، أي أقاموا ثم ظعنوا وقيل عامٌ .

وقوله :

شعب بوّان :

قال ياقوت الحموي في معجمه ما نصه : « شِعب بوّان ، بأرض فارس بين أرّجان والنُّوبَنْدَجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا .

قال المسعودي ، وذكر اختلاف الناس في فارس فقال : ويقال إنهم من ولد بوّان بن ايران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام وبوّان هذا هو الذي ينسب اليه شعب بوّان من أرض فارس ، وهو أحد المواضع المتنزهة ، المشتهرة بالحسن ، وكثرة الأشجار ، وتدفق المياه ، وكثرة أنواع الأطيار .

(١) و (٢) قرى في الغوطة .

قال الشاعر :

فشِعب بوّان فوادي الراهب ... فثمَّ تُلقى أرحل[1] النجائب[2]

وقد روى عن غير واحد من أهل العلم ، أنه من متنزهات الدنيا ؛ وبعضهم قال : جنان الدنيا أربع مواضع : غوطة دمشق (وقد سبق الكلام عنها) ، وصغد سمرقند ، وشِعب بوّان ، ونهر الأُبُلّة . وقالوا : وأفضلها غوطة دمشق .

قال أحمد بن محمد الهمداني : من أرّجان الى النوبندجان ستة وعشرين فرسخاً ، وبينهما شِعب بوّان الموصوف بالحسن والنزاهة ، وكثرة الشجر وتدفق المياه ، وهو موضع من أحسن ما يعرف فيه شجر الجوز والزيتون وجميع الفواكه النابتة في الصخر .

وعن المبرد أنه قال : قرأت على شجرة بشِعب بوّان :

إذا أشرف المحزون من رأس تلعة[3] ... على شِعب بوّان استراح من الكربِ

وألهاه بطنٌ كالحريرة مسّه ... ومطّرد يجري من البارد العذب

وطيب ثمار في رياض أريضة[4] ... على قرب أغصان خباها على قرب

فبالله يا ريح الجنوب تحملي ... إلى أهل بغداد سلام فتى صب

(١) أرحل : جمع رحل ، مركب البعير .
(٢) النجائب : جمع نجيبة الناقة الكريمة .
(٣) التلعة : مجرى الماء من أعلى الوادي ، وما انهبط من الارض .
(٤) أريضة : المعجبة للعين ، الزكية .

وإذا في أسفل ذلك مكتوب :

ليت شعري عن الذين تركنا خلقنا بالعراق هل يذكرونا
أم لعل الذي تطاول حتى قدم العهد بعدنا فنسونا

وذكر بعض أهل الأدب أنه قرأ على شجرة دلب تظلل عيناً جارية بشِعب بوّان :

متى تبغني في شِعب بوّان تلقني لدى العين مشدود الركاب الى الدلب[1]
وأعطي وإخواني الفتوة[2] حقها بما شئت من جد وما شئت من لعب
يدير علينا الكأس من لو رأيته بعينك ما لمت المحب على الحب

وذكر بعض أهل فارس أن شِعب بوّان واد عميق ، والأشجار والعيون التي فيه ، إنما هي من جهتيه ، واسفل الوادي مضايق تجتمع فيها تلك المياه ، وتجري في أرض وطيئة النبت بحيث لا تبنى فيه مدينة ، ولا قرية كبيرة .

وقد أجاد المتنبي[3] في وصفه فقال :

مغاني الشِعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريب الوجه واليد واللسان

(١) الدلب : شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر .
(٢) الفتوة : السخاء والكرم وقيل المروءة .
(٣) المتنبي : هو ابو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الشاعر الحكيم صاحب الامثال السائرة والمعاني النادرة وخاتم ثلاثة امراء الشعر .

ملاعب جنّة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان
طبت[1] فرسانتا والخيل حتى خشيت وان كرمن من الحران
غدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الحر عني وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفرّ من البنان
لها ثمرٌ تُشير إليك منها بأشربة وقفن بلا أواني
وأمواه تصل بها حصاها صليل الحَلْي في ايدي الغواني
ولو كانت دمشق[2] كنى عناني لبيق[3] الثرد[4] صينيّ الجفان
يلنجوجي[5] وما رفعت لضيف به النيران ندي[6] الدخان
تحل به على قلب شجاع فترحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال يشيعني إلى النو بندجان[7]
إذا غنى الحمام الورق فيها أجابته أغانيّ القيان

(١) طبت : طباه استمالة .
(٢) دمشق : البلدة المشهورة عاصمة سورية ويقول ياقوت في معجمه عنها : « لم توصف الجنة بشيء الا وفي دمشق مثله .
(٣) اللبيق : الحاذق الرفيق بما يعمله وهو نعت لمحذوف أي رجل هذه صفته .
(٤) الثرد : الثرد مصدر ثرد الخبز إذا فتّه .
(٥) يلنجوجي : نسبة الى العود الذي يتبخر به .
(٦) ندّي : نسبة الى الند .
(٧) النوبندجان : مدينة من أرض فارس من كورة سابور قريبة من شيعب بوّان .

ومن بالشعب أحوج من حمام إذا غنّى وناح الى البيان
يقول بشِعب بوّان حصاني أعن هذا يُسار إلى الطعان
أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلّمكم مفارقة الجنان
فقلت إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكان

وكتب أحمد بن الضحاك الفلكي إلى صديق له يصف شِعب بوّان :

« بسم الله الرحمن الرحيم : كتبت إليك من شِعب بوّان ، وله عندي يد بيضاء مذكورة ، ومنّة غرّاء مشهورة ، بما أولانيه من منظر أعدا على الأحزان ، وأقال من صروف الزمان ، وسرّح طرفي في جداول تطرد بماء معين ، منسكب أرق من دموع العشاق ، مرّ رَتها لوعة الفراق ، وأبرد من ثغور الأحباب عند الإلتئام والإكتئاب . . . كأنها حين جرى في آذيّها[1] يترقرق ، وتدافع تيارها يتدفق ، وأرتج حبابها يتكسر ، في خلال زهر ، ورياض ترنو بحدق ، تولد قصب لجين في صفائح عقيان ، وسموط دُرٍّ بين زبرجد ومرجان . . . أثر عَلِيٌّ حكمة صانعه شهيد . وعلم على لطف خالقه دليل إلى ظل سجسج[2] أحوى[3] . وخضل ألمي[4] قد غنّت عليه أغصان فينانة[5] ، وقضب غيدانه[6] ، تشورت[7] لها القدود

(١) الآذيّ : موج البحر .
(٢) سجسج : السجاج اللين وهو أرق ما يكون .
(٣) أحوى : من به لون الحوة وهي سواد الى حمرة .
(٤) ألمي : مسود الشفة .
(٥) فينان : شعر فينان طويل حسن .
(٦) غيدان : الشباب أوله .
(٧) تشوّر : مطاوع شوّر أي أخجلته فخجل .

المهفهفة خجلاً ، وتقيلتها الخصور المرهفة تشبهاً ؛ يستقيدها[1] النسيم فتنقاد ، ويعدل بها فتتعدل ، فمن متورد يروق منظره ، ومرتج يتهدل مثمره ، مشتركة فيه حمرة نضج الثمار ، ينفحه نسيم النوّار . . . وقد أقمت به يوماً وأنا لخيالك مسامر ، ولشوقك منادم . . . وشربت لك تذكاراً ، وإذا تفضل الله بإتمام السلامة ، إلى أن أوافي شيراز[2] ، كتبت إليك من خبري بما تقف عليه انشاء الله تعالى » .

(١١١) أين من أطلق النواظر في صُغْـ ـد سَمَرْقَنْد واجتلى أنواره

قوله : (أين من أطلق النواظر) ، أطلق أي سرّح ، والنواظر عروق في الرأس تتصل بالعينين فيها ماء البصر . والشاعر يقصد بها العينين .

وقوله :

صُغد سمرقند :

قال ياقوت الحموي رحمه الله تعالى : الصُغْد بالضم ثم بالسكون وآخره دال مهملة ، وقد يُقال بالسين مكان الصاد ، وهي كورة عجيبة ، قصبتها سمرقند ، وقيل هما صغدان : صغد سمرقند وصغد بخارى .

وقيل جنان الدنيا أربع : غوطة دمشق (وقد مرّ ذكرها) ، وشِعب بوّان (وقد مرّ ذكره قريباً) ، ونهر الأبُلّة ، وصغد سمرقند ؛ وهي قرى متصلة خلال

(١) استقاد : أعطاه مقادته .
(٢) شيراز : بلد عظيم معروف وهو قصبة بلاد فارس في الاقليم الثالث .

الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى ، لا تبين القرية ، حتى تأتيها لالتحاق الأشجار ، وهي من أطيب أرض الله ، كثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار .

وقال الجيهاني[1] في كتابه : الصغد كصورة الإنسان ، رأسه بُنْجلث[2] ورجلاه كشانية[3] ، وظهره وفر[4] ، وبطنه كيُوكث[5] ، ويداه ما يَمْرُغ[6] ، وبزماخر[7] ، وجعل مساحته ستة وثلاثين فرسخاً في ستة وأربعين ؛ وقال : منبرها الأجل سمرقند ثم كش[8] ثم نسف[9] ثم كشانية[10] .

وقال غيره : قصبة الصغد ، اشتيخن[11] ، وفَضَّلها على سمرقند .

وبعضهم يجعل بخارى أيضاً من الصغد ، وقال إن النهر من أصله إلى بخارى

---

(١) الجيهاني : هو ابو عبدالله محمد بن أحمد بن نصر أديب كاتب ، من الوزراء تولى الوزارة للسامانية ببخارى من آثاره كتاب المسالك والممالك .

(٢) بنجلث : ضاحية قريبة من سمرقند .

(٣) كشانية : بلدة بنواحي سمرقند ، شمالي وادي الصغد بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخاً .

(٤) وفر : ضاحية قريبة من سمرقند .

(٥) كيوكث : بلدة تقرب من سمرقند .

(٦) مايمرغ : قرى بخارى على طريق نسف .

(٧) بزماخر : مدينة قريبة من سمرقند .

(٨) كش : قرية على بعد ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل .

(٩) نسف : مدينة كبيرة من جيحون وسمرقند وهي على مدرج بخارى .

(١٠) كشانية : ترجمت قبلاً .

(١١) اشتيخن : من قرى صغد سمرقند بينها وبين سمرقند سبعة فراسخ وهي كثيرة البساتين .

يسمى الصغد ، ولا يصح هذا ، والصغد في الأصل اسم للوادي والنهر الذي تشرب منه هذه النواحي ؛ قالوا وهذا الوادي مبدؤه من جبال البُتْم في بلاد الترك ، يمتد على ظهر الصفاينان ، وله مجمع ماء يقال له وي ، مثل البحيرة حواليها قرى ، وتُعرف الناحية بيرغر[1] ، فينصب منها بين جبال حتى يتصل بأرض بنجيكت ، ثم ينتهي إلى مكان ، يعرف بوَرْغر[2] ، وبه رأس السكرومة ، تشعب أنهار سمرقند ورساتيق ويتصل بها من عرى الوادي من جانب سمرقند .

وقد فضل الاصطخري[3] الصغد على الغوطة والإبُلّة والشعب .

وقوله : (واجتلى أنواره) اجتلى أي نظر ، وأنواره جمع نَوْرة بالفتح وهو الزهر ، أو الأبيض منه ، والضمير راجع إلى صغد سمرقند .

(١١٢) أين من حلّ بالأُبُلّة قدماً وجلى في رياضها أفكاره

قوله : (أين من حَلّ) أي نزل .

وقوله :

الأبلـــة :

قال ياقوت الحموي[4] رحمه الله تعالى : الأُبُلّة بضم أوله وثانيه وتشديد اللام

---

(١) يرغر : على ساحل بحر مانطس وهو بحر متصل بخليج القسطنطينية .

(٢) ورغر : من قرى بخارى .

(٣) الاصطخري : هو ابراهيم بن محمد الفارسي جغرافي له مسالك الممالك .

(٤) هو الإمام شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبـــدالله الحموي الرومي صاحب معجم البلدان .

وفتحها ، بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى ، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، لأن البصرة ، مصرت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت الأُبُلّة حينئذٍ مدينة فيها مسالح[1] من قبل كسرى .

قال : وكان خالد بن صفوان يقول : ما رأيت أرضاً مثل الأُبُلّة مسافة ، ولا أغذى نطفة ، ولا أوطأ مطيّة ، ولا أربح لتاجر ، ولا أحفى لعائد .

وقال : حُكي عن الأصمعي في قولهم الأُبُلّة : كانت امرأة خمّارة ، تُعرف بهُوب زمن النبط[2] ، فطلبها قوم من النبط ، فقيل لهم هُوبُ لاَ كا ، بتشديد اللام أي ليست هوب ههنا ، فجاءت الفرس فغلّظت ، فقالت : هو بُلّت ، فعرّبتها العرب فقالت الأُبُلّة .

وقال الأصمعي : جنان الدنيا ثلاث : غوطة دمشق ، ونهر بلخ ، ونهر الأُبُلّة وحشوش الدنيا خمسة : الأُبُلّة ، وسيراف[3] ، وعُمان[4] وأردبيل[5] وهيت[6] .

قال ياقوت : وأما نهر الأُبُلّة الضارب الى البصرة فحفره زياد[7] .

---

(١) المسالح : جمع مسلحة وهي موضع السلاح .
(٢) النبط : جيل من العجم ينزلون بالبطائح ما بين العراقين ثم استعمل في اخلاط الناس .
(٣) سيراف : مدينة جليلة على ساحل بحر فارس وقيل كانت كورة اردشير .
(٤) عُمان : اسم كورة على ساحل بحر اليمن والهند تشتمل على بلدان كثيرة .
(٥) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان .
(٦) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار ذات نخل وخيرات واسعة .
(٧) زياد : هو زياد بن أبيه ، اختلفوا في اسم أبيه ، ولدته امه سمية في الطائف ، كان من القادة الدهاة ، ألحقه معاوية بن أبي سفيان في نسبه .

وقوله : تتمة البيت (جلّى في رياضها أفكاره) جلّى : صقل ، والرياض جمع روضة وهي من البقل والعشب مستنقع الماء ، قيل لها ذلك لاستراضة الماء فيها ، ولا تكون روضة إلا ومعها ماء ، أو إلى جنبها ؛ والضمير راجع إلى الأُبُلّة والأفكار جمع فكر ، وهو تردد القلب بالنظر والتدبر بطلب المعاني .

(١١٣) أين من بات بالسـماوة في ميـ ـناف روض يبشّـه أسراره

قوله : (أين من بات) يقال : بات في المكان ، أي نزل ، وقضى الليل فيه ، وبات يفعل كذا إذا فعله ليلاً ، وبات أدركه الليل ، نام ، أو لم ينم .

وقال الفراء[1] سهر الليل كله في طاعة أو معصية .

وقوله :

السماوة :

ورد في دائرة المعارف للبستاني : سماوة بلدة في تركية آسيا ، على نهر الفرات كانت تابعة لولاية بغداد ثم فصلت عنها ، وأُلحقت بلواء المنتفك[2] من ولاية البصرة يبلغ عدد أهلها نحو سبعة آلاف نفس ، وفيها تجارة متسعة للحبوب ، والصوف ، والجلود ، تسابلها[3] قبائل العرب ، فتمتار[4] منها ، ومن سوق الشيوخ عشائر المنتفك وغيرها . ويصدر كثير من حاصلاتها إلى البصرة وبغداد .

---

(١) الفراء : يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي ، إمام الكوفيين ومن كلام ثعلب : « لولا الفراء ما كانت اللغة » .
(٢) المنتفك : لواء من ألوية البصرة .
(٣) سابل : سلك ، تقول : سبيل سابلة أي سالكة .
(٤) أمتار : أتى بالميرة .

وفي كتب العرب : السماوة ، ماءة بالبادية ، بها سميت أم النعمان . وبادية وقصبة بين الكوفة والشام ، لعلها سميت بهذا الماء .

وفي سنة تسع وثمانين ومايتين هجرية ، بايع بنو القليص ابن صمصم بن عدي ابن جباب ومواليهم بناحية السماوة ابن زكرويه[1] المسمى يحيى أبا القاسم ولقبوه الشيخ .

وقال ياقوت عن الشكرى : السماوة ماءة لكلب .

وتمام بيت ابن النقيب (في مثناف روض يبثّه اسراره) ، في مثناف روض ورد في أقرب الموارد ، المثناف الذي يستأنف المراعي والمنازل ، ويرعي ماله أنف الكلأ ، وورد في المادة نفسها روضة أُنُف ، أي لم يرعها أحد .

والروض أرض مخضرة بأنواع النبات .

وقوله : (يبثّه اسراره) أي يطلعه على أسراره .

(١١٤) بنسيم يحلّ في غلس الأسـ ـحار عن جيب نوره أزراره

قوله : (بنسيم) النسيم ابتداء ريح قبل أن تقوى ، وفي الكليات : كل ريح لا تحرك شجراً ، ولا تعني أثراً فهي نسيم ، والجمع نِسام .

(١) ابن زكرويه : هو ابو القاسم يحيى بن زكرويه بن مهرويه القرمطي الملقب بالشيخ ، من كبار القرامطة ، انحازت اليه جماعة من بني الأصبغ وأخلصوا له ، وأحرقوا مسجد الرصافة وقصدوا دمشق منه وحاصروها وعلى أبواب دمشق قتل ابن زكرويه بعد معركة عنيفة جرت ما بينهما .

وقوله : (حلّ) تقول : حل العقدة أي نقضها وفتحها .

وقوله : (في غلس) ، الغلس ظلمة آخر الليل .

وقوله : (الأسحار) ، جمع سَحَر ، وهو قبيل الصبح ، وقيل هو السدس الآخر ، وهما سحران : السحر الأعلى قبل انصداع الفجر ، والآخر عند انصداعه .

وقوله : (عن جيب نوره أزراره) ، الجيب : القلب والصدر ، وجيب الأرض مدخلها ، وجيب القميص ونحوه ، طوقه .

والنور الزهر ، أو الأبيض منه .

(١١٥) حيث تندى مباسم الزهر فيه وتحيى أنفاسـ ـه زوّاره

قوله : (حيث) ظرف مكان ، مبني على الضم ، وتلزم الإضافة إلى الجملة .

قوله : (تندى) أي تبتل .

قوله : (مباسم الزهر) ، مباسم جمع مبسم ، وهو الثغر ، والزهر نور كل نبات .

قوله : (تحيى) من حيّاه تحية ، قال له : حيّاك الله ، أي أطال عمرك ، وسلم عليه بقوله : سلام عليك .

قوله : (أنفاسه) جمع نفس ، وهو نسيم الهواء ، والضمير راجع للزهر .

و (زوّاره) جمع زائر .

(١١٦) فسقت عهد من مضى أدمع المز ـن وجادت بصوبها آثاره

قوله : (فسقت) من سقاه يسقيه أعطاه ماء لفيه ، وجعل له ماء ، يُسقى به، وقال له : سقاك الله ، أو سقياً لك .

وقوله : (عهد من مضى) ، العهد الوفاء ، والمودّة ، والذمّـة ، والمـنزل المعهود به الشيء ، ومن هنا اسم موصول ؛ ومضى ذهب وخلا .

قوله : (أدمع المزن) ، أدمع جمع دمع ، وهو ماء العين ، من حزن أو سرور ، القطرة منه دمعة ، والمزن بالضم السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء .

قوله : (وجادت) من جاد الرجل ، تكرّم ، وجاد بالمال بـذله ، ومنـه : (وما كل بارقة تجود بمائها) ، وجادت العين : كثر دمعها ، وجاد المطر : غزر .

وقوله : (بصوبها) الصوب السحاب ذو الصوت ، والعطاء على التشـبيه ، والضمير راجع لأدمع المزن

وقوله : (آثاره) جمع أثر وهو ما بقي من رسم الشيء .

(١١٧) ما سرت نسمة الصباح بروض كحلاهم فهيّجت أطيـاره

قوله : (ما سرت) ما ، هنا شرطية زمانية ، أي مدة سريان نسمة الصباح ؛ وسرت من سرى الرجل يسرى سُرىً وسَرْيَة وسُرْية وسِراية وسريانا ومسرى، سار عامة الليل .

قوله : (نسمة الصباح بروض) تقدم معنى روض .

قوله : (كحلاهم) الحَلا بالفتح ما يداف من الأدوية ، وقيل الحلا للحشيش والحلا للرطب .

قوله : (فهيجت) أي أثارت وبعثت .

وقوله : (أطياره) جمع طائر وهو كل ذي جناح من الحيوان ، والضمير في قوله أطياره راجع الى الروض .

تم

وكان الفراغ من تأليف هذه الوريقات مساء يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلاثماية وألف هجرية على يد مؤلفها الفقير خليل بن أحمد مختار مردم بك . والحمد لله أولاً وآخراً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أمّ كلثوم [1]

في النادي السوري

السبت ٢٧ رمضان سنة ١٣٤٤ و ١٠ نيسان سنة ١٩٢٦

أم كلثوم — ومن لم يسمع بهذا الاسم — فتاة اجتازت العشرين من عمرها، مربوعة، نحيفه، حنطية اللون، حسنة الوجه، حلوة القسمات، جذابة، تلبس أثواباً تدل على حشمة، وتضع على رأسها كوفية بيضاء وعقالاً أسود مقصباً.

اشتهرت في السنين الأخيرة بأنها أشهر مغنية في القطر المصري؛ سمعتها في هذه الليلة بالنادي السوري الذي أقام حفلة خيرية أحيتها أم كلثوم.

ذهبت إلى النادي والدكتور قدري[2] وتوفيق بك زاهر أحد قضاة

---

(١) عثرنا بين أوراق فقيد الشعر والأدب العلامة خليل مردم بك على هذا المقال كتبه عن المطربة أم كلثوم سنة ١٩٢٦ حينما كان في القاهرة نازحاً عن دمشق إبان الثورة السورية إثر ملاحقة الفرنسيين له، ورأينا أن ننشر المقال بكامله لما له من صلة مع جمهرة المغنين.

(٢) هو الدكتور أحمد بن عبدالقادر الترجمان الشهير بقدري أحد قادة الثورة العربية اعتقله جمال السفاح مع من اعتقل من القادة الاحرار من العرب، واطلق سراحه فالتحق بالملك فيصل بن الحسين وكان طبيبه الخاص ومن مستشاريه الاوفياء ولما نزح الملك فيصل عن دمشق رافقه الى بغداد وظل يسعى الى الوحدة العربية الكبرى. توفي عام ١٩٥٨ في دمشق، أصدر مذكراته عن الثورة العربية الكبرى.

الاسكندرية وتبلاثها ، وكان عدد الحضور يربو على المايتين بين رجال ونساء ، وكلهم تقريباً من السوريين ؛ وقبيل الساعة العاشرة أتت أم كلثوم ، ومعها أبوها الشيخ إبراهيم وأخوها وحموها ، وكلهم بعمائم بيض وأرداب عريضة وأذيال طويلة ، وصعدوا جميعهم الدكة المعدة اليهم بين الهتاف والتصفيق .

شرعت أم كلثوم غناءها بأن ترنمت بأبيات من التوسل بالنبي ﷺ على طريقة الصوفيين ، وكان أهلوها (المشايخ) يساعدونها بصوت خفي هو إلى الغمغمة أقرب منه إلى الغناء وليس معهم من الآلات الموسيقية شيء و كذلك عادتها فإنها لا تغني[1] على آلة .

التوسل بالنبي ﷺ بتلك النغمة الرخيمة من فتاة تمثل لك العربيات بزيها ، يحيط بها ثلاث عمائم بيض أصاب في صدري لاعجاً من الذكريات الحلوة الحارة ارتفع لها سحري ، وانتفخت أوداجي ، وطال تنهدي ، ودمعت عيناي .

ثم نهضت قائمة وأخذت تنشد من الشعر وتتبعه بالأدوار والأهازيج وتعود إلى القصائد ما يستفز الجلمود .

صوت أم كلثوم جيد بالغ ، غاية في الحسن وهو أطوع لها من ظلها ، تصرفه كيف شاءت ، عالٍ نديّ ، إذا رفعته ملأت الأسماع واستقادت الأبصار ، فلا تزال تهوي به حتى تبلغ القرار الخفي من النغم ، فتثير كوامن القلوب ونهج خفايا الصدور .

(٣) كانت أم كلثوم في أول عهدها تغني دون آلة موسيقية .

فلا والله ما دبيب الحميا أفعل في النفس من نشوة ذلك الصوت الروحاني . ترسل النغمة على أجنحة من الاسجاحات العالية ، فتمثل لك صوت العاشق الشاب غلبته الأيام على حبيبته ، فتمتع بها سواه ، فإذا ردتها إلى صدرها أسمعتك حشرجة النفوس وخفقان القلوب .

تذهب بنفس السامع إلى ما بعد الطبيعة ، وتعلو بها صعداً حتى تبلغ بها أوج الكمال الروحاني وتطوف بها على مقاصير معاني الأمور فتفهم إذ ذاك أن الغاية من الحب فضيلة الإيثار ؛ وان الغناء في الحقيقة حاجة روحية عجز الكلام عن الافصاح عنها ، فأعرب عنها بالغناء .

ليس غناؤها في شيء من التفكك والتخنث والرخاوة والتكسر والتخالع بل هو الغناء الذي يعرب عن النفس في شتى انفعالاتها . فهل سمعت استغاثة المستغيث، وصرخة الخائف ، وجؤار المبتهل ، وزفرة المهجور ، وشهقة المعُول ؟

ذلك ما يتمثل في غنائها إذا جدّت واشتدّت ، فإذا ألانت اللحن فهناك تأوه الفتاة ، وغنّة المستعطف ، ومناغاة الأم لطفلها ، وحنّة الغريب ، ودندنة ذات الدلال .

ومع ذلك فالمشكلة بين الكلام وبين اللحن على أتمها ، فإذا ورد ذكر البكاء سمعت صوتاً مفعماً بقطرات الدمع كنسيم السحر يحمل قطرات الندى ، وقس على ذلك بقية المعاني .

وهي بعد جيدة الحفظ ، مليحة الأداء ، حسنة الرواية ، لا تلحن أبداً حتى ولو في همزة قطع أو وصل .

وما رأيت آنستين أشد تشابهاً في الصورة من الآنسة أم كلثـــوم بالآنسة مي[1] ، فسبحان من بعثهما آيتين في الآداب الرفيعة وأطلعهما فرقدين في سمـــاء الفنون الجميلة .

(١) مي : هي ماري بنت الياس زيادة الكاتبة المعروفة . أشهر كتبها باحثة البادية ومد وجزر والصحائف ولها شعر بالفرنسية .

أسماء الكتب التي اعتمدها المؤلف في شرحه

كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني .
كتاب العقد لابن عبد ربه .
كتاب البيان والتبيين للجاحظ .
تاريخ الكامل لابن الأثير .
تاريخ الطبري .
الإمامة والسياسة لابن قتيبة .
الفهرست لابن النديم .
مقدمة ابن خلدون .
وفيات الأعيان لابن خلكان .
فوات الوفيات لابن شاكر .
معجم البلدان لياقوت الحموي .
الأخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري .
خاص الخاص .
ديوان البحتري .
حدائق الحقائق لمحمد بن أبي بكر الرازي (مخطوط) .
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي .

تراجم بعض أعيان دمشق لابن شاشه .
نسخة من نسب بني حمزة (مخطوط) .
دائرة المعارف للبستاني .
إيضاح الدلالات للشيخ عبد الغني النابلسي .
مجلة المقتبس لمحمد كرد علي .
تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان .
تاريخ التمدن الإسلامي » » .
الدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب فواز .
حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي .
كتاب الحيوان للجاحظ .
العمدة لابن رشيق .
الفصول المختارة من كتب الجاحظ .

فهرست كتاب جمهرة المغنين

	الصحيفة
مقدمة المؤلف	٣
لمحة عن تاريخ الغناء والمغنين	٧
أول من دون الغناء	١٤
تأثير الغنـــاء	١٨
آلات الغناء	٣٠
من دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم	٣٥
ما احتج به في جواز الغناء	٤٢
تاريخ المغنين	٥١
منزلة المغنين	٥٤
ترجمة صاحب القصيدة السيد عبد الرحمن حمزة	٤٦
شرح القصيدة وترجمة من ذكر بها اسمه من المغنين والأعلام .	٦٣
المستدرك على الجمهرة	٢٦٧
أم كلثوم	

فهرست أسماء المترجمين في هذا الكتاب
من الرجال والنساء والبلدان
مرتبة على حروف المعجم كما أوردها المؤلف

— ا —

ابراهيم الموصلي ١٢٦
ابراهيم بن المهدي ١٦٧
ابن اكثم انظر يحيى بن اكثم
ابن بانة انظر عمرو بن بانة
ابن بغاء ١٩٦
ابن جعدة ٦٧
ابن جامع ١٢٩
ابن جعفر ١٢٣
ابن زياد ٦٨
ابن سريج ٧١
ابن صفوان انظر خالد بن صفوان
ابن داب انظر عيسى بن داب
ابن طاهر ١٧٢
ابن الطويل انظر القاسم العبادي
ابن عائشة ٩٥
ابن عباد انظر الصاحب بن عباد
ابن العميد ٢٢٦
ابن العوراء انظر فليح بن العوراء
ابن القصار ١٩٧
ابن مصعب ١٣٢
ابن المعتز ٢١٢
ابن ميادة ٩٧
ابناء يالية ٧٠
ابواسحق الموصلي انظر ابراهيم الموصلي
ابو بكر الصولي انظر الصولي
ابو بكر الكشحي ١٨٧
ابو جعفر المنصور انظر المنصور
ابو دلامة ١١٦
ابو زيد الاسدي ٧٥
ابو العباس السفاح انظر السفاح
ابو نواس ١٥٣
احمد بن جعفر المعتمد انظر المعتمد ٢٠٠
احمد بن حمدون (النديم) ١٨٠
احمد بن طلحة المعتضد انظر المعتضد
احمد المستعين انظر المستعين
اسحق الموصلي ١٦٤
اسماعيل بن جامع انظر ابن جامع
الاخطل ٦٧
آل برمك ٢١٧

آل حمدان ٢٤٠
آل حمدون ٢٤٠
آل العباس انظر العباسيين
الامين ١٤٢
امية انظر بني امية
الابلة ٢٥٩

— ب —

بدر ٢٠٤
بلال ١٤٨
بديح ١٠٥
برصوما ١٤١
برمك انظر آل برمك
بنان ١٨٩
بنو امية ٦٥
بنو حمدان انظر آل حمدان
بوّان انظر شعب بوّان
بنو العباس انظر العباسيين

— ج —

جعفر بن محمد المتوكل انظر المتوكل
جعفر المقتدر انظر المقتدر

— ح —

حبابه ٧٩
الحسين بن الضحاك الخليع ١٥٠
الحسن بن هاني انظر ابا نواس
حمدان انظر آل حمدان

— خ —

خالد بن صفوان ١١٥
الخليع انظر الحسين بن الضحاك

— د —

دير مرّان ١٣٨

— ذ —

الدلفاء ٧٣

— ر —

الراضي انظر ابن المعتز ٢١٢
رذاذ ٢٠٥
الرشيد ١٣٣
الرماح بن ابرد انظر ابن ميادة

— ز —

زلزل ١٤٠
زنام ١٨٨
زيد بن الجون انظر ابا دلامة

— س —

السفاح (ابو العباس عبدالله بن محمد) ١١٤
سلامة ٨٢
سليمان الطبال ١٩٢
سليمان بن عبد الملك ٧٢
سليمان بن القصار انظر ابن القصار
سمرقند انظر صغد سمرقند
السماوة ٢٦١
سليمى بنت سعيد ٩١
سنان المغني ٧٥

— ش —

شعب بوّان ٢٥٢

— ص —

الصاحب ابن عباد ٢٣٣
صغد سمرقند ٢٥٧
الصولي ٢٠٧

— ض ط ظ —

— ع —

العباسيون ١١١
عبدالله بن سريج انظر ابن سريج
عبد الله بن طاهر انظر ابن طاهر
عبد الله بن مصعب انظر ابن مصعب
عبد الله السفاح انظر السفاح
عبد الله المأمون انظر المأمون
عبدالله المنصور انظر المنصور
عبد الله بن المعتز انظر ابن المعتز
عبد الرحمن بن حمزة ٥٧
عبد الملك بن مروان ٦٩
عريب ١٧٤و٢٠١
العزيزي ١٣٢
علوية ١٦٣
علي المكتفي انظر المكتفي
عمارة ٦٧
عمر بن عبد العزيز ٧٦
عمر الوادي ٩٤
عمرو بن بانة ١٩١
عيسى بن داب ١٣٠

— غ —

الغريض ٧١
الغوطة ٢٥٠
غياث الاخطل انظر الاخطل ٢٥٠

— ف —

الفتح بن خاقان ١٨١
فريدة ١٨٤
فليح بن العوراء ١٢٥

— ق —

القاسم بن الطويل العبادي ١٠٢
قتيبة بن مسلم الباهلي ٦٨
قدامة بن جعدة انظر بن جعدة

— ك —

الكشحي انظر ابا بحر الكشحي ١٨٧
كوثر ١٤٤

— ل —

— م —

مالك ابن ابي السمح ٩١
المأمون ١٥٧
المتوكل (جعفربن محمدابوالفضل) ١٨٥
محمد بن جعفر انظر ابن جعفر
محمد بن عائشة انظر ابن عائشة
محمد الصولي انظر الصولي
محمد الامين انظر الامين
مخارق ١٤٦
مران انظر دير مران
مروان بن الحكم ٦٩
مروان بن محمد ١٠٨
المستعين ١٩٤
مسلم بن زياد انظر ابن زياد
معبد ٨٥
المعتصم ١٧٥
المعتز ١٩٥
المعتضد (ابو العباس) ٢٠٢
المعتمد (ابن جعفر) ٢٠٠
المقتدر (ابو الفضل) ٢١١
المكتفي ٢٠٦
المنتصر (ابو جعفر) ١٩٢
المنصور ١٢٢
المهتدي ١٩٨
مهج ١٨٠
المهدي ١٢٤
موسى الهادي انظر الهادي
المهلبي انظر يزيد بن محمد

— ن —

— و —

الوليد بن عبد الملك ٧٠
الوليد بن يزيد ٨٨
الواثق ١٧٨

— ه —

الهادي ١٢٩
هرون بن المعتصم انظر الواثق
هرون الرشيد انظر الرشيد
هشام بن عبد الملك ٨٧

— ي —

يالية انظر ابناء يالية
يحيى بن اكثم ١٦٩
يزيد بن خالد التميمي ٧٥
يزيد بن عبد الملك ٧٨
يزيد بن معاوية ٦٦
يزيد المهلبي ١٩٣و٢٦٦
يزيد بن الوليد ١٠٧
يونس بن بغاء انظر ابن بغاء

فهرست بأسماء الخلفاء الأمويين (١)

— س —

سليمان بن عبد الملك ٧٢

— ع —

عبد الملك بن مروان ٦٩
عمر بن عبد العزيز ٧٦

— م —

مروان بن الحكم ٦٩
مروان بن محمد ١٠٨

— و —

الوليد بن عبد الملك ٧٠
الوليد بن يزيد ٨٨

— ه —

هشام بن عبد الملك ٨٧

— ي —

يزيد بن عبد الملك ٧٨
يزيد بن معاوية ٦٦
يزيد بن الوليد ١٠٧

(١) هم الخلفاء الامويون الواردة اسماؤهم في قصيدة السيد عبد الرحمن حمزة .

فهرست بأسماء الخلفاء العباسيين

— ا —

ابو جعفر المنصور انظر المنصور
ابو العباس السفاح انظر السفاح
احمد بن جعفر (المعتمد) ٢٠٠
احمد بن طلحة (المعتضد) ١٨٠
احمد المستعين انظر المستعين
ابن المعتز ٢١٢
الامين ١٤٢

— ج —

جعفر بن محمد المتوكل انظر المتوكل
جعفر المقتدر انظر المقتدر

— ر —

الراضي انظر ابن المعتز
الرشيد ٢٠٥

— س —

السفاح ١١٤

— ع —

عبد الله السفاح انظر السفاح
عبد الله المأمون انظر المأمون
عبد الله المنصور انظر المنصور
عبد الله بن المعتز انظر ابن المعتز
علي المكتفي انظر المكتفي

— م —

المأمون ١٥٧
المتوكل ١٨٥
محمد بن جعفر
محمد الامين انظر الامين
المستعين ١٩٤
المعتصم ١٧٥
المعتز ١٩٥
المعتضد (ابو العباس) ٢٠٢
المعتمد (ابن جعفر) ٢٠٠
المقتدر (ابو الفضل) ٢١١
المكتفي ٢٠٦
المنصور ١٢٢
المهتدي ١٩٨
المهدي ١٢٤
موسى الهادي انظر الهادي

— و —

الواثق ١٧٨

— ه —

الهادي ١٢٩
هرون بن المعتصم انظر الواثق
هرون الرشيد انظر الرشيد

فهرست بأسماء المغنين والمغنيات

والأعلام

— ا —

ابراهيم الموصلي ١٢٦
ابراهيم بن المهدي ١٦٧
ابن اكثم انظر يحيى بن اكثم
ابن بانة انظر عمرو بن بانة
ابن بقاء ١٦٩
ابن جعدة ٦٧
ابن جامع ١٢٩
ابن جعفر ١٢٣
ابن زياد ٦٨
ابن سريج ٧١
ابن صفوان انظر خالد بن صفوان
ابن داب انظر عيسى بن داب
ابن طاهر ١٧٢
ابن الطويل انظر القاسم الصادي
ابن عائشة ٩٥
ابن عباد انظر الصاحب بن عباد
ابن العميد ٢٢٦
ابن العوراء انظر فليح بن العوراء
ابن القصار ١٩٧
ابن مصعب ١٣٢
ابن ميادة ٩٧

ابناء بالية ٧٠
ابو اسحق الموصلي (ابراهيم) ١٢٦
ابو بكر الصولي انظر الصولي
ابو بحر الكشحي ١٨٧
ابو دلامة ١١٦
ابو زيد الاسدي ٧٥
ابو نواس ١٥٣
احمد بن حمدون (النديم) ١٨٠
اسحق الموصلي ١٦٤
اسماعيل بن جامع انظر ابن جامع
الاخطل ٦٧
آل برمك ٢١٧
آل حمدان ٢٤٠

— ب —

بدر ٢٠٤
بذل ١٤٨
بذيح ١٠٥
برصوما ١٤١
برمك انظر آل برمك
بنان ١٨٩
بنو حمدان انظر آل حمدان
بنو امية ١٦٥

— ح —

حبابة ٧٩
حسين بن الضحاك الخليع ١٥٠
حمدان انظر آل حمدان ٢٠٤
حمدون انظر بني حمدون

— خ —

خالد بن صفوان ١١٥
الخليع انظر الحسين بن الضحاك

— ز —

الدلفاء ٧٣

— ر —

رذاذ ٢٠٥
الرماح بن أبرد انظر ابن ميادة

— ز —

زلزل ١٤٠
زنام ١٨٨
زيد بن الجون انظر ابا دلامة

— س —

سلامة ٨٢
سلمان الطبال ١٩٢
سليمى بنت سعيد ٩١
سنان المغني ٧٥

— ص —

الصاحب بن عباد ٢٣٣
الصولي ٢٠٧

— ع —

عبد الله بن سريج انظر ابن سريج
عبد الله بن طاهر انظر ابن طاهر
عبد الله بن مصعب انظر بن مصعب
عبد الرحمن بن حمزة ٥٧
عريب ١٧٤و٢٠١
العزيزي ١٣٢
علوية ١٦٣
عمارة ٦٧
عمر الوادي ٩٤
عمرو بن بانة ١٩١
عيسى بن داب ١٣٠

— غ —

الغريض ٧١
غياث الاخطل انظر الاخطل

— ف —

الفتح بن خقان ١٨١
فريدة ١٨٤
فليح العوراء ١٢٥

— ق —

القاسم بن الطويل العبادي ١٠٢
قتيبة بن مسلم الباهلي ٦٨
قدامة بن جعدة انظر ابن جعدة

— ك —

الكشحي انظر ابا بحر الكشحي ١٨٧
كوثر ١٤٤

— م —

مالك بن ابي السمح ٩١
محمد بن العميد انظر ابن العميد
محمد الصولي انظر الصولي
مخارق ١٤٦
مسلم بن زياد انظر ابن زياد
معبد ٨٥
مهج ١٨٠
المهلبي انظر يزيد بن محمد

— ي —

يالية انظر ابناء يالية
يحيى بن اكثم ١٦٩
يزيد بن خالد التميمي ٧٥
يزيد المهلبي ١٩٣و٢٦٦
يزيد بن جفاء انظر ابن جفاء

فهرست بأسماء الأمكنة

الواردة في قصيدة ابن النقيب

— ا —

الابلة ٢٥٩

— س —

السماوة ٢٦١

— ش —

شعب بوّان ٢٥٢

— ص —

صغد سمرقند ٢٥٧

— غ —

الغوطة ٢٥٠

— م —

مرّان (دير مران) ٧٠

فهرست بأسماء الأمكنة

— ا —

الاندلس ١٢
الاهواز ١٥٣
الانبار ٢٢٢
ارمينية ٢٤٢
اصطخر ٢٣٧
اشبخن ٢٥٨
الابلة ٢٥٩
اردبيل ٢٦٠

— ب —

باب الفراديس ٥٧
بخارى ٦٨
بيت راس ٨١
بوصير ١٠٨
بحر قزوين ١٢٣
بابل ١٤٧
بصرة ١٥٣
باسورين ٢٤١
بندجان ٢٥٥
بنجلث ٢٥٨
بزماخر ٢٥٨
برغر ٢٥٩
بورغر ٢٥٩

— ج —

الجامع الاموي ٧٠

— ح —

حجرة الرخام ٢١٦

— خ —

خوزستان ١٥٣

— د —

ديرمران ٧٠
دينور ١٧٢
داريا ١٨٦
دمشق ٢٥٥

— ر —

الرصافة ٨٧
الربذة ١٧١
الري ٢٣٨

— س —

سمرقند ٦٨
سامراء ١٧٦
سُرّ من راى ٢٠٠
سيراف ٢٦٠
السماوة ٢٦١

— ش —

شاذكلا ٢١٦
شيراز ٢٥٧
شعب بوان ٢٥٢

— ص —

صغد سمرقند

— ط —

طوس ١٣٣،١٤٢
الطالقان ٢٣٧

— ع —

عياباذ ١٢٩
عمان ٢٦٠

— غ —

غوطة ٢٥٠

— ف —

فدك ١٩٢

— ق —

قنسرين ٨٧
قلعة ماردين ٢٤١

— ك —

كنتون ١١٣
كوفة ١٥٣
كشانية ٢٥٨
كيوكث ٢٥٨
كش ٢٥٨

— م —

الموصل ٢٤٢
ما يمرغ ٢٥٨
المنتفك ٢٦١

— ن —

نيسابور ١٧٣
نسف ٢٥٨

— ه —

هيت ٢٦٠

فهرست قوافي الأبيات الواردة في الجمهرة

— ا —

	الصفحة	الشاعر
ماذا تقول الظباء	١٤٧،٢٣	لبعضهم
جرت سنحا فقلت لها اجيزي (اللقاء)	٩٦،٢٤	لبعضهم

— ب —

قد براني الشوق حتى (اذوب)	١١	لبعضهم
من كف جارية كان بنانها (عنابا)	٢٨	عكاشة بن محصن
لعمري لقد اسحرت خيلنا (المصعب)	١٩٦،٣٩	لابن المعتز
وجد الفؤاد بزينبا	٤٠	علية بنت المهدي
ديار التي كادت ونحن على منى(الركائب)	٤٧	قيس بن الحطيم
ان عصراً ينعي اليك الحبيبا	٦٠	محمد حمزة
لقد سبقتك اليوم عيناك سبقة (ملاعبه)	١٠٠	لبعضهم
اصبح اللهو تحت عفر التراب	١٢٨	لبعضهم
أحين دنا ما كنت ارجو دنوه (جانب)	١٣٤	للرشيد
سلام على النازح المغترب	١٣٧	للرشيد
ضربوا قرة عيني (ضربوه)	١٤٤	للامين
ما يريد الناس من صب	١٤٥	للامين
حامل الهوى تعب	١٥٤	ابو نواس
تعلمت اسباب الرضا خوف عتبها (الغضب)	١٨٩	لبعضهم
آخ لرجال من الاباعد (لا تقارب)	٢٣٢	لابن العميد

	الصفحة	الشاعر
فشعب بوان فوادي الراهب	٢٥٣	لبعضهم
اذا اشرف المحزون من راس تلعة	٢٥٣	لبعضهم
متى تبغني في شعب بوان تلقني	٢٥٤	لبعضهم

— ت —

والطير قد يسوقه للموت	٤	لبعضهم
ايا منشر الموتي اقدني من التي (علت)	٣٨	لبعضهم
وشادنٍ جماله (صفتي)	٢٢٧	الصاحب بن عباد

— ث —

إن سحراً وضياء وختثٌ	١٣٦	للرشيد

— ج —

هل عليّ ويحكم (حرج)	٤٣	لبعضهم
انني فكرت في عمر (فاختلجا)	٩٤	الوليد بن يزيد

— ح —

متى ترفع الايام من قد وضعته (جموح)	١٩٣،٣٩	الواثق ، المنتصر
اسلام انك قد ملكت فاسجحي	٨٣	الاحوص

— د —

اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا (تشدد)	٨	طرفة بن العبد
قل للمليحة في الخمار الأسود	٢٥	مسكين الدارمي
وكنت اذا ما زرت سعدى بارضها(بعيدها)	٢٦	لبعضهم

	الصفحة	الشاعر
الما صاحبيّ نزد سعادا	٣٦و٧٧	لبعضهم
علق القلب سعادا	٣٦و٧٧	لبعضهم
الايادين قلبك من سليمى (سعاد)	٣٦و٧٨	لبعضهم
سبحان ربي برا سعادا	٣٧	لبعضهم
لعمري لئن كانت سعاد هي المنى (خلودها)	٣٧	لبعضهم
اسعاد جودي لا شقيت سعادا	٣٧	لبعضهم
لا بارك الله من دار عدوت بها (بلد)	٧٣	لبعضهم
الا لا تلمه اليوم ان يتبلدا	٨٠	الاحوص
فان يسل عنك القلب او يدع الصبا (تجلد)	٨٢	كثير عزة
اجاد طويس والسريجي بعده (معبد)	٨٦	لبعضهم
تهددني بجبار عنيد	٨٩	الوليد بن يزيد
يا ليلة السبت قد زودتني سقماً	١١٥	عمر بن ابي ربيعة
ابا مسلم خوفتني القتل فانتحى (الورد)	١١٦	ابو دلامة
يشط غداً دار جيراننا (ابعد)	١٥٩	لعمر بن ابي ربيعة
استعين الله في امري (العباد)	١٩٥	المستعين بالله
يا طول علة قلبي المعتاد	٢٠١	ابراهيم بن المهدي
فلا تبعد فكل فتى سيأتي (يفادي)	٢٢٢	لبعضهم
الآن استرحنا واستراحت ركابنا (يجتدي)	٢٢٤	لبعضهم
ورث الوزارة كابراً عن كابر (استاد)	٢٣٤	للرستمي
وجاءت الى ستر على الباب بيننا	٢٣١	لبعضهم
ابعد ابن عباد يهش الى السرى (جواد)	٢٣٩	للرستمي

— ر —

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد (ابادر)	٢٨	ورقاء بن زهير
ابغ حبابة اسقى ربعها المطر	٣٧و٧٩	يزيد بن الوليد
اضاعوني واي فتى اضاعوا (ثغر)	٤٨	للعرجي

	الصفحة	الشاعر
ما ترى ناصع القرنفل واق (الزهور)	٦٢	لعبد الرحمن بن حمزة
لهن الوجا لم كنّ عونا على النوى (كسير)	٧٤	جميل بن معمر
اختان احداهما كالشمس طالعة (القمرا)	٨٣	ابن قيس الرقيات
هل الوجد الا ان قلبي لو دنا (الجمر)	٨٥	لبعضهم
الا لا تعدلي لوعة مثل لوعتي (الذكرى)	٩٨	ابن ميادة
الا يا لقومي للهوى والتذكر	٩٩	ابن ميادة
لقد طالما عللت حجراً واهله (جابر)	١٠٠	ابن ميادة
نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى (بخبار)	١٠١	ابن ميادة
الم تريا ان الخليفة ازني (القصر)	١١٨	ابو دلامة
رضينا من مخارق وابن خير (النهار)	١٤٨	البحتري
الم تر انني افنيت عمري (عسير)	١٥٧	ابو نواس
اصبح ديني الذي ادين به (معتزرا)	١٦١	المامون
يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخرا	١٧٨	الواثق
ايها العاشق المعذب صبراً	١٨٣	الفتح بن خاقان
حكمتموه فقضى بينكم (زاهر)	١٩٩	الاعشى
فلو كان للشكر شخص يبين (الناظر)	٢٠٥	لبعضهم
تلطف في رسولك يا امير	٢٠٧	المكتفي
رايتك قد اظهرت زهداً وتوبة (الخمر)	٢١٥	لابن المعتز
اتاني قريض يا امير محبر	٢١٥	خزامي
برح اشتياق وادكار	٢٢٨	ابن نباتة السعدي
من مبلغ الاعراب اني بعدها (اسكندرا)	٢٢٨	المتنبي
آل العميد وآل برمك مالكم (الناصر)	٢٣٣	لبعضهم
رق الزجاج ورقت الخمر	٢٣٧	الصاحب بن عباد

— س —

جادك الغيث اذا الغيث هما (الاندلس)	١٢	لسان الدين بن الخطيب

	الصفحة	الشاعر
لقد فتنت ربا وسلامة القسا	٨٢	ابن قيس الرقيات
قاض يرى الحد في الزناء ولا (باس)	١٧١	لاحمد بن ابي النعيم
لا احسب الجور ينقضي (عباس)	١٧١	لاحمد بن ابي النعيم
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم (عباس)	١٢١	ابو دلامة

— ص —

خليليّ ما بال المطايا كاننا (تنكص)	٤٩	لبعضهم

— ع —

جاء البريد بقرطاس يخب به (فزعا)	٦٦	يزيد بن معاوية
الم ترها لم يبعد الله دارها (تصنع)	٨٤	سلامة القس
لا تلمنا ان خشعنا (بخشوع)	٨٤	سلامة
ضمنت لكم إن لم يعقني عائق (ستقلع)	٨٩	الوليد بن يزيد
خلع الخليفة احمد بن محمد (يخلع)	١٩٥	لبعضهم
اني عرفت علاج اقلب من وجعي	١٩٦	لابن المعتز

— ف —

بكر العاذلون في وضح الصبح (تستفيق)	١٠٣	عدي بن زيد
من لي بان تعلم ما القى	٢٠٦	المكتفي
خير الوفود مبشر بخلافة (اسحاق)	١٥١	الخليع

— ك —

الموت فيه جميع الناس مشترك	١٧٩	الواثق

— ل —

	الصفحة	الشاعر
اسلام هل لمتيم تنويل	٨٣	الاحوص
عينيّ للحدث الجليل	١٠٤	الوليد بن يزيد
هل الى ان تنام عيني سبيل	١٦٧	اسحق الموصلي
يقولون لي اودى كثير بن احمد (جليل)	٢٣٧	الصاحب بن عباد
اقفرت منهمُ الفراديس (الظلال)	٢٥١	ابن قيس الرقيات

— م —

الا ياقين ويحك قم وهينم	٧و٥١	لبعضهم
اصغت لتسمع شكوتي وتظلمي	٣٢	خليل مردم بك
تشكى الكميت الجري لما جهدته (يتظلما)	٣٩	لبعضهم
قد سل جسمي وقد اودى به سقمي	٨٠	الحرث بن خالد
إن التي طرقتك بين ركائب (حرام)	٨٤	سلامة القس
قصار الخطا فرق الخصى زمر اللحى (لحم)	١٠٠	ابن ميادة
وتبدي الخميسيات في كل زينة (البهم)	١٠١	ابن ميادة
وتبدي الخميسيات في كل زينة (الدهم)	١٠١	ابن ميادة
الا ان ليلى العامرية اصبحت (تنعم)	١٠٦	نصيب
الا من ردّ ودي امس (اليوما)	١٣٧	الرشيد
دمن المّ بها فقال سلام	١٥٦	ابو نواس
فارس ماض بحربته (الظلم)	١٦١	المامون
تالله ان كانت امية قد اتت (مظلوما)	١٨٦	البسامي
شبهت حمرة خده في ثوبه (النمام)	١٩٧	ابن المعتز
لي قمر جدّر لما استوى (همومي)	٢١٥	ابن المعتز
احلك الله والخليفة (الحكم)	٢٥١	ابن قيس الرقيات

— ن —

	الصفحة	الشاعر
هل تعلمين وراء الحب منزلة (اقصائي)	٣	بشار بن برد
وصفراء في الكأس كالزعفران	٣٨و٨٨	يزيد بن الوليد
ليس الشفيع الذي ياتيك مؤتزرا (عريانا)	٣٩	الفرزدق
انما الدلفاء ياقوتة (دهقان)	٧٤	لبعضهم
كفرت يداً من منعم لو شكرتها (المن)	٨٨	الوليد بن يزيد
انا ابن كسرى وابي مروان	١٠٧	يزيد بن الوليد
خافي الهك في نفس قد احتضرت (المصلينا)	١٢١	ابو دلامة
ملك الثلاث الآنسات عناني	١٣٧	الرشيد
بعثتك مرتاداً ففزت بنظرة (الظنا)	١٦١	المامون
كلفاني توجاني	٢٠٢	الوليد بن يزيد
لو كنت في الف الف كلهم بطل (حمدان)	٢٤٣	لبعضهم
ليت شعري عن الذين تركنا	٢٥٤	لبعضهم
مغاني الشعب طيبا في المغاني	٢٥٤	ابو الطيب المتنبي

— ي —

ابلغا ريطة آني (لابيها)	١١٩	ابو دلامة
ما لمن اهوى شبيه	١٤٥	الامين
واني لمشتاق الى ظل صاحب (عليه)	١٦٤	ابو العتاهية
ليس من العجائب ان مثلي (عليه)	٢٠٠	المعتمد
نوى الجود والكافي معا في حفيرة (باخيه)	٢٣٨	الشاعر الاصبهاني
اما القطاة فاني سوف اتبعها (فيها)	٣٩	عمرو بن عقيل الهجيمي

فهرست الخطأ والصواب

خطـــأ	صـــواب	سطر	صفحة
من مكين التائرات	من كمين التائرات	٣	٣
اججت كامن المهمة	اججت كامن الهمة	٩	٥
ومرتفع النفس	ومرتع النفس	٧	١٨
فكان المسوؤل	فكانَ المسؤول	٥	٢٢
فاتى هشام	فاتى به هشام	٨	٢٤
من الهواء اسمع	من الهواء لم اسمع	١١	٢٥
مموكك	مملوكك	١٤	٢٧
الملك لمتوشالح	الملك المتلوشلح	٧	٣٠
برى سادى	برى سعادا	٥	٣٧
ان يتطلما	ان يتظلما	١٢	٣٩
اقيس بن الحطيم	قيس بن الخطيم	٤	٤٧
ورده لى	ورده الى	٧	٤٩
ما بال لطايا	ما بال المطايا	١١	٤٩
بن اسماعيل	ابن اسماعيل	٦	٥٦
بن علي	ابن علي	٨	٥٦
٢	٢٠	١٠	٧٢
واجزي	واجزى	٥	٧٧
الوليد بن عبد الملك	الوليدبن يزيد بن عبد الملك	٦	٨٨
بن عبد الله	ابن عبد الله	٥	٩٢
يوم قادمت فاتعلت	يوم قامت فاتلعت	١٠	١٠٢
الملقب بالحمار	الملقب بالحمار	١٢	١١٠
ابو دلامة	ابو دلامة	١٦	١١٦

خطـــأ	صـــواب	سطر	صفحة
وهو ابن ست وعشرون وقيل	وهو ابن ست وعشرين وقيل		
ثلان وعشرون	ثلاث وعشرين	٣	١٢٩
ومن اجلى	ومن اجلي	١٥	١٤٤
فيه الدنيا	فيه الدنيا	٥	١٤٥
في كتابة الذي	في كتابه الذي	١١	١٤٨
الى الحراقه	الى الحراقة	٣	١٤٩
اعطته صفقها	اعطته صفقتها	١	١٥٢
حدثنا هيثم	حدثنا هشيم	١٠	١٦٠
لا احسب الجو	لا احسب الجور	٤	١٧١
هو اسحق ابراهيم	هو ابراهيم	١٣	١٧٦
وكان عمره اثنين وثلاثين سنة	وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة	١١	١٧٩
برح الخفاء	برح الخفاء	٩	١٩٤
على شانهم كبائر	على شانهم الى كبائر	١١	٢٢٠
سبع عشر سنه	سبع عشرة سنه	١	٢٢٤
بعض الشعر	بعض الشعراء	٢	٢٢٤
ثم انقضى	ثم انتفض	١٠	٢٤٢
طوقته لمخانق	طوّقته المخانق	١١	٢٤٥
اجلك الله	احلك الله	١٢	٢٥١
خباها على	جناها على	١٣	٢٥٣
خلقنا بالعراق	خلفنا بالعراق	٢	٢٥٤
اثر علىّ	اثر على	١٢	٢٥٦

تصويب خطأ الحاشية

خطـــأ	صـــواب	سطر	صفحة
متو شالح	المتلوشح	٤	٣٠
شجرة حجاز ثمرة	شجرة حجازية لها ثمرة	٢	٣٢
لما يومنى	لما يمنى	١	٤٧
ويقال له ابن شاشو	ويقال له ابن شاشه	٥	٥٨
ناعمة ليفة	ناعمة لينة	٣	٨٠
مصطفى لالا باشا	لالا مصطفى باشا	٤	١١٢

جرد
٢٠١٣